امنن على بهذه الرحلة كاملة
وعلى الرحلات التي اريدها
يارب

المدينة المنورة في رحلة العياشي

دراسة وتحقيق

محمد أمحزون

أستاذ التاريخ الاسلامي
كلية الآداب ــ وجدة

تقديم
الأستاذ الدكتور سامي الصقار

عضو هيئة التدريس بجامعة
الملك سعود ــ الرياض

دار الأرقم
للنشر والتوزيع
الكويت

الطبعة الأولى 1408هـ/1988م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ، ومن يشكر فإنّما يشكر لنفسه ، ومن كفر فانّ الله غني حميد ﴾ .

(الآية ١٢ من سورة لقمان)

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله وصحبه أجمعين .

وبعد : إن مصنف هذا الكتاب الاستاذ محمد أمحزون قد سبق لي أن عرفته منذ كان طالب (بكلوريوس) . ثم عرفته طالب (ماجستير) ، وأخيراً عرفته من خلال رسالته للماجستير ، وهي هذا الكتاب الذي بين أيدينا ، إذ كنت أحد أعضاء لجنة المناقشة لتلك الرسالة ، والحق أن الأستاذ أمحزون كان في جميع الأدوار الثلاثة التي عرفته خلالها ، الطالب المثالي في أخلاقه وأعماله على السواء ، وانني ليسعدني جداً أن أقدم كتابه هذا إلى القراء .

لقد رأيت في هذا الكتاب ــ عندما قُدم للمناقشة كرسالة جامعية ــ أطروحة قل مثيلها بين الرسائل التي شاركت في مناقشتها ، بل وبين الرسائل التي أتيحت لي فرصة الاطلاع عليها ، الأمر الذي هنأته عليه . ولقد وفّى الكاتب جميع المتطلبات العلمية ، سواء أكان ذلك في قسم الدراسة التي قام بها عن الرحالة العياشي ، أو في القسم المتعلق بتحقيق الرحلة ، إذ جاءت الدراسة شاملة للتعريف بالمؤلف وعصره ، فقد تناولت أحوال المغرب في زمن العياشي ، كما تناولت أحوال المدينة المنورة في الفترة التي زار خلالها الرحّالة المذكور مدينة الرسول ﷺ . كذلك أورد المؤلف ترجمة ضافية للعياشي نفسه ولاسيما مايتعلق بدراسته ونشاطه الثقافي ، ومذهبه الديني ، واتجاهاته الصوفية ثم مؤلفاته . فخرجنا بهذه الدراسة القيمة عارفين بأحوال العياشي كلها وبظروف الفترة التي عاش خلالها في بلده الأصلي المغرب ، وفي بلد رحلته ، المدينة المنورة .

أما القسم المتعلق بتحقيق الجزء الخاص بالمدينة المنورة في رحلة العياشي

فقد تناول فيه الأستاذ أمحزون التعريف بنسخ المخطوط ، ولاسيما بالنسخة الأم التي حرص الكاتب على البحث عنها في مختلف مكتبات المغرب ، حتى اهتدى إليها في (الزاوية العياشية) ، وقد كابد الكثير من الصعوبات في تصويرها . وقد قارن بين النسخ حتى استقر رأيه على تلك التي اتخذها أساساً لعمله . وهنا كان موفقاً غاية التوفيق في إيراد نص صحيح موثق بالحواشي ، وهو غاية مايطمح إليه المحققون !! .

وفضلاً عما تقدم ، فإن المحقق لم يترك علماً من الأعلام أو موضعاً من المواضع أو مصنفاً من المصنفات ، مما ورد ذكره في رحلة العياشي ، إلا ، عرّف به بشكل مناسب . ولم يكتف بذلك وحده ، بل إنه حرص على إيضاح بعض الأحاديث الوارد ذكرها في الرحلة ، كما شرح بعض الآراء التي أبداها العياشي أو أشار إليها ، وعلق عليها ونقد مايتوجب نقده منها ، مستنداً في كل ذلك إلى المصادر المعتمدة والأقوال المحققة . وهكذا بعث المحقق الحياة في نصوص الرحلة وأعان القارىء على أن ينتفع بها دون أن يضطر إلى مراجعة المصادر الأخرى . وقد استحق على ذلك شكر الباحثين وتقديرهم .

هذا وقد حرص الأستاذ أمحزون على زيارة المدينة المنورة ، والتحري عن المواضع الوارد ذكرها في رحلة العياشي ، ليتحقق من وجودها والتعرف على أحوالها الحالية وماآلت إليها ، وقارنها بالأوصاف التي ذكرها العياشي . وفوق ذلك قاس المسافات بين مختلف المواضع وأعطانا قياسات دقيقة بالكيلومترات ليتسنى للقارىء مقارنتها بالمسافات التي قدّرها العياشي بمعيار زمني للسير على الأقدام . وهذه في ظني خدمة جليلة قلما يقدم عليها الباحثون لصعوبتها . أما المواضع التي اختفت من الوجود فان الباحث تحرى عنها لدى العارفين من أهل المدينة المنورة ، وحاول التعرف على مواقعها من رواياتهم الشفوية عنها . والحق أنه بذل في سبيل ذلك جهداً كبيراً يستحق التقدير !! .

أما الرحلة نفسها فلاأجد حاجة إلى تبيان مدى أهميتها للباحثين ، وخاصة أولئك الذين يهمهم تاريخ المدينة المنورة في فترة مهمة من فترات التاريخ الاسلامي . هذا وليس خافياً على القارىء الكريم أن الرحلات التي تعتمد على المشاهد العيانية تعتبر مصدراً مهماً من مصادر التاريخ ، بل هي مصدر أساسي يفوق من حيث الأهمية الروايات التي يتناقلها الناس شفاهاً ، لأن تلك الروايات

كثيراً مايعتريها الخلل عن قصد أو غير قصد بخلاف الرحلات . ثم ان الروايات تهتم بالدرجة الأولى ، بالنشاط السياسي والعسكري وبالأحداث الكبيرة ، وقلما تمنح اهتمامها للأحوال الاجتماعية والاقتصادية ووصف أحوال الناس المعيشية بينما يحرص أرباب الرحلات على تسجيل مشاهداتهم لمختلف الأحوال التي تقع أنظارهم عليها مما لانجده في كتب التاريخ المعتادة . وهكذا فإن كتب الرحلات تكمل نقصاً خطيراً لاسبيل إلى تداركه بدونها .

ولهذا فان العمل الذي أقدم عليه الاستاذ أمحزون ، وأنجزه رغم الصعوبات البالغة ، يعتبر جهداً قيماً مشكوراً ، أدى بواسطته خدمة عظمى لتاريخ مدينة الرسول ﷺ وسد نقصاً كبيراً في جوانب ذلك التاريخ ، وقد سرني جداً أن يتصدى لنشر هذه الرحلة إحدى دور النشر ، مما سيتيح لقراء العربية في مختلف العالم الاسلامي الانتفاع من ثمرات ذلك الجهد القيم ، فجزى الله المحقق والناشر كل خير ووفقهما لما يحبه ويرضاه .

أ . د . سامي الصقار
أستاذ التاريخ الاسلامي
بجامعة الملك سعود ـــ كلية الآداب

الرياض في ٢٠ ربيع الأول
١٤٠٦ هـ الموافق ٢ كانون الأول
(ديسمبر) ١٩٨٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه .

ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيأ لنا من أمرنا رشدا . اللهم علّمنا ماينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما . ولاتجعل علمنا حجة علينا . اللهم لاسهل إلا ماجعلته سهلا ، وأنت تجعل الحَزْن إذا شئت سهلا .

أما بعد ، يعتبر المنهج العلمي من أهم خصائص الرحلة لأنها تقوم عادة على التجربة والملاحظة الحسية المباشرة للأشياء . وهذا الاتجاه الحسي المباشر يحدده في الغالب أن كتابة الرحلة تعتمد على المشاهدة الشخصية لعنايتها بالمسالك ، والطرق والمسافات ، وأحوال الناس ، ومظاهر العمران . علاوة على أن من الخصائص المميزة للرحلة أن يقوم صاحبها بتدوين أخبار أسفاره وتفاصيل تنقلاته فيذكر الحواضر التي نزلها ، ومايتصل بذلك من سياسة وتجارة وصناعة وعادات الناس ، كما يقيد أو يسجل المسافات أو المراحل التي اجتازها ويصف البلدان وطبيعتها ، وغير ذلك من الأمور .

وهكذا تأتي القيمة العلمية لهذا القسم من المصادر مما يدونه الرحالة تدوين شهود العيان من جراء اتصاله المباشر بالطبيعة وبالناس خلال رحلته .

ومن هذا المنطلق تكون دراسة الرحلة مفيدة في التعرف على النواحي الأدبية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية حسبما رآها الرحالة ولمسها بنفسه ، وهي حوادث تفتقد عادة في كتب التاريخ التي ينصب اهتمامها على الأحداث السياسية والعسكرية .

ومما تجدر الاشارة إليه أن الحج إلى الديار المقدسة وطلب العلم كانا من الأسباب المباشرة في تأصل فن الرحلة عند المغاربة . ويعتبر العيّاشي من الرواد

في هذا المضمار حيث أن رحلته جديرة بالدراسة والتحقيق لاسيما مايتعلق منها بالحجاز لأنها من أوفى المصادر لمن يريد أن يدرس حالة هذه البلاد في القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) من مختلف الجوانب ، سيما وأن المصادر في هذه الفترة قليلة جداً .

وقبل البدء في الحديث عن الخطة التي اتبعتها ، ومنهج البحث الذي سرت عليه في الرسالة أودّ أن أتحدث أولاً عن ظروف حيازتي على نسخة من المخطوطة الأصلية بخط المؤلف .

لقد وفقت ولله الحمد في العثور على هذه المخطوطة في الزاوية المسماة بزاوية سيدي حمزة (وهي الزاوية العيّاشية سابقاً) التي تقع في سفح جبل العيّاشي من الأطلس الكبير جنوبي مدينة (ميدلت) بنحو ستين كيلاً ينحرف احدى وعشرون منها في منعرجات ومنحدرات غير معبدة .

أما الذي دفعني للذهاب إلى هذه الزاوية ، فاني بعد أن قضيت وقتاً في الخزانتين الملكية والعامة في الرباط أبحث عن أقدم النسخ للرحلة ، وإذا بي أجد نسخة مذيّلة في آخر صفحة منها بعبارة تقول : (بلغت المقابلة جهد الاستطاعة من أصل بخط المؤلف على يد الفقير إلى الله حمزة بن أبي سالم العيّاشي) . وحيث أنني أعرف أن حمزة هذا تنسب له الزاوية المذكورة رأيت من الضروري أن أتوجه إليها بأقصى سرعة لعلني أجد هناك أصلاً للرحلة بخط المؤلف ، خصوصاً وأن العياشي قد قضى في تلك الزاوية زمناً طويلاً يتلقى فيها دروس العلم . ثم آل إليه أمرها بعد وفاة والده فأخذ يشتغل بتدريس العلم وجمع الكتب القيمة التي لازالت إلى الآن تزخر بها خزانة الزاوية .

وفور وصولي إلى الزاوية دلّني صاحب الخزانة (وهو من أحفاد أبي سالم العيّاشي) على الأصل ، فاستأذنته في تصويره ، وكان متجاوباً إلى حدّ كبير، فانطلقنا إلى أقرب مدينة لتصوير المخطوطة بسبب عدم توفر الكهرباء ووسائل التصوير في القرية الصغيرة التي توجد بها الزاوية . وعند حديثنا عن النسخة التي قابلها حمزة بن أبي سالم على الأصل ــ وهي الموجودة بالخزانة العامة في الرباط ــ أخبرني بأن تلك النسخة كانت موجودة في خزانة الزاوية . وذات

مرة جاء عبد الحي الكتاني إلى الزاوية ومعه اثنين من الجندرمة (١) ــ وكان ذلك قبل استقلال المغرب ــ فأخذ نسخاً مخطوطة من ضمنها التي نحن بصدد ذكرها ، ونقلها إلى مكتبته بفاس مع مخطوطات أخرى . وبعد حصول المغرب على استقلاله صودرت خزانته وأدمجت في الخزانة العامة بالرباط لأن الرجل كانت له علاقات مريبة مع فرنسا التي قضى فيها حياته حتى وفاته .

١ ــ جندرمة كلمة فرنسية معربة تطلق على الشرطي الذي يضطلع بمهام الأمن في البادية .

خطة ومنهج البحث

قسمت الرسالة إلى قسمين :

١ ــ القسم الأول : وهو مخصص للدراسة . وهذه الدراسة تشتمل على ثلاث فصول :

* الفصل الأول : ويشمل عصر المؤلف بشقّيه المغربي والمدني في مختلف جوانبه السياسية والفكرية والاجتماعية والاقتصاية .

* الفصل الثاني : ويشتمل على التعريف بالمؤلف ورحلته وشيوخه وتلاميذه ومؤلفاته وآراءه .

* الفصل الثالث : ويشمل وصف مخطوطة الأصل وهي بخط المؤلف وثلاث نسخ أخرى اخترتها من بين عدة نسخ موجودة بالخزانتين الملكية والعامة في الرباط . هذا مع وصف شامل لكل نسخة ووضع نموذج للنسخ المعتمد عليها في التحقيق . ويشمل هذا الفصل أيضاً مصادر المعلومات الواردة في الرحلة عن المدينة ، وذكر من نقل عن العياشي من الرحالة المتأخرين ، ومنهجه وأسلوبه

٢ ــ القسم الثاني : وهو القسم المخصص للتحقيق فيشتمل على :

أ ــ اخراج نص محقق صحيح اعتماداً على النسخة الأصلية بخط المؤلف والنسخ الثلاث الأخرى التي تمّت المقارنة بينها وبين الأصل .

ب ــ التعريف بالأعلام والأماكن وشرح الكلمات الغامضة الواردة في النص .

ج ــ تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وآثار الصحابة وبيان درجة صحتها .

د ــ ذكر مصادر المؤلف في هوامش الرسالة .

هـ ــ التثبت من الروايات الواردة في النص والتعليق عليها .

و ــ القيام بزيارة لمعالم المدينة المنورة الأثارية الواردة في الرحلة من جبال وأودية وآبار ومساجد حيث تم الاطلاع عليها ، وبيان حالتها ومسميات مواقعها وأماكن وجودها في الوقت الحاضر ، وقياس المسافات بعدد الأكيال بينها وبين الحرم النبوي . كل ذلك للتحقق من دقة المعلومات التي أوردها العيّاشي ، ولتيسير رجوع الباحثين والقراء إليها لمن رغب في ذلك .

وقد اتبعت في ذلك منهجاً يقوم على :

١ ــ قارنت بين المخطوطة الأصلية التي بخط المؤلف وبين النسخ الأخرى المعتمدة للتحقيق ، وقمت بالتصحيح في المتن مع الاشارة إلى ذلك في الحاشية حيث أُثبت هناك ماورد في الأصل والنسخ من أخطاء .

٢ ــ الأخطاء الاملائية الواردة في المخطوطة وفي النسخ التي بين يدي قمت بتصحيحها وفق الاملاء المتعارف عليه في الوقت الحاضر ، دون الحاجة للاشارة إلى ذلك في الحواشي لكثرة تكرّرها .

٣ ــ أورد المؤلف عدداً من الأحاديث والآثار ولم يذكر في الغالب مخرّجيها ولا أسانيدها مما اضطرني إلى تخريجها في هوامش الرسالة .

٤ ــ وحيث أن المؤلف لم يذكر درجة صحة الأحاديث والآثار التي أوردها ماعدا قليل منها ، فقد حرصت على تتبع أسانيدها مع ذكر درجة صحة تلك الأحاديث والآثار، كما أثْبَتُّ أقوال العلماء فيها إن وجدت .

٥ ــ قد يصعب ضبط بعض أسماء الأعلام أو الأماكن أو المفردات ضبطاً صحيحاً فذكرت كيفية النطق بها عند ذكرها أول مرة .

٦ ــ إذا ترجمت لشخص أو عرّفت براو تكرر اسمه مرة أخرى فانني أكتفي بقول : وقد تقدمت ترجمته أو سبق ذكره منعاً للتكرار .

٧ ــ وضعت أرقاماً على جانب الصفحة دالة على بداية كل صفحة من المخطوطة الأصلية .

٨ ــ جعلت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ــ القولية ــ بين أقواس لتمييزها عن غيرها . أما الآثار (آثار الصحابة) فقد تركتها ضمن السياق كما هي .

٩ ــ وجدت المخطوطة الأصلية مرقمة حسب الصفحات ، وكذلك النسخة

المطبوعة على الحجر بفاس . أما النسختان الأخريان فوجدتهما لم ترقما بعد ، فقمت بترقيمهما حسب الصفحات وليس حسب الورقات لتنسجم مع بقية النسخ .

١٠ـــ عند ذكر معاجم اللغة في هوامش الرسالة لم أشر إلى أرقام الصفحات لأن هذه المعاجم مرتبة حسب الحروف الهجائية .

١١ـــ إذا تعذر العثور على وفاة أحد المؤلفين الواردة أسماؤهم في مصادر الرسالة يُرمز لذلك بما يلي : (٠٠٠) .

١٢ـــ بالنسبة للتواريخ التي وردت في ثنايا الرسالة حرصت على إيراد مايقابلها بالتاريخ الميلادي في السنين والأشهر .

وفي ختام هذه المقدمة أسأل الله التوفيق والسداد والتقى لي ولجميع المسلمين والمسلمات ، كما أسأله : اللهم لاتعذب لساناً يخبر عنك ، ولاعيناً تنظر إلى علوم تدل عليك ، ولاقدماً تمشي إلى خدمتك ولايداً تكتب في سبيلك فبعزتك وجلالك لاتدخلني النار ، وأدخلني الجنة في الأبرار ، اللهم آمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفصل الأول

عصر أبي سالم العياشي

* ــ أولاً :

ــ الأوضاع في المغرب خلال القرن الحادي عشر الهجري .

أ ــ الحالة السياسية .

ب ــ الحياة الفكرية .

ج ــ الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية .

* ــ ثانياً :

ــ الأوضاع في المدينة المنورة عند مجيء العياشي إليها .

أ ــ الحالة السياسية .
ب ــ الحياة الفكرية .
ج ــ الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية .

عصر أبي سالم العيّاشي

أولاً : الأوضاع في المغرب خلال القرن الحادي عشر الهجري (١٧ م) .

أ ـــ الحالة السياسية :

عند مطلع القرن العاشر الهجري (السادس الميلادي) كانت سلطة الوطاسيين [١] ضعيفة جداً ، إذ عجزوا عن صيانة الأمن الداخلي ووحدة المغرب مما ترتب عليه قيام إمارات سياسية مثل إمارة هنتاتة المصمودية التي حكمت جنوب المغرب واتخذت مراكش عاصمة لها [٢] .

وقد عجز الوطّاسيون ، أيضاً عن درء الأخطار الخارجية المتمثلة في عملية التنافس الأسباني البرتغالي لاحتلال السواحل المغربية [٣] . وأمام هذه التحديات في الداخل والخارج ظهرت الدولة السّعدية ، وأخذت تتزعم عملية الجهاد لتوحيد البلاد ، ودرء الأخطار الخارجية حيث تم ذلك بمساعدة رجال الزوايا .

ومما تجدر الاشارة إليه أن الطريقة الصوفية ذاع صيتها ، وتطوّر أمرها بالمغرب حينذاك حين استفحل خطر النصارى في الأندلس ، وامتدت أطماعهم إلى احتلال الثغور المغربية ، فضعف حكام المغرب عن الدفاع عن حوزة البلاد وأصبحت الزوايا تتدخل في الشؤون السياسية ، وتدعو إلى الجهاد ومقاومة الأجنبي .

---

١ ـــ فرقة من بني مرين . أحمد الناصري : الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ، الدار البيضاء : دار الكتاب ، ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م ، ج ٤ ، ص ١١٨ .

٢ ـــ المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٥٤ .

٣ ـــ الأفراني : نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي ، الرباط : مكتبة الطالب ، ؟ ، ص ١٠ .

ومن المعلوم أن الدعوة الصوفية وجدت في رابطة الأشراف عصباً يسندها ويلمّ القبائل ـــ بربرية وعربية ـــ ويعزز دورها السياسي . على أن التداخل بين الأشراف السّعديين وأصحاب الطرق الصوفية كان عاملاً في الاتجاه بالوحدة السياسية للمغرب إلى سابق مركزيتها القوية واتساعها الجغرافي التاريخي .

ولقد وجد نداء الصوفية آذاناً صاغية ، فهبّ أنصارهم لحمل السلاح ، وقادوا معارك ظافرة انتهت بطرد البرتغاليين من الثغور التي كانوا يحتلونها .

ويوضح الدور الفعال الذي لعبه رجال الزوايا وثقل وزنهم على الساحة السياسية تنصيبهم الشريف أبا عبد الله القائم السّعدي (٩١٥ ـــ ٩٢٣ هـ / ١٥٠١ ـــ ١٥١٧ م) ملكاً على المغرب (١) . وقد خلفه ابنه أبو العباس الأعرج الذي فتك بنصارى السّوس ، ونجح في كسب تأييد زعماء مراكش الذين قدم إليهم ، وتولّى حكم البلاد عام ٩٣٠ هـ / ١٥٢٣ م (٢) .

وواصل السّعديون الحرب ضد بني وطّاس حتى تمّ استيلاء أبي عبد الله محمد الشيخ المهدي على فاس عام ٩٦٠ هـ / ١٥٥٢ م ، وبذلك صفا لهم أمر المغرب .

وقد كلّلت أعمال السّعديين بالنجاح عند انتصارهم على الحملة الصّليبية البرتغالية في معركة وادي المخازن عام ٩٨٦ هـ / ١٥٧٨ م ، والتي بويع على إثرها أحمد المنصور الذهبي حاكماً للبلاد (٣) .

---

١ ـــ المصدر نفسه ، ص ١٦ .
٢ ـــ المصدر نفسه ، ص ١٩ .
٣ ـــ أثناء حديث نجاح القابسي في رسالتها (ص ٤) عن وقعة وادي المخازن التبس عليها الأمر فقالت : « غير أن ظهور البرتغاليين كقوة بحرية أولاً ثم كقوة استعمارية لم يَدَع له ـــ تقصد الغازي أبا مروان ابن عبد الملك السّعدي ـــ فرصة هدوء يكمل بها اصلاحاته ، إذ سرعان ماشتبك معهم في حرب دارت فيها الدائرة عليه في وقعة يعرفها المغاربة باسم معركة وادي المخازن سنة ٩٨٢ هـ » .

والصحيح أن السّعديين هم الذين انتصروا في هذه الوقعة . ثم إن الباحثة أخطأت في تعيين تاريخ الوقعة ، فكتبت أنها في سنة ٩٨٢ هـ / ١٥٧٤ م بينما كانت في عام ٩٨٦ هـ / ١٥٧٨ م . انظر الفَشْتَالي : مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا . الرباط : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ؟ ، ص ٣٣ . وإبراهيم شحاته حسن : وقعة وادي المخازن ، الدار البيضاء ، دار الثقافة ، ١٣٧٩ هـ / ١٤٠١ م .

للإشارة فإن رسالة نجاح القابسي قدمت إلى جامعة عين شمس بالقاهرة لنيل الماجستير عام ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م .

وقد عرف المنصور كيف يستغل هذا الانتصار في وادي المخازن لتدعيم نفوذه الداخلي ، ولفرض هيبته على خصوم المغرب في الخارج من أسبان وبرتغاليين ، فأوجد بذلك للمغرب كياناً مستقلاً . ثم انبرى لتوسيع رقعة دولته جنوباً ، فضم غرب أفريقيا إلى نفوذه لمكانة هذه المنطقة اقتصادياً في ذلك الزمان [١] . وترتب على ذلك ازدهار مختلف المظاهر الحضارية في المغرب اقتصادياً واجتماعياً وإدارياً[٢] .

وبعد وفاة أحمد المنصور الذهبي عام ١٠١٢ هـ (١٦٠٣ م) ظهرت بوادر الفتنة . ولعل من أسباب ذلك أن المنصور لم يبت في أمر ولاية العهد قبيل وفاته . ويبدو أن سبب ذلك يرجع إلى ماصدر عن ابنه الأكبر ، محمد الشيخ المأمون ، من تمرد وعصيان . فقد كان محمد ولي عهد أبيه وخليفته على فاس . لكن لما ظهر فساده وفسقه وتوالت شكايات الرعية ضده عزم أبوه على التوجه إلى فاس بقصد تأديبه ، فقبض عليه وأمر أن يسجن بمكناس [٣] .

وبعد وفاة المنصور بادر أهل فاس إلى مبايعة زيدان بن المنصور . لكن لما بلغ خبر هذه البيعة إلى مراكش لم يذعن أهلها لتصرف الفاسيين فبايعوا أبا فارس بن المنصور [٤] . وكردّ فعل لهذا الاجراء أفتى علماء فاس بوجوب قتال المراكشيين ، فترتب على ذلك التقاء جيش الأخوين أبي فارس وزيدان على ضفة نهر أم الرَّبيع . ولم يحضر أبو فارس المعركة بنفسه ، وإنما فوض أمر القتال لأخيه الشيخ المأمون بعد أن أطلق سراحه . لكن المأمون غدر به بعد أن أسفرت المعركة عن انهزام زيدان وفراره إلى تلمسان حيث أعلن عن نفسه ملكاً على فاس [٥] .

وهناك وثيقة انجليزية معاصرة للأحداث تقول بأن بوادر الخلاف ظهرت

---

١ ـــ الأفراني : نزهة الحادي ، ص ٨١ .

٢ ـــ لمن يريد التوسع في هذا الموضوع والوقوف على المظاهر التي تميز بها المغرب في عهد السعديين في المجالين السياسي والحضاري يمكن الرجوع إلى مناهل الصف للفَشْتَالي ، ونزهة الحادي للأفراني .

٣ ـــ الأفراني : نزهة الحادي ، ص ١٨١ .

٤ ـــ المصدر نفسه ، ص ١٩٠ ـــ ١٩١ .

٥ ـــ المصدر نفسه ، ص ١٩٢ .

بين الأخوين زيدان وأبي فارس لأن كلاً منهما بدا خائفاً من الآخر ، بل حدث أن أرسل أبو فارس قوة للاستيلاء على مكان يسمى تادلا (١) يدخل ضمن نفوذ زيدان . واستطردت الوثيقة تقول أن يهودياً يدعى إبراهيم بن واش كان يعقد مع أبي فارس في مراكش اجتماعات سرية ، وكثيراً ماياخذ هذا الأخير بمشورته في الشؤون العامة التي تهم الناس ويتضررون منها كثيراً (٢) .

فلا يستبعد إذاً أن يكون لهذا اليهودي دور في إذكاء روح الخلاف بين الأخوين وإغراء أبي فارس بأن يستأثر وحده بملك المغرب . على كل حال فإن تنازع أبناء المنصور على السلطة كان سبباً فيما وقع من فتن واضطرابات تعرضت البلاد بسببها لحروب أهلية استنفذت قوى الأمراء السعديين وأطمعت فيهم كثيراً من الطامعين سواء في الداخل أو في الخارج .

ففي الخارج : تعرض المغرب لهجوم البشاوات العثمانيين في الجزائر الذين طالما تحينوا الفرص لتوسيع منطقة نفوذهم ، فواتتهم الفرصة للاستيلاء على مدينة وجدة في الشمال الشرقي .

واغتنم الأسبان بدورهم فرصة الاضطرابات الداخلية لمد المتحاربين بالأسلحة كي يضعفوا الحكومة المركزية ويحاولوا مداهمة الشواطىء المغربية مثل العرائش وأصيلا والمعمورة (٣) .

وفي الداخل : كانت أهم التطورات التي عرفها النصف الأول وقسم من النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري أن الزعامات المحلية كان يتولاها فئات أهمها :

---

١ ـــ ورد ذكر هذا المكان المسمى تادلا عند ياقوت في معجم البلدان ، بيروت دار صادر للطباعة ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م ، ج ٣ ، ص ٥ . ويطلق حالياً على مدينة ملحقة باقليم بني ملال .

٢ ـــ هذه الوثيقة كتبها جورج طومسون (G. Thompson) في ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٦٠٣ م الموافق ٤ جمادى الثانية ١٠١٢ هـ . وقد ترجم نصها إبراهيم شحاته حسن في كتابه أطوار العلاقات المغربية العثمانية ، الاسكندرية : مطبعة التقدم ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ، ص ٢٥٧ .

٣ ـــ عبد الكريم كُرَيِّم : المغرب في عهد الدولة السعدية ، الرباط : مكتبة الطالب ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م ، ص ٣٢٩ .

أولاً : أرباب الزوايا :

لقد انتهز كثير من أصحاب الزوايا فرصة اضطراب الأحوال في المغرب لتحقيق طموحاتهم في الحكم والزعامة . ومن هؤلاء ابن أبي محلّي السِّجلماسي وأبو زكريا الحاحي ، وأبو حسّون السّملالي ، ومحمد الحاج الدِّلائي .

وكان ابن أبي محلي السجلماسي قد سلك طريق التصوف بعد اقامته مدة في الزاوية الدّلائية . ثم توجه إلى وادي الساورة في الصحراء وادّعى المهدوية وبدأ يكاتب رؤساء القبائل ويأمرهم بالتمسك بالدين . ولما سلّم الشيخ المأمون السعدي مدينة العرائش إلى الأسبان عام ١٠١٩ هـ (١٦١٠ م) أظهر السجلماسي الغضب والحمية للدين ، فدعا الناس للجهاد ، واجتمع عليه العوام فتقدم بهم إلى سِجِلْمَاسَة فملكها (١) ، ثم استولى على درعة (٢) ، وقصد مراكش فاقتحمها وطرد ملكها زيدان بن المنصور الذهبي ، وضرب السكة باسمه لكن سطوته لم تدم غير ثلاث سنوات ، إذ لجأ زيدان إلى زاوية الشيخ أبي زكريا الحاحي بجبل دَرن جنوب المغرب وطلب منه المساعدة ، فسار أبو زكريا عام ١٠٢٢ هـ (١٦١٣ م) في جماعة من أتباعه إلى مراكش ، ودارت معركة بين الفريقين انتهت بمقتل السجلماسي (٣) .

وبعد رجوع أبي زكريا من مراكش استولت على نفسه فكرة الرئاسة والسلطان ، وفترت همته عن تدريس العلم وتلقين الأوراد (٤) ، فأخذ يراسل السلطان زيدان ويمن عليه بمناصرته . ثم أعلن الثورة في السوس ، وانتزع مدينة

---

١ ــ تقع مدينة سجلماسة في الجنوب الشرقي من المغرب باقليم تافيلالت . وعلى أنقاضها قامت مدينة الريساني . انظر : عبد العزيز بنعبد الله : الموسوعة المغربية للأعلام الحضارية والبشرية ، (معلمة الصحراء) ، الدار البيضاء : مطبعة فضالة ، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م ص ١٢٠ .

٢ ــ مجموعة من القرى تقع في الجنوب الشرقي من المغرب منها كتاوة والمحاميد، المصدر نفسه ، ص ١٠١ .

٣ ــ الأفراني : نزهة الحادي ، ص ٢٠٠ ــ ٢٠٩ .

٤ ــ مجموعة من الأذكار يتلقاها المريد عن الشيخ وينتظم بها في سلك الطريقة . بنعبد الله : المعجم الصوفي ، المغرب : المكتب الدائم للتعريب ، ؟ ، ص ١٠ .

تارودانت (١) من أبي حسون السّملالي فاتخذها عاصمة لامارته . لكنه لم يستطع أن يوسع نفوذه واكتفى بهذه المنطقة الجبلية من تارودانت إلى زْدَاغة (٢) في السوس حتى توفي عام ١٠٣٥ هـ (١٦٢٥ م) (٣) .

وبعد وفاة أبي زكريا الحاحي نفذ السّملالي إلى منطقة السّوس فاستولى عليها مرة أخرى ، ثم مدّ سلطانه إلى دَرْعَة وسِجِلْمَاسَة .ولم يزل أمره نافذاً في هذه الأصقاع حتى قضى الرشيد العلوي على إمارته عام ١٠٨١ هـ (١٦٧٠ م) (٤) .

أما الدِّلائيون : **فإلى** جانب النفوذ الديني الذي تقلدته زاويتهم فقد كان زعيمهم ، محمد الحاج الدّلائـي ، يومئذٍ مستولياً على مدينتي فاس ومكناس وأعمالها ، وامتدت مطامعه فيما بعد إلى مدينة سلا (٥) بعد وفاة أبي عبد الله العيّاشي زعيم المنطقة سنة ١٠٥١ هـ (١٦٢١ م) (٦) .

ومن المعلوم أن الحركة الصوفية في الفترة الأولى تبنّت الدعوة إلى تحرير بلاد المغرب من الاحتلال الأجنبي ، وبذلت جهداً كبيراً في نشر التعليم وتيسيير الخدمات الاجتماعية للغرباء والمحتاجين . لكنها في فترة لاحقة غلبت عليها الشعوذة ، وتظاهر بعض المغرضين من أربابها بالزهد والعبادة لاستغلال العامة لمآربهم الخاصة .

ومن الملاحظ أن نفوذ الصوفية ، سواء في دورها الايجابي أم السلبي ، كان في فترات الضعف والاضطرابات الداخلية .

---

١ ـــ مدينة تقع في منطقة السوس جنوب المغرب . وكانت قديماً تسمى فلا (Vala) . بنعبد الله : الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية (معلمة المدن والقبائل) الدار البيضاء : مطبعة فضالة ، ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) ص ٦٢ .

٢ ـــ قبيلة بشمال وادي السوس . المصدر نفسه ، ص ٢١٢ .

٣ ـــ الأفراني : نزهة الحادي ، ص ٢١٢ .

٤ ـــ المصدر نفسه ، ص ٢٨٦ ، وأحمد الناصري : المصدر نفسه ، ج ٦ ، ص ٧٩ .

٥ ـــ مدينة قرب الرباط على مصب نهر أبي رقراق في المحيط الأطلسي . بنعبد الله : الموسوعة المغربية (معلمة المدن والقبائل) ص ٢٧٠ .

٦ ـــ الأفراني : نزهة الحادي ، ص ٢٨١ .

ثانياً : المجاهد العيّاشي .

لمّا لقي أهل المناطق الساحلية بالمغرب مضرّة شديدة من البرتغاليين والأسبان طلبوا من أبي عبد الله العيّاشي النظر في أمور جهادهم ضد أولئك الغزاة (1) .

ويبدو أن العياشي كان مدركاً الخطر الجسيم الذي تنطوي عليه الحروب والفتن الداخلية ، وما سيؤول إليه وضع المسلمين في حال انتصار الصليبيين عليهم فلبّى دعوة أهل تلك المنطقة وتصدّى بصدق وإيمان للبرتغاليين والأسبان في الثغور المغربية حتى انتصر عليهم في عدّة وقعات . وقد اشتهر أمره فأصبحت له الرئاسة والحكم في السهول الشمالية الغربية من البلاد ، واتخذ من سلا مركزاً له ، ودخلت في طاعته القبائل من تامسنا (2) إلى تازا (3) ، وظل مجاهداً قوياً حتى اغتالته أفراد من قبيلة الهبط (4) عام ١٠٥١ هـ (١٦٤١ م) (5) .

ثالثاً : العلويّون .(*)

كان للعلويّين نفوذ في سِجِلْمَاسَة ودَرْعة . ولمّا استفحل أمرهم وقويت شوكتهم بزعامة محمد بن الشريف ثم أخيه الرشيد اصطدموا بالدِّلائيين في مناطق نفوذهم ، وهي فاس ومكناس . وكانت الحرب سجالاً بين الطرفين . لكنها انتهت بانتصار العلويّين الذين استولوا على فاس ومكناس عام ١٠٧٦ هـ

---

١ ـــ الأفراني : نزهة الحادي ، ص ٢٦٥ .

٢ ـــ مكان يطلق حالياً على إقليم الدار البيضاء . بنعبد الله : الموسوعة المغربية (معلمة المدن والقبائل) ص ١٣٢ .

٣ ـــ مدينة تبعد عن فاس بحوالي مائة وخمسون كيلاً .

٤ ـــ الهبط : قبيلة عربية كان منزلها تامسنا السابق ذكره . بنعبد الله : الموسوعة المغربية (معلمة المدن والقبائل) ص ٣٦٦ .

٥ ـــ الأفراني : نزهة الحادي ، ص ٢٧١ .

* المقصود هنا العلويون نسباً الذين ينتسبون إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه من ناحية ذريته الحسن أو الحسين . وليس العلويين مذهباً وعقيدة الذين يسمون بالنصيرية والذين يؤلهون علياً .

(١٦٦٥ م) ، وبالتالي فتحوا الزاوية الدِّلائية عام ١٠٧٨ هـ (١٦٦٧ م) [١] وفي العام القابل تم القضاء على إمارة الشّبّانات بمراكش [٢] . وكان حكم السعديين في فاس قد انتهى بموت العباس بن محمد الشيخ عام ١٠٦٦ هـ (١٦٥٨ م) [٣] .

وقد سار الرشيد العلوي على نمط أخيه محمد بن الشريف في مدّ نفوذ الدولة العلوية على سائر بلاد المغرب ، فحالفه التوفيق حيث خضعت ربوع البلاد لسلطانه ، وساد عهده الهدوء ، واستأنفت الحركة العلمية نشاطها [٤] .

وهكذا أعاد الرشيد إلى المغرب وحدته الداخلية بعد حروب استمرت سبع سنوات وفي المدة التي قضاها في الحكم ، فحقق بذلك وحدة الصف الداخلي كمرحلة أساسية للانطلاق نحو تحرير الثغور المغربية من الاحتلال الأجنبي ، ومن أجل النهوض بالبلاد وتطويرها ، وذلك ماسيعرفه عهد أخيه إسماعيل .

ويمكن القول بإيجاز أن من أبرز ملامح عصر العياشي التدهور الشامل سياسياً لعدم وجود قوة متماسكة تُعنى بشؤون البلاد . فقد كان المغرب يعيش مرحلة انتقالية وهي أواخر حكم السعديين وأوائل حكم العلويّين مما عرضه لاطماع الدول والأفراد . ومن ملامحه أيضاً ، أن الاتجاه الصوفي أثر في الحياة السياسية ، وطرأ في تلك الفترة انعزال تام عن مجريات الأحداث العلمية في أوربا .

---

١ ــ الأفراني : نزهة الحادي ، ص ٢٨٤ . والقادري : نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني ، لندن : مطابع أوكسفورد الجامعية ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ، ص ٦٠٥ . وقد نشر نصه العربي وترجمته إلى اللغة الانجليزية نورمان سيجار (Norman Cigar) .

٢ ــ أسس هذه الامارة كبير حيّ الشبانات بمراكش . وهو عبد الكريم بن القائد أبي بكر الشّبّاني من عرب معقل الهلاليين . وقد استمرت إمارته من عام ١٠٦٩ هـ (١٦٥٨ م) حتى عام ١٠٧٩ هـ (١٦٦٨ م) . الأفراني : نزهة الحادي ، ص ٢٨٧ . وأحمد الناصري : المصدر السابق ج ٧ ، ص ٣٨ .

٣ ــ الأفراني : نزهة الحادي ، ص ٢٥٨ .

٤ ــ المصدر نفسه ، ص ٣٠٤ .

ب ـــ الحياة الفكرية :

بينما كانت عوامل الضعف تعمل عملها في المغرب ، والأجانب يتطلّعون للاستيلاء عليه بدأ ظهور يقظة علمية في البلاد . وقد أسهمت الزوايا الصوفية في إذكاء روح هذه اليقظة . ومن أشهر هذه الزوايا الدِّلائية التي قام بتأسيسها أبو بكر بن محمد بن سعيد الدِّلائـي . وقد عُني ذلك المؤسس بالعلم والعلماء عنايته بالتصوف والمريدين ، واشتغل الدِّلائيون بكل ما كان معروفاً في عهدهم من العلوم الدينية واللغوية والأدبية ، وبرز منهم علماء أفذاذ في شتى الميادين وأقبل عليهم الطلاب والعلماء من كل حدب وصوب للدراسة والتدريس (١) .

ومن الزوايا في العصر المذكور زاوية شرقاوة في ناحية تادلا التي كانت مركزاً للآداب والعلوم . وقد خلفت زاوية الدِّلاء فشمل تأثيرها كثيراً من الأدباء الذين وجدوا في ربعها المقام الرحب للتعلم ، ومن هؤلاء الأفراني (٢) .

وكانت هنالك الزاوية الناصرية التي تقع بِتَمْكْرُوتْ على ضفاف وادي دَرْعَة وراء الأطلس الكبير . فقد جاءها محمد بن ناصر الدَّرعي (٣) عام ١٠٤٠ هـ (١٦٣٠ م) ، وأقبل على التدريس ونشر العلم فيها ، فقصده الطلاب من مختلف جهات الصحراء وبذلك احتفظت الزاوية باشعاعها في الجنوب (٤) .

أما الزاوية العيّاشية (وهي مسقط رأس مؤلف الرّحلة) فكانت تقوم بدور مماثِل في منحدرات الأطلسي الكبير على واحات الصحراء (٥) .

١ ـــ المصدر نفسه ، ص ٢٧٨ .

٢ ـــ بنعبد الله : الحركة الفكرية في العهد العلوي ، مجلة رسالة المغرب ، عدد ١٣٤ ، صفر ١٣٧١ هـ ، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥١ م ، ص ١٧ .

٣ ـــ من علماء المالكية في المغرب ، كانت له زاوية وأتباع كثيرون . وهو من شيوخ العيّاشي صاحب الرحلة ، توفي عام ١٠٨٥ هـ (١٦١٤ م) ، ترجم له : محمد مخلوف : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، القاهرة : المطبعة السلفية ، ١٣٤٩ هـ / ١٩٣٠ م ، ص ٣١٣ .

٤ ـــ محمد حجي : الزاوية الدِّلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي ، الرباط ، المكتبة الوطنية ، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤م ، ص ٥٨ .

٥ ـــ عبد الله العيّاشي : الاحيا والانتعاش في تراجم سادة زاوية آيت عيّاش مخطوط الخزانة العامة في الرباط ، رقمه ١٤٣٣ د ، ص ١٨ .

وقد ظلت الزوايا مراكز اشعاع بالعلم والدين ، فاكتسى العصر صبغة صوفية ظهرت في ثنايا الكتب والمؤلفات التي ألفت في تلك الفترة . ولعل أبرز مثال على المنحى الصوفي أبو سالم العيّاشي الذي كان أغلبية مشايخه في المغرب صوفية من أرباب الزوايا .

ومن أبرز مايلاحظه الباحث في تاريخ تلك الفترة أن مدينة فاس كانت مركزاً للاشعاع العلمي ، وأن مناهج التدريس في جامع القرويين وغيره من الجوامع وُحّدت كما وُحّدت أساليب البحث وطرق التصنيف . لكن جامعة فاس ازدادت صدارة في عصر العلويين بعد انهيار المراكز العلمية التي كانت تنافسها في عصر السَّعديين مثل الزاوية الدِّلائية والناصرية [١] .

وكان العلماء حينذاك يرحلون إلى المشرق للاستزادة من المعرفة وتبادل الاجازات . وممن قام بذلك العيّاشي ، صاحب الرحلة ، واليوسي [٢] ، وأحمد ابن ناصر الدّرعي [٣] ، ومحمد بن الطيّب القادري ... [٤] .

وإذا كان هؤلاء العلماء قد استغلوا رحلتهم لتدوين ماالتقطوه من فوائد ومعلومات ، فقد اغتنم ابن القاضي [٥] مؤرخ الدولة السَّعدية رحلته للقيام بعمل

١ ــــ بنعبد الله : الحركة الفكرية في العهد العلوي ، مجلة المغرب ، ص ١٢ .

٢ ــــ هو الحسن بن مسعود : فقيه مالكي وأديب من أهل المغرب ، توفي عام ١١٠٢ هـ (١٦٩١ م) ترجم له الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، القاهرة : المطبعة المصرية ، ١٢٩٧ هـ (١٨٧٩ م) ، ج ١ ، ص ٦٨ . ومحمد البشير ظافر الأزهري : اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة ، القاهرة : مطبعة الملاجيء العباسية ، ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) ، ج ١ ، ص ١٣٣ ج

٣ ــــ هو صاحب الرحلة الناصرية ، توفي عام ١١٢٩ هـ (١٧١٧ م) ، ترجم له محمد مخلوف : المصدر السابق ، ص ٣٣٢ . وعبد الحي الكتاني : فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ، فاس : المطبعة الجديدة ، ١٣٤٦ هـ (١٩٢٧ م ، ج ٢ ، ص ٨٨ .

٤ ــــ مؤرخ من أهل فاس ، توفي عام ١١٨٧ هـ (١٧٧٣ م) ، ترجم له يوسف سركيس : معجم المطبوعات ، القاهرة : مطبعة سركيس ، ١٣٤٦ هـ (١٩٢٨ م) ج ٢ ، ص ١٤٧٩ . وبنعبد الله : الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية ، الدار البيضاء : مطبعة فضالة ، ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م) ، ج ٢ ، ص ٣٢ .

٥ ــــ أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي الزناتي : مؤرخ رياضي من أهل مكناس ، ولي القضاء في سلا ، واشتهر أمره أيام المنصور السَّعدي . توفي عام ١٠٢٥ هـ (١٦١٦ م) ، ترجم له الأزهري : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٤ . وعبد الرحمن بن زيدان : إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس ، الرباط : المطبعة الوطنية ، ١٣٤٩ هـ (١٩٣١ م) ، ج ١ ، ص ٣٢٦ .

أوسع نطاقاً ، وهو تصنيف موسوعة عن الأعلام في المشرق والمغرب .
وكانت جهود السلاطين في تشجيع العلم والعلماء واضحة في حضور مجالس العلم واتحاف رجال الأدب بالهدايا (١) .

وقد امتاز عصر العيّاشي بظواهر منها : دخول عائلات يهودية في الاسلام ونبوغ علماء أفذاذ منهم لاسيما في فاس . ومنها وفرة التآليف ، خاصة التراجم الصوفية ، والمصنفات الفقهية المالكية ، وظهور أنماط جديدة من التآليف كمحاضرات اليوسي ورحلة العيّاشي ، وهي بمثابة دوائر معارف لما كان يروج في ذلك العصر من علوم . ولعلّ في مؤلفات ابن زاكور (٢) والمِرغْتي (٣) واليوسي والعيّاشي وآل الفاسي (٤) مايعطي صورة للحياة العلمية في تلك الفترة. فمن عالم وزّع وقته بين التدريس والعبادة إلى مؤلف لايعدو شرح النصوص الفقهية الجامدة أو جمع التراجم الصوفية أو وضع لوائح مطولة عن شيوخه واجازاتهم إلى فقيه انصرف للقضاء أو الفتيا فاحتكره حديث النوازل والأقضية والنزاع الفقهي (٥) . وقد كان غالب الفقهاء يرفضون المناصب الحكومية وينصرفون إلى التعليم احتساباً وتطوعاً ، بل إن أبا سالم العيّاشي فضّل السجن على تولّي القضاء (٦) .

---

١ ــ الأفراني : النزهة ، ص ١٢٩ ، ٣٠٤ .

٢ ــ محمد بن قاسم الفاسي : أديب فاس في عصره ، توفي ١١٢٠ هـ (١٨٠٨ م) ، ترجم له مخلوف : المصدر السابق ، ص ٣٣٠ . وعبد الحي الكتاني : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٣٠ .

٣ ــ محمد بن سعيد المِرِغْتي نسبة إلى مِرِغْتْ من قرى السّوس في المغرب الأقصى : فلكي طبيب وأديب ، توفي عام ١٠٨٩ هـ (١٦٧٨ م) ، ترجم له محمد أمين المحبّي : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، القاهرة ، ١٢٨٤ هـ (١٨٦٧ م) ج ٣ ، ص ٤٧٢ . ومحمد بن الحسن الحجوي الثعالبي : الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي ، فاس : مطبعة دار المعارف ١٣٤٠ هـ (١٩٢١ م) ، ج ٤ ، ص ١١٤ .

٤ ــ أشهرهم عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي : فقيه مالكي متصوف لم يشتغل بالتأليف ، وإنما كان يُستفتى فيفتي ، جمع بعض أصحابه فتاويه في مجلد ، توفي عام ١٠٩١ هـ (١٦٨٠ م) ترجم له : ابنه عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي : تحفة الأكابر في مناقب الشيخ عبد القادر مخطوط الخزانة الملكية في الرباط ، رقمه ٧٠٧ والمحبي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٤٤

٥ ــ بنعبد الله : الحركة الفكرية في العهد العلوي ، مجلة رسالة المغرب ، ص ١٣ .

٦ ــ محمد الأخضر : أعلام الرحالة المغاربة ، مجلة الثقافة المغربية ، عدد ٢ ــ ٣ ، شوال ــ محرم ١٣٨٩ ــ ١٣٩٠ هـ ، كانون الأول ــ آذار (ديسمبر ــ مارس) ١٩٦٩ ــ ١٩٧٠ م ، ص ٢٠٢

ومع أن العصر كان متسماً بالوجهة الصوفية والجمود الفقهي إلّا أن اتجاهات جديدة ظهرت على ساحة الفكر ، حيث أُلفت دواوين شعرية ومساجلات أدبية وكتابات تاريخية إلى جانب مؤلفات في الحساب والفلك والطب برع فيها علماء أفذاذ أمثال التَّمْنَارْتي الشاعر المؤرخ (١) والمِرِغْتي الفلكي الطبي (٢) .

ج ــ الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية :

كان للأمن والاستقرار النسبيين اللذين حققهما أحمد المنصور الذهبي أثرهما الكبير في ازدهار معالم الحياة الاقتصادية ، وبالتالي في تطور مظاهر الأحوال الاجتماعية في المغرب ، وذلك في أواخر القرن العاشر الهجري وأوائل القرن الذي تلاه (٣) . لكن بعد وفاته ظهرت بوادر المحنة والتدهور بانتشار البؤس والمجاعة والحروب الأهلية .

ويصور عبد الرحمن التَّمْنَارْتي أوضاع المغرب المتردية في هذه الحقبة حين يتكلم عن حوادث سنة اثنتي عشرة وألف فيقول : (بلغني وفاة أبي العباس المنصور ملك المغرب في هذا العصر ــ رحمه الله ــ وكانت وفاته بمدينة فاس ... فنزل الأرض بذلك ما نزلها ونالها من الفساد والفتن مانالها ... ووضع النفيس وارتفع الخسيس ، وفشا العار ، وخان الجار ، ولبس الزمان البؤس ، وجاء بالوجه العبوس ... ووردت المهالك ، وسدت المسالك ، وعم الجوع ... فإنّا لله وإنا إليه راجعون ، فيا لها من مصيبة ما أعظمها) (٤) .

وكان ممن وصف الحالة الاقتصادية والاجتماعية في المغرب خلال ذلك العصر الناصري . ومما قاله : (إن المغرب عرف غلاءً عظيماً في هذه الحقبة

---

١ ــ عبد الرحمن بن محمد التمنارتي : من علماء وأدباء السوس بالمغرب الأقصى ، ولي القضاء والفتوى لفترة ، توفي عام ١٠٧٠ هـ (١٦٥٩ م) ، ترجم له الأزهري : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٩٣ .

٢ ــ بنعبد الله : الحركة الفكرية في العهد العلوي ، مجلة رسالة المغرب ، ص ١٣ .

٣ ــ الفَشْتالي : المصدر السابق ، ص ٨٩ .

٤ ــ الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة ، مخطوط الخزانة العامة في الرباط ، رقمه : ١٤٢٠ د ، ص ١٩٤ .

حتى بيع القمح بأوقيتين [١] وربع للمدّ [٢] في مدينة فاس ، وبلغ صاع [٣] البرّ في مدينة سلا مثقالاً [٤] ، وانتشرت المجاعة لقلة المؤن حتى أكل الناس الجيف ، وكثر الموتى حتى أن صاحب المارستان [٥] في فاس أحصى بضعة آلاف في عام ١٠٢٣ هـ (١٦١٤ م) [٦] .

ومما لاشك فيه أن من أسباب تدهور الأوضاع وتفكك الأواصر الاجتماعية ماحصل من تنافس على السلطة ، كما مر سابقاً ، ومارافق ذلك من حروب وفتن واضطرابات . وطبيعي أن تتأثر الأحوال الاجتماعية والاقتصادية بالأوضاع السياسية ؛ فعندما تنصدع الجبهة الداخلية ، وتكثر الفتن ، ويغير الناس بعضهم على بعض ، وينعدم الأمن ، تتدهور بالتالي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية .

ومع أن الأوضاع السياسية تحسنت في عهد الرشيد العلوي فان الانتعاش الاقتصادي والتطور الاجتماعي لم يتحققا في وقت قصير . ذلك أنه لم يكن من الممكن الحصول على جيش مخلص ومجند من البلاد نفسها فلجأ إسماعيل العلوي أخو الرشيد إلى تجنيد المماليك الذين كان المنصور قد استجلبهم من السودان الغربي [٧] بعد غزوه لهذه المنطقة في عام ١٠٠٠ هـ (١٥٩٠ م)،

١ ـــ تساوي الأوقية ١ / ١٢ من الرطل ، والرطل في المغرب كان وزنه في القرن الحادي عشر ٥ر٤٣٧ غم . فالترهنتش : المكاييل والأوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري ، ترجمه عن الألمانية كامل العسيلي ، عمان : الجامعة الأردنية ، ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م ، ص ١٩ ، ٣٦ .

٢ ـــ يساوي المدّ ربع الصاع أي ١,٠٥٣ لتر . المصدر نفسه ، ص ٧٤ ـــ ٧٥ .

٣ ـــ مكيال لأهل المدينة يأخذ أربعة أمداد بمدهم المعروف عندهم ويساوي ٢١٢٥ر٤ لتر . المصدر نفسه ، ص ٦٣ .

٤ ـــ المثقال مايوزن به قليلاً كان أو كثيراً . وكان يعتبر في ذلك العصر من العملة . ومقدار المثقال العربي ٧٢ر٤ غم . علي باشا مبارك : الميزان في الأقيسة والأوزان ، القاهرة : المطبعة الأميرية ببولاق ، ١٣٠٩ هـ (١٨٩٢ م) ، ص ٤٩ .

٥ ـــ المستشفى . بنعبد الله : المعجم التاريخي ، الرباط : مكتبة المعارف ، ؟ ، ص ٦٠ .

٦ ـــ الناصري : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ١١٠ ـــ ١١٢ .

٧ ـــ كان يطلق السودان على ماوراء حدود الصحراء الكبرى غرباً وشرقاً . ويشمل السودان الغربي حوض السنغال وغمبيا وفولتا العليا والنيجر الأوسط . ويشمل السودان الأوسط المناطق المحيطة ببحيرة تشاد .

أما السودان الشرقي فيشمل مناطق النيل وروافده جنوب بلاد النوبة . عبد القادر زبادية : مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين ٨٩٩ ـــ ١٠٠٠هـ (١٤٩٣ ـــ ١٥٩١ م) ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م) ، ص ١٥ .

كما جند مماليك آخرين وجعل مركزهم في المحلّة (١) على مقربة من سيدي سليمان (٢) ووضع للانفاق على هذا الجيش نظاماً للضرائب أثقل كاهل الناس ، ونفّذ بلا رحمة (٣) .

ومع أنه كان من المتوقع أن تزدهر الزراعة مع استتباب الأمن إلا أنها تأثرت بسبب نقص اليد العاملة لأن عدداً كبيراً من المماليك أُلحقوا بالجيش (٤) .

وأخيراً يمكن القول أن العيّاشي تأثر بأحداث عصره حيث طغى الاتجاه الصوفي على فكره وآراءه ، ذلك أن العصر اكتسى صبغة صوفية في المجالات المختلفة . وعلاوة على ذلك فإن النزاع والتنافس على السلطة بين أبناء أحمد المنصور الذهبي وغيرهم من الطامحين إلى الحكم والزعامة أقحم البلاد في حرب أهلية أتت على الأخضر واليابس ، فانطبع أثر ذلك في نفس العيّاشي مما حدا به إلى القيام برحلته فراراً من ذلك الواقع المؤلم .

---

١ ـــ المحلّة في تاريخ العسكرية المغربية هي التجريدة التي لها محل ثابت تقيم فيه كحامية . إبراهيم شحاته حسن : أطوار العلاقات المغربية العثمانية ص ٢٩٠ .

٢ ـــ إحدى المدن الصغيرة في غرب المغرب ملحقة باقليم القنيطرة . بنعبد الله : الموسوعة المغربية (معلمة المدن والقبائل) ص ٢٨٠ .

٣ ـــ عبد الله العروي : تاريخ المغرب ، محاولة في التركيب . ترجمة ذوقان قرقوط ، بيروت : المؤسسة العربية للنشر ، ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) ، ص ٢٧٤ .

٤ ـــ المرجع نفسه ، ص ٢٧٥ .

ثانياً : أوضاع المدينة المنورة عند مجيء العياشي إليها

أ ـــ الحالة السياسية:

دخلت المدينة المنورة تحت النفوذ العثماني بدخول الحجاز تحت ذلك النفوذ ، وذلك بعد استيلاء السلطان سليم على مصر عام ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م) . فقد أرسل إليه شريف مكة بركات بن محمد ولده أبا نميّ ومعه مفاتيح الحرمين ، ففرح بذلك فرحاً عظيماً ، وثبّت الشريف على إمارتي مكة والمدينة (١) .

وبعد ذلك التمس الشريف أبو نميّ بن بركات من السلطان سليمان القانوني تولية ولده الثاني الشريف حسن ، فأجاب التماسه ، وتقلّد ابنه حماية الحرمين الشريفين وأعمالهما (٢) . ومن دلائل وقوع المدينة المنورة تحت حماية شريف مكة وتبعيتها لحكمه أنه حدث في عام ٩٦٣ هـ (١٥٥٥ م) أن خرج الركب المدني على عادته من المدينة إلى مكة في آخر ذي القعدة ، فتعرّض له جمع من قبيلة حرب ، وأخلوا سبيله بعد تسليم الاتاوة لهم ولمّا وصل الركب إلى مكة أخبروا الشريف بما حصل لهم مع الأعراب . وعند العودة من الحج رحل معهم الشريف بعساكره وباديته ومعه باشا جدّة وعساكره .

ويبدو من خروج باشا جدّة مع الشريف لمحاربة الأعراب أن العلاقات بين العثمانيين وأشراف مكة في هذه الفترة كانت طيّبة . على أن سوء التفاهم كان يتخلّلها في بعض الأحيان .

ولما اقترب الشريف من الأعراب هربوا وتحصّنوا بالجبال ، فنهب دورهم

---

١ ـــ العصامي : سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، القاهرة : المطبعة السلفية ، ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩ م) ج ٤ ، ص ٣١٩ .
٢ ـــ المصدر نفسه ، ص ٣٣٠ .

وأحرق نخيلهم ، ثم دخل المدينة ، وعاد إلى مكة بعد زيارة الحرم النبوي (١) .

لكن رغم تفويض العثمانيين لأشراف مكة ولاية الحرمين فقد جعلوا في المدينة المنورة أربع سلطات تابعة لهم بجانب ممثل شريف مكة .

١ــ سلطة قاضي الشرع : ومهمتها الفصل في الخصومات الفردية .
ومن الملاحظ أن القاضي لم يكن يحضر الاجتماع الذي يعقده شيخ الحرم في منزله ــ باعتباره أعلى سلطة في المدينة ــ وهو الاجتماع الذي كان يحضره باقي المسؤولين عن السلطة (٢) . ولعل هذا ناتج عن رغبته في عدم الخضوع لشيخ الحرم . ويبدو أنه كان يتمتع بسلطة قوية . ومما يدل على ذلك ماذكره العيّاشي عن مقدرته على إظهار العدل في المدينة ومنع أصحاب النفوذ من الظلم فيها . على أن ماقام به أدّى إلى غضب زعماء السلطة فيها ، لاسيما شريف مكة ، فكان ذلك سبباً في اغتياله (٣) .

٢ــ سلطة الشرطة : وتتولّى المحافظة على الأمن الداخلي (٤) .
ويبدو أنها كانت مرتبطة بمشيخة الحرم .

٣ــ سلطة الحاكم العسكري : وتتولّى المحافظة على الأمن في المنطقة المحيطة بالمدينة (٥) . ويرجّح أنها كانت تتبع لشيخ الحرم أيضاً .

٤ــ سلطة شيخ الحرم (كبير الأغوات) ، وهي السلطة العليا التي تتصل باستانبول (٦) .

---

١ ــ ابن المحبّ الطبري : اتحاف الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن ، مخطوط جامعة الملك سعود في الرياض ، رقمه : ٢٢٤ ، ص ٨٢ .

٢ ــ علي حافظ : فصول من تاريخ المدينة ، جدة ، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر ، ؟ ، ص ٢٩ ــ ٣٠ .

٣ ــ أبو سالم العيّاشي : ماء الموائد ، مخطوط الزاوية المحزاوية ، رقم : ١٨٢ ، ج ١ ، ص ٢١٢ وهو المعتمد هنا إلا إذا أشير إلى خلاف ذلك .

٤ ــ على حافظ : المصدر السابق ، ص ٣٠ .

٥ ــ المصدر نفسه ، ص ٣٠ .

٦ ــ أبو سالم العيّاشي : ماء الموائد ، ج ١ ، ص ٢٢٥ .

واشترط أن يكون كل من القاضي وشيخ الحرم عثمانياً ، كما اشترط أن يكون شيخ الحرم قد اشتغل في القضاء وعمل في مشيخة استانبول . وكان شيخ الحرم يعقد كل يوم جمعة مجلساً في منزله يحضره الحاكم العسكري وقائد الشرطة ومفتو المذاهب الأربعة وعدد من أعيان المدينة لدراسة مشاكل المدينة وحلّها (١) . ويؤيد ذلك ماذكره العيّاشي من أن شيخ الحرم تنفذ أحكامه وتمضي تصرفاته في القوي والضعيف ، وله سلطة كبيرة في المدينة إذ هو أحد حكامها الكبار (٢) .

ومن المعروف أن إمارة المدينة كانت لبني الحسين بن علي ـــ رضي الله عنهما ـــ . لكن في القرنين العاشر والحادي عشر ضعفت سلطتهم ، وصاروا كلهم إلا القليل بادية يرحلون وينزلون بضواحي المدينة ، وأصبحت السلطة الحقيقية في البلدة لبني الحسن حكام مكة (٣) . وقد عبّر العيّاشي عن ضعف أمير المدينة من بني الحسين حين وصوله إليها بقوله : (ثم يُدعى لأمير المدينة السيد الحسين بن جمّاز(٤) موصوفاً بكونه حامي حمى المدينة وأميرها .

على أنه فيما يظهر ليس له من ولاية المدينة وإمرتها إلا الاسم أو مايقرب منها لأنه تحت إمرة السلطان زيد(٥) والتصرف لنوّابه وأقاربه) (٦) .

ومن الممكن استنتاج مراتب السلطان في المدينة من الناحية الرسمية بترتيب أسماء من يُدعى لهم في خطبة الجمعة : (... بعد الدعاء لملك الترك موصوفاً بكونه ملك البرّين والبحرين والشامين والعراقين (٧) يُدعى للسلطان زيد بن

١ ـــ علي حافظ : المصدر السابق ، ص ٣٠ .
٢ ـــ أبو سالم العيّاشي : ماء الموائد ، ج ١ ، ص ٢٢٨ .
٣ ـــ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٢٨ .
٤ ـــ في الأصل الحسين بن حمّاد ، وكذا في النسخ . والصواب ماأثبت في المتن لأن بعض حكام الحجاز في هذه الفترة وماقبلها كان يعرفون بهذا الاسم .
٥ ـــ زيد بن محسن بن حسين بن أبي نمي : أمير مكة ، استمر في ولايته حتى توفي عام ١٠٧٧ هـ (١٦٦٦ م) ، ترجم له المحبّي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٦ وابن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، مكة ، المطبعة السلفية ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) ، ج ١ ، ص ٥٢ .
٦ ـــ أبو سالم العيّاشي : ماء الموائد ، ج ١ ، ص ٢٢٨ .
٧ ـــ هذا لقب كان يطلق على السلطان العثماني . ويبدو أنه من باب المبالغة والتفخيم .

محسن موصوفاً بكونه حامي حمى الحرمين الشريفين . ثم يُدعى لأمير المدينة الحسين بن جمّاز موصوفاً بكونه حامي حمى المدينة وأميرها)[1] .

ومما يلاحظ أن صاحب الرحلة رغم ماذكره عن أحوال المدينة السياسية والادارية فإنه لم يكن لديه أية فكرة واضحة عن كيفية ممارسة السلطة في الحجاز أكثر من قوله : (وعلى طول اقامتي بالمدينة لم أدر كيفية تصرف الولاة فيها ولا من له التصرّف التام بها ... ولم يشف لي أحد غرضاً في كيفية ذلك ولم أبالغ في الفحص عنه ...)[2] . لكن المتأمّل يرى أن الأمر في هذا الصدد لم يكن يحتاج إلى فحص ــ كما قال العيّاشي ــ إذا وُضع في الاعتبار ذلك الاطار المبسّط للادارة العثمانية في توزيع السلطات وفصلها ، فضلاً عن وضع الأشراف الذين كانت لهم أيضاً يد في تدبير الأمور ؛ إذ أشار العيّاشي نفسه إلى سلطة شريف مكة القوية داخل مكة وضعف تلك السلطة في المدينة وباقي أنحاء الحجاز [3] . وفضلاً عن ذلك فإن العيّاشي وصف شيخ الحرم النبوي بأن له سلطة كبيرة على القوي والضعيف في المدينة المنورة . وهذا الشيخ يعيّن ، عادة ، من قبل السلطة العثمانية في استانبول [4] .

وكان من مظاهر نفوذ العثمانيين بالمدينة وجود حامية عسكرية مهمتها من الناحية الرسمية حماية البلدة . إلا أن العيّاشي يصوّر وضعها قائلاً : (وبها طائفة كبيرة من عسكر الترك زاعمين أنهم معدّون لحراستها وفي الحقيقة إنّما يأكلون مال السلطان في غير شيء ، فلا يغيثون ملهوفاً ولايردعون ظالماً[5] . لكن في مواضع أخرى من الرحلة أثنى على العثمانيين [6] .

ويمكن تفسير ذلك بأن هناك صورة مزدوجة للوجه العثماني في نظرة العيّاشي عكستها كلمات الرحلة . وقد تراوح ذلك بين القبول بالدور التاريخي

---

١ ــ أبو سالم العيّاشي : ماء الموائد ، ج ١ ، ص ٢٢٨ .
٢ ــ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٢٨ .
٣ ــ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٢٤ .
٤ ــ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٢٨ ، وعلي حافظ : المصدر السابق ، ص ٣٠ .
٥ ــ أبو سالم العيّاشي : ماء الموائد ، ج ١ ، ص ٢٢٣ .
٦ ــ المصدر نفسه ، (طبعة الحجر بفاس) ، ج ٢ ، ص ١٩ ، ٣٦٣ .

الاسلامي للعثمانيين[1] ، وبين الاستنكار لسلوك الجور من جانب عسكرهم .

وعن علاقة أشراف الحجاز بالسلطة في المدينة المنّورة ومكة المكرّمة جاء حديث الرحلة من المنطلق الآتي : (وأحكام السلطان ـــ يقصد زيد بن محسن أمير مكة ـــ وإن كانت نافذة هناك أيضاً ـــ أي في المدينة ـــ فليست كمحلّ وطنه ـــ يقصد بذلك مكة ـــ)[2] .

وهكذا بقدر تسليم صاحب الرحلة بنفوذ شريف مكة على أرجاء الحجاز وتلقيبه بالسلطان تارة[3] وبالسلطان الأمير تارة أخرى[4] جاءت نظرته إلى هذا الشريف تتراوح بين الانجذاب إلى الصورة العربية البدوية لحياته في مكة بخلاف صورة الحياة التي يراها العيّاشي أعجمية في المدينة[5] ، وبين التطلع إلى نموذج العدالة الشرعية التي قدّمها القاضي العثماني القتيل بتدبير الشريف ، حيث أشاد بعدالة ذلك القاضي وأدان سلوك الجور عند الشريف العربي[6] . أما لقب السلطان الذي أضفته الرحلة ، هنا ، على شريف مكة فهو لقب ليس من ألقاب التنظيمات الادارية العثمانية ؛ إذ هو لقب السلطان العثماني نفسه ، وإنما هو بالنسبة لأمير مكة لقب لا يتعدّى نطاقه المدلول المحلي التقليدي لسلطة الشريف على الحجاز إن أغفلنا النفوذ العثماني في المدينة المنورة وجدّة ، وسطوة الأعراب في بوادي المنطقة .

١ ـــ وممّا يجدر الاشارة إليه أن كلام العيّاشي عن الدور الاسلامي لآل عثمان له مايبرّره لأن هؤلاء حفظوا لبلاد المسلمين وحدتها وكيانها قروناً عديدة . ولم يجد المستعمر الأوربي الآثم طريقاً إلى بلاد المسلمين إلا بعد سقوط الدولة العثمانية في مؤامرة صليبية يهودية معروفة أتت بالقوميين الأتراك إلى الحكم ، فقام هؤلاء بإثارة النّعرة القومية بين شعوب الدولة العثمانية مما أدى إلى إثارة العداء بين المسلمين . وكان في ذلك خدمة لأهداف الصليبيين واليهود الدنيئة حيث تمخض عنه سقوط الدولة العثمانية وتقسيم البلاد الاسلامية بين المستعمرين الأوربيين من انجليز وفرنسيين وإيطاليين ، وتقديم فلسطين لقمة سائغة للصهيونية . وقد امتنع على اليهود من قبل احتلال تلك الأرض الاسلامية العريقة عندما عرضوا على السلطان عبد الحميد تسديد جميع ديون الدولة العثمانية مقابل التنازل لهم عن فلسطين . لكن السلطان عبد الحميد رفض عروضهم قائلاً بأن فلسطين ليست ملكه وإنما هي ملك المسلمين انظر : عبد العزيز الشناوي : الدولة العثمانية ، دولة إسلامية مُفترى عليها ، القاهرة : مطبعة جامعة القاهرة ، ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) ، ص ٩٨٨ ـــ ٩٩١ .

٢ ـــ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٢٤ .

٣ ـــ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٢٨ .

٤ ـــ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢١٢ .

٥ ـــ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٢٣ .

٦ ـــ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢١٢ .

ويستنتج من المصادر أن هناك تنافساً على السلطة بين شريف مكة والسلطة العثمانية في المدينة ، كما يلاحظ أن العثمانيين كانوا يتدخلون للحدّ من سلطات الشريف فيها حين يرون أن هذه السلطة تجاوزت الحدود المقرّرة لها . وذلك مثلما حدث في عام ١٠٥٩ هـ (١٦٤٩ م) حيث قُتل قاضي الشرع في المدينة ، وحامت الشكوك حول شريف مكة زيد بن محسن فحاصره العسكر العثماني حتى أقنعهم بأن ذلك وقع بغير علمه . وفي اليوم التالي استدعى رؤساءهم لينظر في حالة القتلة ، لكنه حبسهم حتى وقعت فيهم شفاعة ففكّ أسرهم[١] .

وفي عام ١٠٧٩ هـ وصل حسن باشا مع الحاج الشامي إلى المدينة وبيده فرمان سلطاني بالتصرّف في شؤون الحجاز بسبب ماصدر من أهالي المدينة من شكايات ضد الشريف سعد بن زيد لكثرة ظلمه وبطشه . ثم توجه إلى مكة بعد منع خطباء المدينة من ذكر الشريف سعد . لكن سرعان ماقام أعيان الدولة بالصلح بينهما[٢] .

على أن تأزّم العلاقات بين الأتراك والأشراف كان يتبعه في الغالب الانفراج واستقرار الوضع في صالح الأشراف . وهذه الظاهرة ليست ناتجة عن ضعف العثمانيين ، لكن عن رغبتهم في احترام الأشراف واستمرار العلاقة الطيبة بهم .

ومن مضاعفات الأوضاع السياسية السيئة ، وتعدد مراكز النفوذ في المدينة المنوّرة أن أصبحت المناصب الشرعية ؛ خاصة القضاة ، تنال بالمال . فعظم الخطب على الناس حيث كان القاضي ينقض الحكم مراراً حسب مايقبض من الرشوة[٣] وترتّب على ذلك ، أيضاً ، انعدام الأمن بوجه عام في ضواحي المدينة ؛ فقبائل حرب المسيطرة على المناطق الممتدة بين مكة والمدينة كانت لاتقيم وزناً للسلطات في الحجاز بحيث استمرّت تمارس الظلم وقطع الطريق على المسافرين[٤] . على أن الأوضاع تحسنّت بمجيء الشريف سعد بن زيد إلى الحكم حيث فرض هيبته على الأعراب . وحين انتصر على قبيلة حرب سُرّ أهل المدينة بذلك ورحبّوا بدعوة

١ — ابن المحبّ الطبري : المصدر السابق ، ص ١٠٨ .
٢ — العصامي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٠٦ .
٣ — أبو سالم العيّاشي : ماء الموائد ، ج ١ ، ص ٢١٢ .
٤ — محمد بن عبد السلام النّاصري : الرحلة الكبرى ، مخطوط الخزانة العامة في الرباط ، رقمه : د ٢٦٥١ ، ص ٢٢١ .

الشريف لهم بأن يزيّنوا بلدتهم ثلاثة أيام بلياليها(١) . ومن مظاهر فرحة زعماء المدينة بانتصاره أن شيخ الحرم النبوي ، يوسف آغا ، والقاضي محمد أفندي الرومي(٢) قد خرجا من المدينة لمقابلة الشريف وسارا معه إليها(٣) .

وبديهي أن تكون خطبة الجمعة متعلقة بأحكام البغاة الخارجين عن طاعة إمامهم أثناء إقامة الشريف سعد بالمدينة . وبديهي ، أيضاً ، أن يسرّ الشريف بذلك وأن يعبّر عن ذلك السرور بإعطاء الخطيب خلعة لبسها أثناء الخطبة(٤) .

ب ـ الحياة الفكرية :

كان الرحالة المغاربة الذين يقدمون إلى الحجاز يعنون بالاتصال بعلماء الحرمين وغيرهم من الوافدين عليهما لتلقّي العلم والرواية عنهم ، كما كانوا يهتمون بوصف حلقات التدريس والكتب التي كانوا يطّلعون عليها .

ولهذا تعتبر الرحلات من المصادر المهمّة لدارسي الحياة العلمية في المدينة المنورة ولعل أبرز ماحوته الرحلات في هذا المضمار :

١ ـ أن المدينة كانت مركزاً ثقافياً مهماً في بلاد الحجاز لمكانتها الدينية . فقد ورد في رحلة الغنّامي أنّ ما من عالم صنّف كتاباً بالمشرق أو بالسند أو الهند أو العراق أو غيره من الأمصار إلا ويصرف نسخة للمدينة المنورة تبرّكاً ورجاء الاقبال على كتابه(٥) .

٢ ـ أن المسجد النبوي كان مقراً لحلقات العلم في مختلف العلوم التي كان لكل فنّ منها أماكن وأوقات محدودة(٦) .

---

١ ـ عبد الغني بن إسماعيل النّابلسي : الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد مصر والحجاز والشام ، مخطوط جامعة الملك سعود في الرياض ، رقمه : ف ٣٣٩ / ١ ، ورقة ٦٧ أ .

٢ ـ المقصود بالروم الشعوب القاطنة في آسيا الصغرى (أي تركيا الحالية) . ومن ينتمي إلى هذه البلاد يطلق عليه الرومي وإن كان مسلماً .

٣ ـ المصدر السابق ، ورقة ٧٠ أ .

٤ ـ المصدر نفسه ، ورقة ٧٣ ب .

٥ ـ عبد الرحمن بن أبي القاسم الشاوي المعروف بالغنامي : رحلة القاصدين ورغبة الزائرين ، مخطوط الخزانة الملكية في الرباط ، رقمه : ٥٤٥٦ ، ص ٩ .

٦ ـ النّابلسي : المصدر السابق ، ورقة ٦٨ أ .

٣ ــ أن العلماء المتخصصين كانت لهم مؤلفات عديدة تضمها مكتباتهم الخاصة وكثيراً ماكانوا يُطلعون عليها غيرهم ويسمحون لهم بالنقل منها . وكان النقاش حول المسائل العلمية يدور في تلك المكتبات المنزلية[١] .

٤ ــ أن المسجد النبوي كانت فيه مكتبة عمومية تضم عدداً كبيراً من الكتب تعار لطلبة العلم بواسطة ناظر المكتبة .

٥ ــ أن يومي الثلاثاء والجمعة كانا يومي إجازة للمدرسين وطلابهم[٣] .

٦ ــ أن العلماء والطلبة كانوا يتبادلون الزيارات التي تشتمل ، أحياناً ، على مناقشات علمية[٤] .

٧ ــ أنه لم يكن هناك دخل ثابت للمعلمين وإنما كانوا يقيتون أنفسهم بطرق مختلفة مثل تلقي الأجور من أولياء أمور الطلبة ونسخ الكتب[٥] .
وقد تأتي بعضاً منهم صدقات من الأوقاف المختلفة وإن كانت غير مستمرة[٦] .

٨ ــ أن العلماء كانوا يجيزون طلبتهم في شتى أنواع المعرفة . وتتضمن الاجازة التعريف بالعالم وشيوخه ، كما تحمل اسم طالب العلم المجاز ، وتوقيع العالم أو اسمه ، وتاريخ الاجازة[٧] .

ج ــ الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية :

كان المستوى الاجتماعي لأهل المدينة في عصر العيّاشي قد بلغ مكانة مرموقة في التحضّر الرفيع . ويرجع ذلك أساسا إلى التفتح أمام تيارات حضارية مختلفة نظراً لأهمية المدينة المنورة كمركز ديني يفد إليه الناس من كل حدب وصوب .

---

١ ــ المصدر نفسه ، ورقة ٨٣ أ ، ٨٦ أ .
٢ ــ ابو سالم العيّاشي : ماء الموائد ، ج ١ ، ص ٢٠٩ .
٣ ــ المصدر نفسه ، ، ج ١ ، ص ٢١٣ .
٤ ــ المصدر نفسه ، ورقة ٨٣ أ ــ ب .
٦ ــ (رحلة السنوسي) ، مجلة العرب ، ج ٣ ــ ٤ ، رمضان ــ شوال ، ١٣٩٨ هـ ، أيلول ــ تشرين الأول (سبتمبر ــ أكتوبر) ١٩٧٨ م ، ص ٢٨٦ .
٧ ــ ابن الصُغَيِّر الدِّرْعي : الرحلة الحجازية ، مخطوط الخزانة العامة في الرباط ، رقمه : ٢٩٧ ق ص ١٩٣ .

لقد كان أهل المدينة يهتمون بمظاهر العمران وبالموقع الجميل . ومثال ذلك إقامتهم الدور ذات الشبابيك المطلة بمجالسها على وادي بُطْحَان[١] .

وكانوا ، أيضاً ، يهتمون بالتوسع في المعيشة والتنوع في المآكل والمشارب ، كما شُغفوا بأكل اللحم حتى أن من نسائهم من لايطبخن أكلاً إلا بوجود اللحم . بل ان الأثرياء جداً من خَصَّص أحد مماليكه لشراء اللحم[٢] وكانوا يهتمون باللباس فيرتدون الملابس الفاخرة ويتزيّنون بزي العجم[٣] .

ويبدو أن لهذه المظاهر الحضارية صلة باحتكاك أهل المدينة بأقوام ذوي جنسيات مختلفة . لكنها كانت تنحصر في شريحة من شرائح المجتمع وهي طبقة الأغنياء مما يعكس وضعاً اجتماعياً متبايناً بين مختلف فئاته .

وكانت الأركاب تأتي إلى المدينة أيام موسم الحج[٤] ، ولكل منها نشاط يقوم به سواء داخل الحرم أو خارجه[٥] . ففي داخل الحرم كانت تجري مناظرات فقهية وحفلات بمناسبة الزواج وبمناسبة المولد النبوي حيث يقوم الشعراء بإلقاء قصائدهم وترتيل المدائح النبوية[٦] . وكانت مراسم هذه الحفلات تتطلب إعداد مراتب الحاضرين من أمراء وأعيان وغيرهم من سائر الناس[٧] . وبعد الشروع في الحفل يُؤتى بأنواع الأشربة الحلوة وأطباق اللوز والسكر والحلوى فتفرق على الحاضرين ، وتوضع أنواع الأزهار بين أيدي الأمراء والأعيان[٨] .

وفي خارج الحرم كانت تقام مواسم وحفلات أخرى كخروج أهل المدينة

---

١ ــ أبو سالم العيّاشي ، ماء الموائد ، ج ١ ، ص ١٩٨ .
٢ ــ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٢٣ .
٣ ــ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٢٣ .
٤ ــ كانت أهم الأركاب التي تفد إلى بلاد الحجاز في موسم الحج ــ حسب ماورد في الرحلات المغربية ــ تتكون من الركب المغربي والمصري والشامي والعراقي واليمني والعثماني والهندي والبنغالي والقرماني والكنكي . وهي إشارة تفهم منها الحدود الجغرافية بين البلدان الاسلامية .
٥ ــ أبو سالم العيّاشي : ماء الموائد ، ج ١ ، ص ١٧٨ ــ ١٧٩ .
٦ ــ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٠٦ ــ ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١٧ .
٧ ــ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢١٠ .
٨ ــ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢١١ .

في شهر رجب إلى أُحد حيث يحتفلون فيه بزيارة قبر حمزة وقبور الشهداء ــ رضي الله عنهم ــ ، فتنصب هناك الخيام ، وتقام الأسواق ويحصل من اللّهو والطرب واللّعب والرمي بالمدافع والمحارق الشيء الكثير(١) . وفي فصل الربيع عندما يسيل وادي العقيق يخرج الناس على اختلاف طبقاتهم ، فينصبون أخبيتهم على حافتيه ويطبخون الطعام مع مايرافق ذلك من سرور ولهو وطرب(٢) .

وكان الأغوات الطواشية في ذلك العهد يمثلون مجتمعاً له عاداته وتقاليده الخاصة به(٣) .

وهناك عادات جاءت دخيلة على المجتمع المدني ، ومنها وضع الرياحين على القبور ، وما لنساء المدينة من عادات كالشّخشخة(٤) ، وكخروجهنّ للتفسّح في المنتزهات والبساتين(٥) .

وفي هذا الصدد استنكر العيّاشي الصبغة الحضرية العجمية التي وجد عليها مجتمع المدينة ، ولذلك جاء تفضيله لمجتمع مكة الذي رأى فيه صورة المجتمع البدوي الأصيل(٦) .

ولم يغفل العيّاشي أن يرسم الجانب الاقتصادي من العلاقات بين المدينة المنورة وباقي البلدان الاسلامية في تحديد موارد أهل المدينة المالية بقوله :(إنهم يشتغلون بقبض الأوقاف والهدايا التي تأتيهم من الآفاق)(٧) . وكذلك كانت هناك المكوس المحصّلة من الحجاج من غير رعايا الدولة العثمانية . وقد أحصى الرحالة من هؤلاء : المغاربة الوافدين من المغرب الأقصى وحجاج الهند وحجاج عراق العجم (إيران) (٨) .

---

١ ــ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٨٦ .

٢ ــ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٩٧ .

٣ ــ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٢٥ ــ ٢٢٨ .

٤ ــ مبلغ من المال يمنحه الزوج لزوجته يومياً لتشتري ماتشتهيه من الأزهار ، المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٢٣ .

٥ ــ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٨٤ .

٦ ــ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٢٣ .

٧ ــ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٠٩ .

٨ ــ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٠٥ .

ومن الملاحظ أن موسم الحج يعتبر من أهم أيّام السنة بالنسبة لتجار المدينة خاصّة أنهم يتمتعون خلاله بحرية في بيعهم دون مراقبة من السلطات المحلية[١]. وكانت لهم طرق للتعامل في البيع والشراء[٢] . وكانت أنواع العملات المتداولة في المدينة وقتذاك الدينار[٣] والريال[٤] والقرش[٥] والقيراط[٦] . وكانت متاجرة أهل المدينة مع أعراب البادية لاتنقطع ؛ فهؤلاء يجلبون الغنم والسمن والأقِط[٧] إلى المدينة ، ثم يقوم أناس يسمّون البرغازون[٨] بشراء تلك الأشياء قبل دخول الأعراب إلى الأسواق ، وبعد ذلك يبيعونها لأهل المدينة[٩] .

وكان لبعض الناس أساليب في كيفية تأمين الدواب لمن يحتاجها للسفر عليها[١٠].

وتوجد في ضواحي المدينة أراضي خصبة صالحة للزراعة ، وآبار كثيرة

---

١ ـــ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٠٩ .
٢ ـــ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢١٨ ـــ ٢٢١ .
٣ ـــ الدينار كلمة رومية من ديناريوس (Denarius) . وهي القطعة المضروبة من الذهب للمعاملة . وتختلف قيمته من عصر إلى آخر باختلاف جوهره . انستانس الكرملي : النقود العربية وعلم النميّات القاهرة : المطبعة العصرية ، ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) ، ص ٢٥ .
٤ ـــ الريال نوع من المسكوكات الفضية ، وأول من أجراه في السوق الأسبان ، واسمه عندهم ريل (Real) ومعناه الملكي . وقد اختلف سعره حسب الأزمنة والأماكن . المصدر نفسه ، ص ١٨٤ .
٥ ـــ القرش من المسكوكات . وهو نقد أصله ألماني (Groshen) . المصدر نفسه ، ص ١٨ .
٦ ـــ القيراط كلمة عربّت من اليونانية (Keration) ، ثم اقتبسها الفرنسيون من العرب فقالوا : (Cara) . ويختلف وزن القيراط بحسب البلاد . المصدر نفسه ، ص ٢٨ .
وكان القيراط في عصر العيّاشي من العملة ، أمّا في عصرنا الحاضر فلا يستعمل إلا لوزن الذهب والماس وأشباهها من الأحجار الكريمة .
٧ . ـــ لبن مجفف يابس . ابن منظور : لسان العرب ، اعداد يوسف خياط ، ؟ ، بيروت : دار لسان العرب ؟ .
٨ . ـــ اشخاص يتلقّون السلع من الأعراب قبل دخولها إلى الأسوق ، ثم يبيعونها بربح لأهل المدينة كما يبدو من السياق .
٩ . ـــ أبو سالم العيّاشي : ماء الموائد ، ج ١ ، ص ٢٢١ .
١٠ ـــ تتم عملية تأمين الدواب عن طريق أشخاص يجلسون عادة عند باب المصري . ومهمتهم عقد الكراء بين الكاري والمكتري ، وضمان ماعسى أن يصدر من الجمّال من غدر أو هروب في الطريق مقابل أجرة يأخذونها من الطرفين . المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٢١ .

عذبة يُسقى بها النخيل ، وفواكه وخضر كثيرة كالعنب والرمّان والجزر والباقلاّء والملوخية والبامية والبصل واللّفت والباذنجان والقرع[1] .

وبهذه المنتجات الزراعية كان جلّ انتفاع أهل المدينة في مجال التغذية وكان لارتفاع أسعار القمح والشعير والتمر والخضراوات والفواكه وانخفاضها صلة بمواسم الأمطار ؛ إذ ترتفع الأسعار في الجذب لقلة المطر ، وتنخفض ربيعاً لكثرته[2] .

١ ــــ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٢٢ . ومحمد بن عبد السلام الناصري : المصدر السابق ، (مخطوط الخزانة العامة في الرباط) ، ص ٢٨٩ .

٢ ــــ أبو سالم العيّاشي : ماء الموائد ، ج ١ ، ص ٢٢٢ .

الفصل الثاني

ترجمة المؤلف

- حياته .
- رحلته .
- شيوخه .
- تلاميذه .
- مؤلفاته .
- آراؤه .

أ ـــ في التصوف .
ب ـــ الانتماء المذهبي .

حياتــه .

هو أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العيّاشي نسبة إلى آيت[1] عيّاش . وهي قبيلة من البربر تقع بلادهم في جنوبي شرق المغرب[2] . على أن العياشي عربي الأصل علوي ؛ إذ ينتمي في نسبه إلى الأدارسة . وكان يعرف بعفيف الدين المالكي[3] .

ولد لليلة بقيت من شعبان عام ١٠٣٧ هـ الموافق للرابع من أيّار (مايو) ١٦٢٨ م في قرية (تازروفت) الواقعة في الأطلس الكبير على ضفة أحد روافد نهر زيز[4] . وقد نشأ في حجر والده حيث قال في كتابه اقتفاء الأثر : (ربّاني فأحسن تربيتي ، وغذّاني بنفائس علومه فأحسن تغذيتي ، وقرأت عليه القرآن أكثر من مرّة ، وسمعت عليه وظيفة[5] الشيخ زرّوق[6] من لفظه ، ولقّنني الذكر ، ولقّنني دعاء التوبة للشّاذلي[7] ، ولم يزل يتعاهدني بوصايته النافعة ومواعظه البالغة ، وكتب لي من ذلك مأرجو البركة وحصول البغية في التمسك به إن شاء الله)[8] .

---

١ ــــ كلمة بربرية بمعنى آل .

٢ ــــ عبد الحي الكتاني : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٣ .

٣ ــــ محمد الأخضر : المصدر السابق ، ص ٢٠١ .

٤ ــــ عبد الله العيّاشي : المصدر السابق ، ص ٤٢ .
كان يطلق على هذه القرية اسم الزاوية العيّاشية . وحالياً تحمل اسم زاوية سيدي حمزة ، وتقع في سفح جبل العيّاشي جنوب مدينة (ميدلت) ، على بعد ستين كيلاً منها .

٥ ــــ حصة معينة من الأدعية والأذكار يقرأها الشيخ مع مريديه في كل يوم حسب معرفتي .

٦ ــــ أحمد بن أحمد الفاسي المعروف بزرّوق : فقيه ومحدث من الصوفية ، توفي عام ٨٩٩ هـ (١٤٩٣ م) ، ترجم له : السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن السابع ، القاهرة : مكتبة القدسي ، ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) ج ١ ، ص ٢٢٢ . وأحمد بن حسين الأنصاري : المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، الاستانة : مطبعة جمال أفندي ، ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م) ، ج ١ ، ص ١٨١ .

٧ ــــ متصوف مغربي صاحب الطريقة الشّاذلية ، توفي عام ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) ، ترجم له : صلاح الدين الصفدي : نكت الهميان في نكت العيان ، تحقيق أحمد زكي ، القاهرة : المطبعة الجمالية ١٣١٩ هـ (١٩١١ م) ص ٢١٣ .

٨ ــــ أبو سالم العيّاشي : اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر ، مخطوط الخزانة الملكية في الرباط ، رقمه ٣٩١٧ ، ص ٤ .

وقد قضى المؤلف أكثر عمره في الزاوية العيّاشية . وهذه الزاوية تنسب إلى والده محمد بن أبي بكر العيّاشي الذي أسسها عام ١٠٤٤ هـ (١٦٣٤ م) بإشارة من شيخه محمد بن أبي بكر الدِّلائـي ، وهو الذي أذن له في إطعام الطعام بالزاوية .

وكان محمد بن أبي بكر العيّاشي يمنح الأوراد للناس الذين يقصدونه من القبائل البعيدة ، فتكاثر الواردون على الزاوية العيّاشية حتى ضاق مسجدها بالمصلين يوم الجمعة ، فوسّعه أبو سالم العيّاشي وجدّد بناءه عام ١٠٦٦ هـ (١٦٥٥ م) لمّا آل إليه أمر الزاوية[١] . ثم أخذ يشتغل بتدريس العلم وتربية المريدين ، وسار على نهج والده في الاتصال بالدِّلائيين ، وله معهم مراسلات علمية ومساجلات أدبية شعرية ونثرية[٢] .

وقد كادت الزاوية العيّاشية تلقى المصير الذي لقيته الزاوية الدِّلائية ، لأن بعض الحكام في المغرب كانوا يتوجّسون من أبي سالم ومن أهل زاويته خيفة بالنظر لمكانته العلمية وكثرة أتباعه ومريديه ، فأُجلي عن بلده مرتين .

الأولى : أيام السّعديين لكونه رفض تولّي القضاء بمرّاكش حين عرضه عليه السلطان محمد الشيخ السّعدي ، فأُرغم على الاقامة بفاس عاماً كاملاً سنة ١٠٦٣ هـ (١٦٥٢ م)[٣] .

والثانية : في عهد العلويين حين نفاه السلطان الرشيد العلوي مع عشيرته إلى فاس في عام ١٠٧٩ هـ (١٦٦٨ م) . وفشلت توسلات العيّاشيين في السماح لهم بالعودة إلى زاويتهم حتى ولي الأمر إسماعيل ، فأذن لهم بالرجوع إليها عام ١٠٨٣ هـ (١٦٧٢ م)[٤] .

ولقد كان أبو سالم قوّالاً للحق ، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، متصدّياً للقراءة ، راغباً في تحصيل العلم وفي إحياء رسوم رواية الحديث ، علماً

---

١ ــ لايزال المسجد المذكور يُصلّى فيه ، وقد دخلته .

٢ ــ سليمان الحوّات : البذور الضّاوية في التعريف بالسّادات أهل الزاوية الدّلائية ، مخطوط الخزانة العامة في الرباط ، رقمه : ٢٦١ د ، ج ١ ، ص ٣٤٤ ــ ٣٤٥ .

٣ ــ محمد الأخضر : المصدر السابق ، ص ٢٠١ ــ ٢٠٢ .

٤ ــ محمد حجي : المصدر السابق ، ص ٦٥ .

منه أن علوّ الاسناد مرغوب فيه عند النقاد[1] . والمطّلع على مؤلفاته وبالأخص رحلته ماء الموائد يجده عالماً كبيراً يستحق أن يفرد بالتأليف .

وكان متمسكاً بالزهد والورع ، جانحاً إلى الطريقة الصوفية ، له أتباع وشهرة في المناطق المحيطة بزاويته[2] . وكان في غاية الجدّ والاجتهاد ؛ ضبط أوقاته الضبط الذي طولب به أهل العلم ، مع ماعرف به من لين وعطف وسخاء ونصيحة[3] .

رحلتـــه :

قام أبو سالم العيّاشي بثلاث رحلات إلى المشرق : الأولى عام ١٠٥٩ هـ (١٦٤٩ م) ، والثانية عام ١٠٦٤ هـ (١٦٥٣ م) ، والثالثة عام ١٠٧٢ هـ (١٦٦١ م) . لكن من الملاحظ أن كتاب رحلته لم يتضمن إلا أخبار رحلته الثالثة التي سجل فيها ملاحظاته ومشاهداته عن الحواضر والبوادي فيما يلي سِجِلْمَاسَة شرقاً عبر الجزائر وتونس وليبيا ومصر والحجاز وفلسطين . وقد توزعت أشواط سير الرحلة بين شوط الطريق الصحراوي جنوبي الجزائر وتونس وشوط الطريق الساحلي الذي يبدأ شمال شرقي تونس عبر طرابلس وبرقة والاسكندرية ، ثم شوط الطريق النيلي الواقع بين القاهرة والسويس ، وشوط الطريق الصحراوي المارّ عبر جنوب سيناء حتى ينبع ، ومنها إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ـــ وهما الهدف المأمول من مثل هذه الرحلة الطويلة ـــ وأخيراً الشوط الخاص بزيارة القدس عبر الرَّملة .

وقد ذكر العيّاشي في الجزء الأول ممّا كتبه أنه خرج من بلده صبيحة يوم الخميس في أول يوم من ربيع الثاني عام ١٠٧٢ هـ (١٦٦١ م) . وأخذ يصف

---

١ ـــ عبد الله العيّاشي : المصدر السابق ، ص ٤٤ . وعبد الحيّ الكتّاني : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٤ .

٢ ـــ الأفراني : صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر . مخطوط الخزانة العامة في الرباط ، رقمه : ٩٠٤ د ، ص ٢٨١ .

٣ ـــ حمزة العيّاشي : الزهر الباسم في جملة من كلام أبي سالم . مخطوط الخزانة العامة في الرباط رقمه ٣٠٤ ك ، ص ٣ .

الأمصار والوديان والأماكن التي مرّ بها خلال أقطار المغرب حتى وصل إلى القاهرة . فمكث فيها مدّة وعُني بوصف معالمها وبعض جوامعها ومزاراتها ، كما وصف مقبرتها وماكان يجري في مصر من مراسم تقام عند الأضرحة . ثم ذكر لقاءه لعدد من علماء مصر ، ووصف ركب محمل الحاج المصري ومسيره مع ذلك الركب عن طريق السويس وسيناء . وبعد دخوله لمكة المكرّمة وصف المشاعر المقدسة ، كما قام بزيارة مساجدها ومعالمها وضواحيها وأوديتها ، ثم ذكر لقاءه لبعض علمائها وجماعاتها الصوفية . وبعدئذ انتقل إلى المدينة المنورة ، فذكر المشاهد التي تزار فيها ، وقام بزيارة المسجد النبوي كما زار مساجدها الأخرى ومقبرتها وآبارها وأوديتها وجبالها ، ثم ذكر عادات أهلها وأساليبهم في التجارة والمعاملة والحكم ، فأوفاها حقها . وفضلاً عن ذلك فإنه أسهب في ذكر من لقيهم من العلماء ، وأشار إلى مؤلفاتهم واجازتهم له بعد أن أقام ثمانية شهور في المدينة .

أما الجزء الثاني فقد ذكر فيه سفره إلى مكة المكرمة ومكوثه شهر رمضان فيها ، كما وصف عوائد أهلها في هذا الشهر المبارك . وقد جاور هذه المدّة فيها طويلاً ، وتحدث عمّن لقيه بها من العلماء ، ومن سمع عليهم مروياته . ثم قام بزيارة جدّة والطائف ، وانطلق بعد ذلك عائداً إلى المدينة ، وتحدث عمّن لقيهم من علمائها بعد عودته إليها ، وأورد كثيراً من القصائد التي سمعها من العلماء والأدباء . ثم غادر المدينة واتجه إلى الرّملة في فلسطين ، ومنها إلى مدينتي القدس والخليل . ثم سار إلى غزّة فالعريش ، ومنها إلى القاهرة حيث لقي فيها بعض العلماء . ثم سافر إلى الاسكندرية فذكر عجائبها ومزاراتها . ومنها اتجه غرباً إلى طرابلس ، واخترق تونس ، وزار مدينة القيروان ، ثم سار إلى توزر وبسكرة وغيرها من بلاد هذه المنطقة . ولم يهمل ، سواء في الذهاب أو الاياب ، ذكر الأضرحة والزوايا التي مرّ بها في خطّ سيره ، بل أطنب في ذكرها اطناباً ملحوظاً .

وفي ظهر يوم الأربعاء السابع عشر من شوال عام ١٠٧٤ هـ ، ١٣ أيار (مايو) ١٦٦٣ م وصل أبو سالم إلى بلده حيث ختم كتابه بقوله : (ووصلنا بلدنا ــ أمّنه الله من كل سوء ــ يوم الأربعاء ظهراً سابع عشر شوال من سنة أربعة وسبعين وألف ، وألقينا عصا التسيار ، واستقرّت بنا الدار ، وأكثرنا

الاستغفار للملك الغفّار ، وحمدنا الله على السلامة من ركوب الأخطار ، والنجاة من غوائل الأسفار)[1] .

هذا مجمل الرحلة بوجه عام . أما مواضع الرحلة بالنسبة للقسم المحقق ــ وهو يدخل ضمن منطقة الحجاز ــ فيمكن تناولها من النواحي الطبوغرافية والأثارية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية على الوجه الآتي :

ــ الحديث عن جبال المدينة المنورة وآبارها وأوديتها وأماكنها .
ــ وصف مقبرة المدينة المنوّرة ومساجدها القديمة .
ــ علاقات الحكم في حواضر الحجاز وبواديها التي مرّ بها الرحّالة ، وصلة ذلك بالسلطات العثمانية من ناحية ، وسلطة الأشراف من ناحية أخرى ، والتسيّب لدى عربان البوادي من ناحية ثالثة .
ــ الظاهرة الحضرية في المدينة المنوّرة خصوصاً والحجاز عموماً وما يتصل بذلك من علاقات اقتصادية ومعاملات تجارية .
ــ المظاهر الاجتماعية في مكة المكرّمة والمدينة المنوّرة : الأولى في إطارها البدوي ، والثانية في إطارها الاغترابي ، وظاهرة السلوك لدى العربان بين نزعة الثورة والاغارة اللّصوصية ، وقضية الأمن عند السلطة العثمانية .
ــ حديث اللقاءات الفكرية مع المشايخ في الحرمين الشريفين ، وحلقات الدرس والاجازات العلمية ، ونظام الاستعارة في مكتبة الحرم المدني .

شيوخــه .

كان أبو سالم العيّاشي كثير الاقبال على العلم ، فلازم حلقات الدرس ، وأخذ على الأعلام من علماء المغرب الكتب المشهورة . فقد رحل إلى وادي درعة حيث لازم الشيخ محمد بن ناصر الدّرعي ، وأخذ عنه الفقه والحديث

١ ــ أبو سالم العيّاشي : ماء الموائد (طبعة فاس الحجرية) ج ٢ ، ص ٤٢٢ .

والتفسير والتصوف[1] . وبعد ذلك توجه إلى مدينة مرّاكش ولقي فيها الشيخ أبا بكر بن يوسف السَّكْتاني المُرّاكشي[2] الذي لقّنه الذكر ، وأجازه إجازة عامة مشتملة على لبس الخرقة[3] ، والجلوس على السجّادة لموعظة المريد[4] .

وحين أُجلي العيّاشي مع عشيرته إلى فاس عام ١٠٦٣ هـ (١٦٥٢ م) وأقام هناك سنة كاملة سنحت له الفرصة للقراءة على أشهر أساتذة عصره في المغرب أمثال الشيخ عبد القادر بن يوسف الفاسي ، وهو أعظم شيوخه ، لازمه في فنون كثيرة من الحديث والمنطق والكلام والتفسير والفقه ، وغير ذلك من علوم اللّسان والدّين[5] . وقد أجازه إجازة عامة حيث قال : (... قد أجزت الفقيه المذكور ــ أبو سالم العيّاشي ــ في جميع ماذكر ممّا قرأ معنا وسمعه منّا ، وفي جميع مايجوز له من مقروء ومسموع ومجاز ومنظوم ومنثور وماثبت أنه لي ، كل ذلك بشرطه المعتبر عند أهل الأثر ، وأذنت له أن يحدّث عنّي بذلك من شاء وكيف شاء ، وأن يروي عني ذلك كله بأخبرني وحدّثني أو أي لفظ شاء ...)[6] .

---

١ ــ أبو سالم العيّاشي : اقتفاء الأثر ، ص ٨ .

٢ ــ متصوف رحل إلى المشرق فمكث في مصر ، وجاور في الحجاز ، وزار بيت المقدس ، توفي بمرّاكش عام ١٠٦٣ هـ (١٦٥٢ م) . ترجم له : بنعبد الله : الموسوعة المغربية ، ج ٣ ، ص ١٠ .

٣ ــ مايلبسه المريد من يد شيخه الذي يدخل في إرادته ويتوب على يده . بنعبد الله : المعجم الصوفي ص ١٨ .

٤ ــ محمد الأخضر : المصدر السابق ، ص ٢٠٢ . لكن أبا سالم قال في اقتفاء الأثر بأنه لقي يوسف السّكتاني المُرَاكْشي بمصر ، فصحبه إلى المغرب في الرجوع ، وسمع منه ، وأجاز له السَّكْتاني مروياته عن جميع أشياخه .

٥ ــ عبد الرحمن الفاسي : ابتهاج القلوب بخبر الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجذوب ، مخطوط الخزانة العامة في الرباط ، رقمه : ٣٢٦ ك ، ص ٢٩٦ .

٦ ــ القادري : التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار أعيان أهل الحادية والثانية عشر . مخطوط الخزانة الملكية في الرباط تحت رقم : ١٢٢ ، ص ٩٤ .

ومن العلماء الذين قرأ عليهم أبو سالم العيّاشي في المغرب :

١ ـــ الشيخ أحمد بن موسى الأبّار(١) : قرأ عليه مختصر خليل(٢) في فقه مالك وسمع عليه جملة من صحيح البخاري ، وأجازه إجازة عامة(٣) .

٢ ـــ الشيخ ميّارة(٤) : قرأ عليه جملة من كتب الفقه ، وسمع من لفظه شرحه على لامية الزقاق ، وأجاز له سائر مروياته(٥) .

٣ ـــ القاضي محمد بن سودة (٦) : سمع منه جملة من الفقه المالكي ، وأجازه إجازة عامة(٧) .

٤ ـــ الشيخ عبد الرحمن بن عبد القادر(٨) : قرأ عليه الروضة(٩) وقصيدته في الاسطرلاب ، وأجازه إجازة عامة(١٠) .

---

١ ـــ أبو العبّاس أحمد الملّقب بحمدون بن موسى الأبّار : كان مدرساً بجامع القرويين ، وهو صاحب كتاب الحاشية على المختصر : توفي عام ١٠٧١ هـ (١٦٦٠ م) ، ترجم له : عبد الهادي التازي : جامع القرويين ، بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٣٩٢ هـ (١٩٧٢ م) مج ٣ ، ص ٧٩١ .

٢ ـــ خليل بن إسحاق بن موسى : فقيه مالكي من أهل مصر ، ولّي الافتاء على مذهب مالك ، توفي عام ٧٧٦ هـ (١٣٧٤ م) ، ترجم له : ابن حجر العسقلاني : الدّرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ، حيدر أباد ـــ الهند ـــ : مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٥٠ هـ (١٩٣١ م) ج ٢ ، ص ٨٦ . والسيوطي : حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، تصحيح محمد ابن أحمد البخاري ، القاهرة : مطبعة ادارة الوطن ، ١٢٩٩ هـ (١٨٨١ م) ج ١ ، ص ٢٦٢ أما المختصر فهو كتاب في الفقه على مذهب الامام بمالك . وقد اعتنى كثير من العلماء بشرحه سركيس : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٨٣٦ .

٣ ـــ أبو سالم العيّاشي : اقتفاء الأثر ، ص ٧ .

٤ ـــ محمد بن أحمد أبو عبد الله ميّارة : فقيه مالكي من أهل فاس ، توفي عام ١٠٧٢ هـ (١٦٦١ م) ترجم له : محمد بن جعفر الكتّاني : سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس فيمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس ، فاس : المطبعة الحجرية ١٣٠٦ هـ (١٨٩٨ م) ، ج ١ ، ص ١٦٥ .

٥ ـــ أبو سالم العيّاشي : اقتفاء الأثر ، ص ٨ .

٦ ـــ محمد بن أبي القاسم بن سودة الغرناطي المرّي ، أبو عبد الله : قاض ، خطيب ، مفتي واديب توفي عام ١٠٧٦ هـ (١٦٦٥ م) ، ترجم له : محمد بن جعفر الكتّاني : السّلوة ، ج ١ ، ص ١٦٥ .

٧ ـــ عبد الله العيّاشي : المصدر السابق ، ص ٥٣ .

٨ ـــ عبد الرحمن بن عبد القادر أبو زيد الفاسي : فقيه ، باحث ، أديب من أهل فاس ، توفي عام ١٠٩٦ هـ (١٦٨٥ م) ، ترجم له : محمد بن جعفر الكتّاني : السّلوة ، ج ١ ، ص ٣١٥ . ابن زيدان : الدّرر الفاخرة بمآثر ملوك العلويين بفاس الزاهرة ، الرباط : المطبعة الاقتصادية ، ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م) ، ص ١٣ .

٩ ـــ لم أهتد إلى معرفة هذا الكتاب .

١٠ ـــ عبد الله العيّاشي : المصدر السابق ، ص ٥٤ .

وبعدما قرأ أبو سالم العيّاشي على الأعلام الذين أدركهم في المغرب ولم يشبعه مالديهم من معلومات لاقتصارهم كما قال : (على ماشتهر ، واستغنائهم عمّا غاب بما ظهر دون المسلسلات ، والأجزاء الصغار ، وعوالي الاسناد وغرائب الأخبار) رحل إلى المشرق[1] . ومن ضمن العلماء الذين لقيهم بمصر واستجاز منهم :

١ ــ شهاب الدّين الخفاجي[2] الذي سمع منه الجامع الصحيح للترمذي ، وثلاثيات[3] البخاري ، وعشريات[4] ابن حجر[5]، وعشريات السيوطي[6] وجملة من سنن أبي داود .

٢ ــ الشيخ أبو إسحاق إبراهيم الميموني[7] الذي سمع عليه جامع الترمذي ، وصحيحي البخاري ومسلم ، وكتاب الشفا في تعريف حقوق المصطفى[8] للقاضي عيّاض[9] .

---

١ ــ أبو سالم العيّاشي : اقتفاء الأثر ، ص ٤ .

٢ ــ أحمد بن محمد بن عمر ، شهاب الدّين الخفاجي المصري : قاضي القضاة ، له تصانيف في الأدب واللغة ، توفي عام ١٠٦٩ هـ (١٩٦٩ م) . ترجم له : المحبّي : المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٣١ .

٣ ــ المراد بها ما اتصل إلى رسول الله ﷺ من الحديث بثلاثة رواة . حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، بغداد : مكتبة المثنى ، ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م) ج ١ ، ص ٥٢٢ .

٤ ــ ماتصل إلى رسول الله ﷺ من الحديث بعشرة رواة . المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١١٤٠ .

٥ ــ يقصد ابن حجر العسقلاني ، وهو غني عن التعريف .

٦ ــ عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الملقب بجلال الدين السيوطي : إمام حافظ مؤرخ وأديب يبلغ عدد مؤلفاته نحو الستمائة ، توفي عام ٩١١ هـ (١٥٠٥ م) ، ترجم له : السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٤ ، ص ٦٥ . ونجم الدين الغزي : الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة ، بيروت : جامعة بيروت الأمريكية ، ١٣٦٥ ــ ١٣٧٨ هـ (١٩٤٥ ــ ١٩٥٨ م) ، ج ١ ، ص ٢٢٦ .

٧ ــ إبراهيم بن محمد بن عيسى ، أبو إسحاق برهان الدين الميموني من أهل مصر : عالم بالتفسير والحديث ، معظم تصانيفه حواش وشروح ، توفي عام ١٠٧٦ هـ (١٦٦٩ م) ، ترجم له : المحبّي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٥ .

٨ ــ كتاب في صفات النبي ﷺ الخِلْقِيَة والخُلُقِيَة وفي معجزاته ، ومايجب على الناس من حقوقه كالايمان به ومحبته وطاعته .. حاجّي خليفة : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٠٥٢ .

٩ ــ عيّاض بن موسى اليحصبي السّبتي : كان من كبار المحدّثين ومن أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم ، ولي قضاء سَبْتَه ثم قضاء غرناطة ، توفي بمراكش عام ٥٤٤ هـ (١٤٤٩ م) ، ترجم له : الفتح بن خاقان : قلائد العقيان ، القاهرة ، مطبعة بولاق ، ١٢٨٣ هـ (١٨٦٦ م) ، ص ٢٢٢ . والمَقّري : أزهار الرياض في أخبار عياض ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، القاهرة : المعهد الخليفي للأبحاث المغربية ، ١٣٥٨ ــ ١٣٦١ هـ (١٩٤٩ ــ ١٩٥٢ م) .

٣ ــ علي الأجهوري[١] : قرأ وسمع منه ثلاثيات البخاري ، وثلاثيات ابن ماجة[٢] .

وبعد تأدية أبي سالم مناسك الحج توجّه إلى المدينة المنوّرة . وأثناء اقامته فيها تمكن من التعرّف على عدد كبير من العلماء منهم :

١ ــ أبو مهدي عيسى الثعالبي[٣] : سمع عليه في الحرم النبوي معجم الطّبراني[٤] الصغير ، والأربعين حديثاً عن الأربعين شيخاً لتقي الدين الفاسي[٥] ، وبعض الشّمائل[٦] للترمذي ، وأجاز له سائر مروياته .

٢ ــ الخيّاري الشافعي[٧] : لقيه أبو سالم في الحرم الشريف ، وتجاذبا أطراف الحديث في الأدب ، وتناشدا بعض القصائد ، وسمع منه أبو سالم في

---

١ ــ علي بن محمد بن عبد الرحمن ، أبو الارشاد نور الدين الأجهوري : فقيه ومحدث من أهل مصر توفي عام ١٠٦٦ هـ (١٦٥٦ م) ، ترجم له : المحبّي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٨٩ .

٢ ــ أبو سالم العيّاشي : اقتفاء الأثر ، ص ٩ .

٣ ــ هو عيسى بن محمد الجعفري الهاشمي الثعالبي نسبة إلى وطن الثعالبة بأعمال الجزائر : يعتبر من أكابر فقهاء المالكية في عصره ، توفي بمكة عام ١٠٨٠ هـ (١٦٦٩ م) ، ترجم له : المحبّي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٤٠ .

٤ ــ هو أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللّخمي نسبة إلى طبرية الشام : من كبار المحدّثين ، توفي عام ٣٦٠ هـ (٨٣٩ م) ، ترجم له : أبو الفرج بن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، حيدر آباد : مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٥٧ ــ ١٣٥٩ هـ (١٩٣٨ ــ ١٩٤٠ م) ، ج ٧ ، ص ٥٤ . وابن خلّكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ؟ ، بيروت : دار الثقافة ، ؟ ، ج ١ ، ص ٢١٥ .

٥ ــ محمد بن أحمد بن علي الفاسي المكي الحسني المالكي ، ويعرف بتقي الدّين الفاسي : مؤرّخ ومحدّث ، تولى القضاء ومشيخة الحرم في مكة ، توفي عام ٨٣٢ هـ (١٤٢٨ م) ، من أشهر كتبه : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ترجم له السخاوي الضوء اللامع ، ج ٧ ، ص ١٨ .

٦ ــ اسمه الشّمائل النبوية والخصائل المصطفوية ، وهو في السيرة . حاجّي خليفة : المصدر السابق ج ٢ ، ص ١٠٥٩ .

٧ ــ هو إبراهيم بن عبد الرحمن بن علي الخيّاري المدني الشافعي : محدثٌ ومؤرخ ، رحل إلى ' تانبول ودمشق والقاهرة فصنف رحلة سماها : تحفة الأدباء وسلوة الغرباء ، توفي عام ١٠٨٣ هـ (١٦٧٢ م) ، ترجم له : المحبّي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٥ .

بيته من أوائل الصحيحين ، وبعض الأربعين النووية[١] ، وبعض الشّمائل[٢] وأجازه جميع مروياته[٣] .

٣ ــ بدر الدين الهندي[٤] : حضر تدريسه لكتاب المناوي في أصول الفقه[٥] .

وبعد عودة أبي سالم إلى مكة المكرّمة لقي بعض العلماء أمثال :

١ ــ شيخ الحرم المكي زين العابدين الطّبري[٦] الذي أجاز له مروياته كلّها[٧] .

١ ــ تاج الدين المكي[٨] : قرأ عليه بعض صحيح البخاري ، وأجازه عن سائر أشياخه[٩] .

تلاميذه .

وكان لأبي سالم تلاميذ كثيرون درسوا عليه علوماً مختلفة وأجازهم فيها إجازات عامة . ومن هؤلاء : ابنه حمزة[١٠] ، ومحمد بن عبد الرحمن بن عبد

---

١ ــ أربعون حديثاً تشتمل على قواعد الدين لمحي الدين النّووي . حاجّي خليفة : المصدر السابق ج ١ ، ص ٥٩ .

٢ ــ سبق ذكره في الصفحة السابقة ، وهو للترمذي .

٣ ــ أبو سالم العيّاشي : اقتفاء الأثر ، ص ١١ ــ ١٢ .

٤ ــ باحث ومحقّق من أهل الهند ، قدم إلى المدينة المنوّرة عام ١٠٦٨ هـ (١٧٥٧ م) . ترجم له : أبو سالم العيّاشي : ماء الموائد (طبعة الحجر بفاس) ج ١ ، ص ٤٩٩ .

٥ ــ أبو سالم العيّاشي : اقتفاء الأثر ، ص ١١ .

٦ ــ فضل بن عبد الله الطبري المكي : مفتي الشافعية بمكة ، له نظم شعري وكتاب في العروض ، توفي عام ١٠٨٣ هـ (١٦٧٣ م) ، ترجم له : المحبّي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٧١ .

٧ ــ أبو سالم العيّاشي : اقتفاء الأثر ، ص ١٣ .

٨ ــ تاج الدين بن أحمد بن إبراهيم الأنصاري المالكي ، المدني أصلاً والمكي نشأة ، قاضي أديب من أكبر علماء مكة وأبرز خطبائها ، توفي عام ١٠٦٦ هـ (١٦٥٥ م) ، ترجم له : المحبي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٥٧ .

٩ ــ أبو سالم العيّاشي : اقتفاء الأثر ، ص ١٣ .

١٠ ــ أخذ عن والده أبي سالم ، وأجازه الشيخ عبد القادر الفاسي إجازة عامة . ويقال : انه بذل ثروته في اقتناء الكتب واستنساخها . وإليه يرجع الفضل في احتضان جبل العيّاشي إلى اليوم خزانة علمية كبيرة . ترجم له : عبد الله العيّاشي الذي خصص له قسماً كبيراً من كتاباته : المصدر السابق ومحمد مخلوف : المصدر السابق ، ص ٣٣٦ .

القادر الفاسي [1] ، وأبو سعيد عثمان بن علي اليوسي [2] ، وأحمد بن محمد بن ناصر الدَّرعي ، والحريشي الفاسي [3] .

مؤلفاته .

خلف العيّاشي عدداً كبيراً من المؤلفات في أنواع شتى من المعرفة هي :

ـــ في العقيدة :

١ ـــ الحكم والانصاف الرافع للخلاف فيما وقع بين فقهاء سِجِلْمَاسَة من الاختلاف في تكفير من أقرّ بوحدانية الله وجهل بعض ماله من الأوصاف [4] .

ـــ في الحديث :

٢ ـــ المسلسلات العشرة المنتخبة [5] .

---

١ ـــ عالم من أهل فاس ، له : المنح البادية في الأسانيد العالية ، توفي عام ١١٣٤ هـ (١٨٢٢ م) ترجم له : مخلوف : المصدر نفسه ، ص ٣٣٣ .

٢ ـــ لم أجد له ترجمة في المصادر التي تيسّر لي الرجوع إليها . وقد ذكره المؤلف من بين تلاميذه في اقتفاء الأثر ، ص ٣ .

٣ ـــ علي بن أحمد بن عبد الله المالكي المغربي : فقيه من أهل فاس ، توفي بالمدينة المنوّرة عام ١١٤٣ هـ (١٧٣٠ م) ، ترجم له : المرادي : سلك الدرر من أعيان القرن الثاني عشر ، القاهرة : مطبعة بولاق ، ١٣٠١ هـ (١٨٨٣ م) ج ٣ ، ص ٢٠٥ . وعبد الحي الكتّاني : المصدر السابق ج ١ ، ص ٢٥٣ .

٤ ـــ لايزال مخطوطاً في الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم : ١٧٤٠ .

٥ ـــ لايزال مخطوطاً في خزانة الاسكوريال بأسبانيا تحت رقم : ٧٩ ص .

ــ في الفقه :

٣ ــأجوبة الخليل فيما استشكل من كلام خليل [١] .
٤ ــ ارشاد المنتسب إلى فهم معونة المكتسب [٢] .
٥ ــ شرح المُحَلَّى لابن حزم الأندلسي [٣] .
٦ ــ العلاوة فيمن ركع في محل سجود التلاوة [٤] .
٧ ــ القول المحكم في عقود الأصم الأبكم [٥] .
٨ ــ معونة المكتسب وبغية التاجر المحتسب [٦] .
٩ ــ المغريات في اصطلاح الوتريات [٧] .

ــ في التراجم :

١٠ ــ اتحاف الأخلاّء بأسانيد الأجلاّء [٨] .
١١ ــ اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر أو مسالك الهداية إلى معالم الرواية أو العجالة المرقية بأسانيد الفقهاء والمرشدين الصوفية [٩] .

---

١ ــ لايزال مخطوطاً . وقد ذكره حمزة العيّاشي في الزهر الباسم ، ص ١٥ .
٢ ــ لايزال مخطوطاً . وهو شرح لأرجوزة ابن جماعة في البيوع . يوجد في خزانة الزاوية الحمزاوية تحت رقم ٢٧٥ .
٣ ــ لايزال مخطوطاً . وقد بدأ العيّاشي في شرحه لكن لم يكمله . ذكره حمزة العيّاشي في الزهر الباسم ، ص ١٥ .
٤ ــ لايزال مخطوطاً . وقد أورده حمزة العيّاشي في الزهر الباسم ، ص ١٥ .
٥ ــ لايزال مخطوطاً . وهو عند حمزة العيّاشي في الزهر الباسم ، ص ١٥ .
٦ ــ لايزال مخطوطاً . وهو أرجوزة في البيوع لعز الدين بن جماعة . يوجد في خزانة الزاوية الحمزاوية تحت رقم ٤١ ، ومنه نسخة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم : ١٩٥٧ د .
٧ ــ لايزال مخطوطاً . وقد ذكره حمزة العيّاشي في الزهر الباسم ، ص ١٥ .
٨ ــ لايزال مخطوطاً . وهو مصوّر في معهد المخطوطات العربية تحت رقم : ١٣١٧ ترخ .
٩ ــ لايزال مخطوطاً . وهو عبارة عن إجازة علمية أصدرها المؤلف لصديقه وتلميذه أبي سعيد عثمان بن علي اليوسي . وبعد ذلك يتناول ذكر المشايخ الذين أخذ عنهم بالمغرب والحرمين الشريفين ثم الأسانيد من مختلف الكتب مثل الموطأ ، وصحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، والجامع للترمذي ، ومسند أحمد . توجد منه نسخة محفوظة في الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم : ٣٩١٧ .

١٢ ــرفع الحَجْر عن الاقتداء بامام الحِجْر [١] .
١٣ ــوسيلة العبد الغريق بأئمته في الطريق [٢] .

ــ في التصوف :

١٤ ــاظهار المنّة على المبشَّرين بالجنّة [٣] .
١٥ ــتنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية [٤] .
١٦ ــ شوق العروس وأنس النفوس [٥] .
١٧ ــ المسالك الهادية إلى معالم الزاوية [٦] .
١٨ ــ معارج الوصول إلى أصول أوّل الأصول [٧] .

ــ في المدائح النبوية :

١٩ ــ تخميس البردة [٨] .
٢٠ ــ مجموعة من المدائح النبوية [٩] .

---

١ ــ ذكره العيّاشي في رحلته ماء الموائد .
٢ ــ لايزال مخطوطاً . وهو نظم رجزي ترجم فيه العيّاشي لمشايخه من الصوفية المشارقة منهم والمغاربة ، وأفرد فيه لكل شيخ ترجمة مستقلة . والكل في الثلاثمائة بيت شعري ، وهو محفوظ في الخزانة الأحمدية بفاس .
٣ ــ لايزال مخطوطاً في خزانة الزاوية الحمزاوية تحت رقم : ٥١١ .
٤ ــ لايزال مخطوطاً في الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم : ٧٦٦١ .
٥ ــ لايزال مخطوطاً في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم : ١٣٨٨ د .
٦ ــ لايزال مخطوطاً في الخزانة الأحمدية السودية بفاس تحت رقم : دم ١٢٣٩ .
٧ ــ لايزال مخطوطاً في خزانة الزاوية الحمزاوية تحت رقم ٣٢٤ . ومنه نسخة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم ١٦٧٤ د . وهو أرجوزة نظم فيها العيّاشي أصول الطريقة لأحمد زرّوق في مائة وثلاثين بيتاً .
٨ ــ لايزال مخطوطاً في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم : ٢١٥٥ د .
٩ ــ لايزال مخطوطاً . ويشتمل على اثنتين وأربعين قصيدة نظمها العيّاشي لمّا كان بالمدينة المنورة في عام ١٠٧٣ هـ (١٦٦٨ م) . وهو في خزانة الزاوية الحمزاوية تحت رقم : ٢٢٦ ، ومنه نسخة في خزانة محمد المنوني بفاس .

ـ في المناسك :

٢١ ـــ رسالة إلى أبي العباس المكيلدي[١] .

ـ في النحو :

٢٢ ـــ معنى لو الشرطية [٢] .

ـ في علم الكلام :

٢٣ ـــ الكشف والبيان في مسألة الكسب والايقان[٣] .

ـ في الرحلات :

٢٤ ـــ رحلته المشهورة بالرحلة العياشية أو ماء الموائد[٤] .

آراء العياشي

أ ـ في التصوف .

كان العياشي صوفياً متطرفاً في صوفيته . وماورد في رحلته يبيّن أنه كان يغالي في رفع شأن أئمته الصّوفيين حتى كان ينزّههم عن الخطأ ، بل كثيراً مادفعه حب الدفاع عنهم إلى التناقض . فرغم معارضته لمعتقد الروافض في تنزيه

---

١ ـــ المكّيلدي : نسبة إلى قبيلة آيت مكيلد البربرية في الأطلس المتوسط بالمغرب . وقد ذكر محمد الأخضر هذه الرسالة وقال بأن والده ترجمها إلى الفرنسية ، المصدر السابق ، ص ٢٠٤ .

٢ ـــ ذكر هذه الكراسة حمزة العيّاشي في الزهر الباسم ، ص ١٥ .

٣ ـــ ذكره محمد الأخضر : المصدر السابق ، ص ٢٠٤ .

٤ ـــ لايزال الأصل بخط المؤلف محفوظاً في خزانة الزاوية الحمزاوية تحت رقم : ١٨٢ . ويوجد منها عدّة نسخ في الخزانتين الملكية والعامة بالرباط ، وفي خزانة جامع القرويين بفاس .

الامام الثاني عشر عن الموت إلا أنه نقل أنّ بعض الصوفية يتّفقون معهم في هذا الاعتقاد ، ثم استطرد يقول : (فإن صحّ عن هؤلاء الأئمة أنهم قالوا ذلك فنحن ممن يعتقدهم ويجزم بصدقهم فيما يقولون لأنهم خيار الأمة)[١] .

وهكذا يلاحظ أنه يعارض معتقد الروافض . لكنه لايمانع في ذلك إذا كان قد نُقل عن أئمته من الصوفيين . وقد ذكر بين دفتي رحلته أفكاراً وهمية وخرافات لايقبلها عقل ولانقل . من ذلك قوله : (وقد ذكر الشّعراني في كثير من تآليفه عن جماعة من أهل الكشف[٢] أنهم يشاهدون النبي ﷺ في مولد سيدي أحمد البدوي — رضي الله عنه — ، وأنه يحضره كل سنة مع اشتماله على أمور كثيرة لاتنبغي)[٣] .

ومن المعلوم — حسب الأدلة الشرعية — أن النبي ﷺ لايخرج من قبره قبل يوم القيامة ، ولايتصل بأحد من الناس ، ولايحضر الاجتماعات والمواسم .

قال تعالى : ﴿ ثم إنكم بعد ذلك لميّتون . ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ﴾[٤] . وقال النبي ﷺ : (أنا أول من ينشقّ عنه القبر يوم القيامة)[٥]

وفي موطن آخر قال — أي العياشي — : (ولابدع ، فإن للنبي ﷺ تعلّقا معنويا ومرافقة روحانية لأمته في سائر شؤونهم وتقلّباتهم ... فهو معهم ﷺ في كل أطوارهم وتقلّباتهم بمدده الّرباني وسّره الحقّاني ... لايخفى عليه شيء من أحوالهم ، ولايغفل عنهم طرفة عين في كلّ شؤونهم)[٦] .

وممّا يلاحظ أن هذا الكلام غير صحيح ؛ فقد روى مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ أن المسلمين يردون على حوضه ﷺ يوم القيامة ، فيصدّن عنه

---

١ — أبو سالم العياشي : ماء الموائد ، ج ١ ، ص ١٧٧ .
٢ — والكشف في اصطلاح الصوفية الاطلاع على ماوراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجوداً وشهوداً . بنعبد الله : المعجم الصوفي ، ص ٢٩ .
٣ — أبو سالم العيّاشي : ماء الموائد ، ج ١ ، ص ١٨٨ .
٤ — الآية ١٠ — ١١ من سورة المؤمنين .
٥ — رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، ج ٢ ، ص ١٧٨٢ .
٦ — أبو سالم العيّاشي : ماء الموائد ، ج ١ ، ص ١٨ .

طائفة منهم فيقول النبي ﷺ : (ياربّ هؤلاء من أصحابي) ، فيجيبه ملك : وهل تدري ماأحدثوا بعدك)[1] .

ويمكن القول هنا أن الانحراف عن التصور الاسلامي الصحيح سببه أن فريقاً من الصوفية ــ ومنهم صاحب الرحلة ــ غرّه الوهم وطاش به الفكر حتى بلغ درجة الغلوّ في إساءة فهم شخصية الرسول ﷺ . فقد ظن هؤلاء أنه ﷺ لاتتجلى عظمته إلا إذا أحاطت حياته الخوارق والمعجزات والعلم بالغيبيات ، فأتبعوا أنفسهم هواها ــ وهم فوارس ميدان انتحال الكرامات ــ في تصور النبي ﷺ بصفات لاتنبغي إلا لله جلّ وعلا .

ولهذا لم يكن غريباً أن يغالي العيّاشي في الرسول ﷺ ويطلب منه مالا يُطلب إلا من الله . ومن ذلك قوله : (فهم ــ يعني أهله وأصحابه ــ في كفالتك يارسول الله حتى يصلوا إلى أهليهم سالمين غانمين ...)[2] . وقوله : (وعسى نفحة من نفحات جوده ــ أي الرسول ﷺ ــ التي في ضمنها خير الدنيا والآخرة تهبّ علينا وعليهم ــ يقصد أهله وأصحابه ــ فتغمر كلاً منّا سائر الدهر)[3] .

فممّا لاشك فيه أن مثل هذه الأمور لايجوز أن يشارك فيها الرسول الله عزّ وجلّ لأن الله تعالى قضى أنه الكاشف للضرّ لاغيره ، وأنه القادر على إيصال الخير ، وأنه المستغاث لذلك . فهو المنفرد بهذه الصفات لايشاركه فيها ملَك ولا نبي ولا وليّ .

ب ــ الانتماء المذهبي :

من المعروف أن المذهب المالكي هو المذهب السائد في المغرب . وقد بدأ تعصّب العيّاشي لهذا المذهب من خلال محاولته تأويل الأحاديث تأويلاً يتناسب مع آراء مذهبه رغم كونها لاتقبل التأويل . من ذلك قوله : (كنّا أيام

---

١ ــ كتاب الفضائل ، ج ٢ ، ص ١٧٩٤ .

٢ ــ أبو سالم العيّاشي : ماء الموائد ، ج ١ ، ص ١٧٤ .

٣ ــ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٧٤ .

سماعنا المعجم الصغير للطّبراني على شيخنا الثّعالبي بالحرم النبوي ، إذا مرّ بحديث فيه حجّة لمذهب المالكية يقول : هذا حجّة لكم ، وإذا مرّ بما يخالف المذهب قال : هذا حجّة عليكم . فلما جاء ذكر حديث : (إنا معاشر الأنبياء أمرنا بوضع اليمنى على اليسرى في الصلاة) قال : هذا حجّة عليكم . فقلت : لاحجة علينا في هذا ؛ فإنّ ظاهر اللفظ الخصوص لا عمومَ فيه . فاستضعف جوابي وقال : وردت به أحاديث صحيحة عامة قولاً وفعلاً[1] . ثم استطرد العيّاشي يقول : ومن أَنْصَفَ عَلِمَ أن هذا الحديث بخصوصه لايكون حجّة على مالك في كراهية القبض ...[2] فلو لم يرد في القبض إلا هذا الحديث وحده لم يكن فيه حجّة على منكر القبض ، بل لساغ لقائل أن يقول بعدم جوازه لغير الأنبياء وأنّه من الخصائص لظهور اللفظ في ذلك كقوله : (نحن معاشر الأنبياء لانورث)[3] . لكن كرهت مراجعة الشيخ بمثل ذلك في المجالس الغاصّة بأهلها)[4] .

ومن المرجّح أن العيّاشي كان مطلعاً على الأحاديث العامة التي تؤيد الحديث المذكور في النصّ : (نحن معاشر الأنبياء أمرنا بوضع اليمنى على اليسرى في الصلاة) فقد ذكر في كتابه اقتفاء الأثر أنه اطّلع على صحيحي البخاري ومسلم ، ومسند أحمد وجامع الترمذي)[5] ، وتلك الأحاديث موجودة فيها . فإن كان الأمر كذلك ، فهذا يوضح تعصبه للمذهب .

---

١ ــ أنظر البخاري : الجامع الصحيح ، كتاب الأذان ، ؟ ، استانبول : مؤسسة اليف أوفست ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) ، ج ١ ، ص ١٨٠ .

٢ ــ يبدو أن مالكاً يجيز القبض لأنه لم يورد في المُوَطَّأ إلا هو . أنظر : المُوَطَّأ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٧٠ هـ (١٩٥١ م) ج ١ ، ص ١٥٨ .

٣ ــ رغم تطابق اللفظ في الحديثين فإن هناك أحاديث تدل على أن الحديث الخاص بالقبض عام (أنظر البخاري : الجامع الصحيح ، كتاب الأذان ، ج ١ ، ص ١٨٠ . وابن حجر العسقلاني : فتح الباري ، شرح صحيح البخاري ، تحقيق عبد العزيز بن باز وآخرون ، القاهرة ، المطبعة السلفية ١٣٨٠ هـ (١٩٧٠ م) ، ج ٢ ، ص ٢٢٤) والحديث الخاص بالارث خاص (أنظر البخاري : الجامع الصحيح ، كتاب الفرائض ، ج ٨ ، ص ٤ . وابن حجر : الفتح الباري ، ج ١٢ ، ص ٢٥) .

٤ ــ أبو سالم العيّاشي : ماء الموائد ، ج ١ ، ص ٢١٥ .

٥ ــ أبو سالم العيّاشي : اقتفاء الأثر ، ص ٩ .

وعموماً ظهر العيّاشي من خلال ماسبق ذكره فقيهاً سنيّاً[1] مالكيّاً وصاحب فكر مقبل على الطرق الصوفية . ومع هذا الاختيار الطريقي الصوفي كان يرفض فكر من نعّتهم بالروافض ــ أي الشيعة ــ والمعتزلة[2] .

على أن العيّاشي إن كان في بعض آرائه مخطئاً مجانباً للصّواب فإنه ظهر في البعض الآخر بعقلية تتسم بالمرونة . ومثال ذلك نظرته إلى العالم الاسلامي نظرة من يؤمن بوحدة مغربه ومشرقه . ومن ثمّ فهو لايرى في الفروق المذهبية بين المسلمين مايبرر ارتكاب الظلم ، وأنّ رعاية المسلمين مسؤولية تقع على عاتق الجميع حكاماً ومحكومين عملاً بقول الرسول ﷺ : (كلّ المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)[3] . أما فرض الاتاوات التي ليس لها سند شرعي ، فقد عدّها من قبيل السياسة الكسروية الاستغلالية[4] .

---

١ ــ مما تجدر الاشارة إليه أن اصطلاح أهل السنّة يطلق ويراد به معنيان :
أ ــ المعنى الأعمّ : وهو مايقابل الشيعة ، فيقال المنتسبون إلى الاسلام قسمان : أهل السنّة والشيعة . وهذا المعنى ــ أي المعنى الأعمّ ــ يدخل فيه كل من سوى الشيعة كالخوارج والمعتزلة والمرجئة والأشاعرة وغيرهم من الفرق المبتدعة .
ب ــ المعنى الأخصّ : وهو مايقابل المبتدعة وأهل الأهواء المخالفة للشرع . وهو ماعليه أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين ، وبيّنته كتب السّلف . فإذا قيل عن الرجل أنه صاحب سنّة أو كان سنّيّاً أو من أهل السنّة فالمراد بذلك أنه ليس صاحب كلام وهوى ، وليس من إحدى الطوائف البدعية التي سبق ذكرها ، باعتبار هؤلاء ليسوا من أهل السنّة وإنّما هم من أهل القبلة . سفر الحوالي : هل الأشاعرة من أهل السنة والجماعة ؟ مقال نشر في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة ، عدد ٦٢ .

٢ ــ أبو سالم العيّاشي : ماء الموائد ، ج ١ ، ص ١٧٧ ، ٢٠٨ .

٣ ــ السيوطي : صحيح الجامع الصغير وزيادته ، ط ٢ ، بيروت ، المكتب الاسلامي ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) . قال محقق هذا الكتاب : ناصر الدين الألباني : حديث صحيح ، ج ٤ ، ص ١٧٠ .

٤ ــ أبو سالم العيّاشي : ماء الموائد ، ج ١ ، ص ٢٠٤ .

وعلاوة على ذلك فإن العيّاشي فهم موضوع الولاء[1] والحكم بما أنزل الله[2] فهماً صحيحاً[3] .

وفي مجال الفكر والثقافة كان العيّاشي مدركاً لمعاني التخصص العلمي حين طلب منه أحد أصحابه أن يتدارسا مقالتين في الطب والتشريح ؛ إذ صرح بأنه ليست له معرفة بهذين العلمين ، ومايظهر من العبارة لايكفي لفهم ماورد لأن لكل علم اصطلاحات لايعلمها إلا أصحابها ، ولأن هناك تخصصات لايمكن أن يتطفل عليها من هو ليس من أربابها[4] .

وفي موطن آخر يبدو العيّاشي واعياً لايقبل الأمور على علاتها دائماً ، وإنمّا يناقشها مناقشة موضوعية واضعاً في الحسبان اعتبارات شتى . ومثال ذلك ماجرى بينه وبين أحد المدرسين في المدينة من حوار حول قضية البيوع والصرف ، ومايدخل في ذلك من أنواع المعاملات التجارية[5] . فقد أبدى في ذلك مرونة ملحوظة .

ومن المعروف أنّ اهتمام الرّحالة والمؤرخين بالحرم النبـوي

---

١ ـــ الولاء في الله معناه اخلاص المحبة لله ونصرة الاسلام ، وموالاة المؤمنين ونصرتهم . ويلازمه مفهوم آخر وهو البراء ، ومعناه كراهية الباطل وأهله وبغض أعداء الاسلام ومجاهدتهم ومعاداتهم ولو كانوا أقرب قريب .
والولاء والبراء مفهوم عقدي مهم يعتبر أصلاً من أصول الاسلام بحيث لايحب المرء ويبغض إلا لله ولايعطي ويمنع إلا لله ، ولايوالي ويعادي إلا لله .
وتتحقق هذه المعاني ولاء للمؤمنين وبراء من الكافرين على مختلف نحلهم من يهود ونصارى وشيوعيين ومن على شاكلتهم من النحل والفرق الباطنية كالنصيرية والدروز والبهائية والقاديانية والبابية والبهرة وكل خارج على حدود الاسلام كبعض دعاة القومية ومتطرفي الشيعة والمنافقين الذين يستبدلون عملياً غير الاسلام بالاسلام .

٢ ـــ وتعقيباً على كلام العيّاشي يجدر التنبيه إلى أن السلطة التشريعية حق لله سبحانه وتعالى لايشاركه فيها أحد . ولايجوز بأي حال من الأحوال التحاكم إلى القوانين الوضعية التي يشرعها الطواغيت من البشر للناس ، عملاً بقوله تعالى : ﴿ إن الحكم إلا لله ﴾ الآية ٤٠ من سورة يوسف ، وقوله تعالى : ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ﴾ الآية من سورة الشورى ، وقوله : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ الآية ٤٤ من سورة المائدة .

٣ ـــ أبو سالم العيّاشي : ماء الموائد ، ج ١ ، ص ٢٢٨ .

٤ ـــ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٠٢ ــ ٢٠٣ .

٥ ـــ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢١٨ ــ ٢٢١ .

انصبّ ــ بصورة عامة ــ على عمارة المسجد ، فكتبوا فيها كثيراً . لكن العيّاشي أغفل هذا الجانب وأولى اهتماماً خاصاً لما كان يجري داخل الحرم من احتفالات ومحاضرات ومناقشات علمية ، ومايكتنف أحوال الأغوات ، مسهباً في شرحها أكثر من أي مؤلف آخر ولعلّه أتى بجديد في هذا النطاق .

وفي مجال التعقيب والتحرّي ظهر العيّاشي في مباحث أخرى في رحلته عالماً ناقداً يناقش آراء الآخرين بروح علمية تتّسم بقوة البحث والاستدلال[١] .

١ ــ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٨٩ ــ ١٩٣ .

الفصل الثالث

دراسة المخطوطة المحققة

١ ــ وصف مخطوطات الرّحلة :

أ ــ المخطوطة التي بيد المؤلف .
ب ــ النسخة الأولى .
ج ــ النسخة الثانية .
د ــ النسخة الثالثة .

٢ ــ مصادر المعلومات الواردة في الرحلة عن المدينة المنورة .

أ ــ الكتب .
ب ــ الرواية الشفهية .
ج ــ الملاحظة الشخصية .

٣ ــ من نقل عن العيّاشي من الرحالة المتأخرين .
٤ ــ منهجه .
٥ ــ أسلوبه .
٦ ــ قيمة الرحلة .

دراسة المخطوطة المحققة

١ ــ وصف مخطوطات الرحلة :

توجد عدّة نسخ مخطوطة من رحلة العيّاشي « ماء الموائد » بعضها في الخزانة الملكية وبعضها الآخر في الخزانة العامة بالرباط ، كما توجد منها نسخة بخط المؤلف في الزاوية الحمزاوية . ولوجود هذه النسخة الأصلية فقد اقتصر التحقيق عليها مع نسختين مخطوطتين ونسخة مطبوعة على الحجر بفاس .

أ ــ المخطوطة التي بخطّ المؤلف .

توجد هذه المخطوطة في الزاوية الحمزاوية تحت رقم ١٨٢ . ومقياس الصفحة عشرون سنتمتراً طولاً ، وأربعة عشر سنتمتراً عرضاً . وتتكوّن من جزأين في مجلد واحد : عدد صفحات الجزء الأول ثلاثمائة وثلاث وعشرون صفحة وعدد صفحات الجزء الثاني مائتان وثمانون صفحة . ويقع القسم المحقق في الجزء الأول ويتكون من سبع وخمسين صفحة ؛ من : ص ١٧٣ إلى ص ٢٣١ . وفي كل صفحة اثنان وثلاثون سطراً ، وفي كل سطر منها خمسة عشرة كلمة تقريباً . وهي مكتوبة بخط مغربي حسن ، وبحبر أسود . أما ورقها فيميل لونه إلى الأصفرار الباهت ، وسلم من اعتداء الأرضة عليه . ويوجد بهامشها كتابات قليلة كان يخطها المؤلف لتدارك مافاته في المتن من معلومات . وقد فرغ العيّاشي من كتابتها في يوم الأربعاء ٨ رجب ١٠٧٣ هـ ، ١٦ شباط (فبراير) ١٦٦٢ م ، وذلك قبل وفاته بسبعة عشرة عاماً .

ولعلّ من أهم فوائد هذه النسخة الأصلية : أنها تؤدي إلى اكتشاف الأخطاء الواردة في النسخ الأخرى والتي قد تؤدي بدورها إلى تغيير المعنى ، ثم معرفة مصدر الخطأ أهو من الناسخ أم من المؤلف نفسه .

ب ــ النسخة الأولى .

وهي التي أشير إليها في التحقيق بحرف (أ) . وتوجد في الخزانة الملكية تحت رقم : ٦٨٢ . مقياس الصفحة منها تسعة وعشرون سنتمتراً طولاً ، وتسعة عشر سنتمتراً عرضاً وتتكوّن من جزأين في مجلد واحد ؛ عدد صفحات الجزء الأول ثلاثمائة وأربع وثلاثون صفحة ، وعدد صفحات الجزء الثاني مائتان وتسع وثمانون صفحة . ويقع القسم المحقق هنا في الجزء الأول ، ويتكون من سبع وخمسين صفحة ؛ من : ص ١٨٣ إلى ص ٢٤٠ . وفي كل صفحة ثمانية وعشرون سطراً بمقدار ثمانية عشر كلمة في السطر تقريباً . وهي مكتوبة بخط مغربي رديء ، وحبرها أسود باهت . أما ورقها فهو متين ، لكن في أعلاه خروم ضيعت بعض الكلمات المكتوبة في السطور الأولى من كل صفحة . وبهوامشها تعليقات قليلة يُحتمل أنها بخط الناسخ . وهي خالية من تاريخ النسخ واسم الناسخ .

وقد وقع الاختيار عليها لأن من الراجح أن تكون أقدم نسخ الرحلة الموجودة في الخزانة الملكية كما يوحي بذلك نوع الحبروالخطّوشكل الورق . لكنها لم تخل من التصحيف والتحريف لبعض الاعلام والأماكن والكلمات ، شأنها في ذلك شأن سائر النسخ الأخرى . إلا أنها لاتخلو من فائدة في تيسير قراءة بعض الكلمات الغامضة التي ترد في النسخة الأصلية .

ج ــ النسخة الثانية :

وهي التي رمز لها بحرب (ب) . وهي مطبوعة على الحجر بفاس عام ١٣١٦ هـ (١٨٩٨ م) . مقياس الصفحة فيها اثنان وعشرون سنتمتراً طولاً وخمسة عشر سنتمتراً عرضاً . وتتألف من جزأين : عدد صفحات الجزء الأول أربعمائة وست وخمسون صفحة ، وعدد صفحات الجزء الثاني أربعمائة واثنتان وعشرون صفحة ؛ من : ٢٣٥ إلى ص ٣١٤ . وعدد السطور في كل صفحة ستة وعشرون سطراً ، وفي كل سطر ثلاث عشرة كلمة تقريباً . وتوجد على هوامشها حواش قليلة جدّاً ، وهي سالمة من السقط . لكنها لاتخلو من الأخطاء

في بعض الكلمات والأعلام والأماكن . وقد اخترت هذه النسخة لأنها متداولة في العصر الحاضر .

د ـــ النسخة الثالثة .

وهي التي رمز لها بحرف (ج) . وتوجد في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم : ٤٠٦ ق . ومقياس الصفحة منها ستة وعشرون سنتمتراً طولاً ، وثمانية عشر سنتمتراً عرضاً ، وتتكوّن من جزأين : عدد صفحات الجزء الأول ثلاثمائة وتسع وستون صفحة ، وعدد صفحات الجزء الثاني ثلاثمائة وإحدى وخمسون صفحة . ويقع القسم المحقق هنا في الجزء الأول ، ويتكوّن من ست وخمسين صفحة ؛ من ص ٢٠٦ إلى ص ٢٦٢ . وفي كل صفحة ثمانية وعشرون سطراً بمقدار ثمانية عشر كلمة في السطر تقريباً . وهي مكتوبة بخط مغربي حسن ، وحبرها أسود ، وورقها جيّد . وبهوامشها حواش بخطّ حمزة بن أبي سالم العيّاشي الذي صحّح بعض ماورد فيها من أخطاء أثناء مقابلته لهذه النسخة على الأصل بخط والده المؤلف . وقد أدخلت هذه النسخة في التحقيق لأنها أقدم نسخ الرحلة الموجودة في الخزانة العامة بالرباط ، وبغية الاستفادة منها في ضبط النص المحقق وعلى الرغم من مقابلة نجل المؤلف لهذه النسخة على النسخة الأصلية ، فإنّها لم تخل من التصحيف والتحريف لأسماء بعض الأعلام والأماكن والكلمات . وقد تمّ نسخها على يد أحمد بن عبد الرحمن العيّاشي الذي انتهى من كتابتها في ضحى يوم الجمعة السابع من رجب عام اثنين ومائة وألف ـــ أي بعد وفاة المؤلف باثني عشر عاماً ـــ الموافق ٦ أيار (مايو) ١٦٩٠ م .

ومما يلاحظ أن تسلسل هذه النسخه في المرتبة الثالثة جاء بسبب ادخالها ضمن النسخ المعتمدة للتحقيق في آخر مراحل هذه الرسالة . وهذا لايغض من قيمتها كونها تأتي بعد المخطوطة الأصلية في الأهمية .

مصادر المعلومات الواردة في الرحلة عن المدينة المنوّرة .

يمكن تقسيم المصادر التي اعتمد عليها العيّاشي في كتابته عن معالم المدينة الجغرافية والآثارية والتايخية إلى ثلاث أقسام :

أ ــ الكتب .

ومن هذه الكتب :

١ ــ المُوَطَّأ[١] لمالك بن أنس .

٢ ــ العُتْبِيَّة للعتبي الأندلسي [٢] .

٣ ــ مغازي الرسول ﷺ للواقدي [٣] .

٤ ــ السيرة النبويّة لابن هشام [٤] .

٥ ــ كتاب في حمى المدينة وجبالها وأوديتها للمدائني [٥] .

---

١ ــ وهو في الحديث . حققه محمد فؤاد عبد الباقي ، وطبعته دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة عام ١٣٧٠ هـ (١٩٥١ م) .

٢ ــ محمد بن أحمد بن عبد العزيز القرطبي الأموي : فقيه مالكي ، توفي عام ٢٥٥ هـ (٨٦٩ م) ترجم له ابن فرحون : الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، القاهرة : مطبعة ابن شقرون ١٣٥١ هـ (١٩٣٢ م) ، ص ٢٣٨ . وقد صنف كتابه هذا في البيوع والصرف على مذهب مالك . قال الزركلي بأن كتابه لايزال مخطوطاً لكن لم يشر إلي مكانه . أنظر : الأعلام ، ط ٥ بيروت : دار العلم للملايين ، ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) ج ٥ ، ص ٣٠٧ .

٣ ــ اخباري ومن حفاظ الحديث . يقال أنه كلّما ذكرت له وقعة أو غزوة ذهب إلى مكانها فعاينه . توفي عام ٢٠٧ هـ (٨٢٢ م) . ترجم له : الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، تصحيح محمد حامد الفقي ، القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٣٤٩ هـ (١٩٣١ م) ، ج ١ ، ص ٣ . وقد طبع كتابه في القاهرة بمطبعة السعادة عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) .

٤ ــ عبد الملك بن هشام الحميري المعافري : مؤرخ ، عالم بالأنساب واللغة وأيام العرب ، توفي عام ٢١٨ هـ (٨٣٣ م) ، ترجم له : ابن خِلّكان : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٧٧ . وقد طبع كتابه في بيروت بدار إحياء التراث العربي عام ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م) ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون .

٥ ــ هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله : إخباري من أهل البصرة ، له تصانيف كثيرة في المغازي والسيرة ، وتاريخ الخلفاء ، والفتوح ، والجاهليين ، والشعراء ، والبلدان ، توفي عام ٢٢٥ هـ (٨٣٩ م) ترجم له : الخطيب البغدادي : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٥٤ . ويعتبر كتابه هذا مفقوداً .

٦ ــ الطبقات الكبرى لابن سعد [١] .
٧ ــ مسند [٢] أحمد بن حنبل .
٨ ــ الجامع الصحيح [٣] لمحمد بن إسماعيل البخاري .
٩ ــ الجامع الصحيح [٤] لمسلم بن الحجّاج .
١٠ ــ المعجم الأوسط والصغير للطّبراني [٥].
١١ ــ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار للزمخشري [٦].
١٢ ــ الدّرة الثمينة في أخبار المدينة لابن النجّار [٧] .
١٣ ــ التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة للمطري [٨].

---

١ ــ هو أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري البصري : مؤرخ ثقة ومن حفاظ الحديث ، توفي عام ٢٣٠ هـ (٨٤٤ م) ، ترجم له : الخطيب البغدادي : المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ٣٢١ صنف كتابه الطبقات في تراجم الصحابة ، وهو مطبوع في بيروت بدار بيروت للطباعة والنشر عام ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م) .

٢ ــ وهو في الحديث ، قام بتحقيقه أحمد محمد شاكر ، وتمّ طبعه في القاهرة بدار المعارف عام ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م) .

٣ ــ طبع في استانبول بمؤسسة اليف أوفست للطبع عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) .

٤ ــ طبع في استانبول بمطبعة شعبان قورت عام ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) . وقد قام بتحقيقه ووضع فهارسه محمد فؤاد عبد الباقي .

٥ ــ سبقت ترجمة الطّبراني في ص ٥٥ . ومعلوم أنّه صنّف معاجمه في الحديث . ومعجمه الأوسط توجد منه نسخة مصوّرة على الميكروفيلم في قسم المخطوطات في جامعة الملك سعود بالرياض تحت رقم : ف ٣٨٨ / . أما الصغير فهو مطبوع في القاهرة بدار النصر للطباعة عام ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م) ، صححه وراجع أصوله عبد الرحمن محمد عمثان .

٦ ــ هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري نسبة إلى زمخشر من قرى خوارزم من العلماء بالتفسير والدين واللغة . لكنه أفسد تفسيره الكشّاف بآراء المعتزلة . توفي عام ٣٥٨ هـ (١١٤٣ م) . ترجم له : ابن خِلّكان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٦٨ . وقد قام بتحقيق كتابه سليم النعيمي ، وتمّ طبعه ببغداد في مطبعة العاني عام ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦ م) .

٧ ــ هو محي الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن البغدادي : مؤرخ حافظ للحديث ، توفي عام ٦٤٣ هـ (١٢٤٥ م) ، ترجم له : تاج الدين السبّكي : طبقات الشافعية الكبرى ، القاهرة : المطبعة الحسينية الكبرى ، ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) . وقد قام بتحقيق كتابه صالح محمد جمال ، وتمّ طبعه في مكة المكرمة بمطابع دار الثقافة عام ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) .

٨ ــ جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد الأنصاري المدني : عالم بالحديث والفقه ومؤرخ ، توفي عام ٧٤١ هـ (١٣٤٠ م) ، ترجم له : ابن حجر العسقلاني : الدّرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة . وقد نشر كتابه أسعد دار بزوني الحسيني بالمدينة المنورة عام ١٣٧٢ هـ (١٩٥٢ م) .

١٤ ــ أعلام السّاجد بأحكام المساجد للزّركشي[١].
١٥ ــ تحقيق النّصرة في معالم دار الهجرة للمراغي[٢].
١٦ ــ المغانم المطابة في معالم طابة للفيروزبادي[٣].
١٧ ــ النوازل للبرزلي[٤] .
١٨ ــ وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى للسمهودي[٥].

ب ــ الرواية الشفهية .

روى العيّاشي أخباراً سمعها من أناس لقيهم في المدينة ومكة . لكنه ،

---

١ ــ بدر الدين أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله التركي المصري : عالم بفقه الشافعية والأصول توفي عام ٧٩٤ هـ (١٣٩١ م) ، ترجم له : ابن حجر : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٩٧ وقد صنف كتابه في مسجد الرسول وحرمه ، وقام بتحقيقه أبو الوفا مصطفى المراغي ، وتمّ طبعه بالقاهرة على يد المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية عام ١٣٩٨ ، (١٩٦٥ م) .

٢ ــ زين الدين أبو محمد أبو بكر بن الحسين بن عمر الأموي الشافعي : مؤرخ استوطن المدينة نحو خمسين عاماً ، وَوَلِيَ خطابتها وقضاءها وإمامتها، توفي عام ٨١٦ هـ (١٤١٣ م) ، ترجم له ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، بيروت : المكتب التجاري للطباعة ؟ ، ج ٧ ، ص ١٢٠ . وقد طبع كتابه في بيروت بمؤسسة الأعلمي للمطبوعات عام ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) ، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي .

٣ ــ مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الشافعي : من أئمة اللغة والأدب ، توفي عام ٨١٧ هـ (١٤١٥ م) ، ترجم له : الشوكاني : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، القاهرة : مطبعة السعادة ١٣٤٨ هـ (١٠٢٩ م) ، ج ١ ، ص ٨٧ . وقد صنف كتابه هذا في الأماكن الواقعة في منطقة الحجاز ، وقام بتحقيقه حمد الجاسر ، ونشر بالرياض في دار اليمامة عام ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩ م) .

٤ ــ أبو القاسم بن أحمد بن محمد البلوي القيرواني : من أئمة المالكية في المغرب ، سكن تونس وانتهت إليه الفتوى فيها ، توفي عام ٨٤٤ هـ (١٤٤٠ م) ، ترجم له : ابن مريم التلمساني البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، الجزائر : المطبعة الثعالبية ، ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) ص ١٥٠ . وكتابه عبارة عن فتاوي فقهية على المذهب المالكي . وتوجد منه نسخة مخطوطة في قسم المخطوطات بجامعة الملك سعود بالرياض تحت رقم : ٣٢٣٥ .

٥ ــ نور الدين أبو الحسن علي بن عبد الله بن أحمد : مؤرخ المدينة ومفتيها ، توفي عام ٩١١ هـ (١٥٠٥ م) ، ترجم له : السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٥ ، ص ٢٤٥ . وكتابه عبارة عن ملخص لمجمل ماالطلع عليه من تواريخ المدينة المنورة . وقد اعتمد العيّاشي عليه اعتماداً كبيراً . قام بتحقيقه محمد محي الدين عبد الحميد ، وتمّ نشره في القاهرة بمطبعة السعادة عام ١٣٧٤ هـ (١٩٥٥ م) .

تارة ، يذكر اسم من أخبره ويسلسل الرواية كقوله : أخبرني فلان عن فلان[1]. وتارة أخرى لايذكر اسم من روى عنه ، وإنما يعبّر بقوله : (ذكر لي بعضهم[2] و : (أخبرني بهذا من سبر حال البلدين ...)[3].

ج ــ الملاحظة الشخصية .

قضى العيّاشي في المدينة المنورة فترة امتدت إلى سبعة أشهر ونصف مكّنته من معرفة الشيء الكثير عنها ، فشغلت ملاحظاته الشخصية حيّزاً كبيراً من رحلته عن أحوال المدينة بمختلف أنواعها . وهذه بسبب كثرتها وطغيانها على ماعداها من المصادر ، لاأرى حاجة لايراد أمثلة منها أو الاشارة إلى موضوعها ، ويكفي أن تفتح أية صفحة من صفحات النص المحقق كي تدرك مدى كثرة تلك الملاحظات الشخصية .

٣ ــ من نقل عن العيّاشي من الرحالة المتأخرين .

تعد رحلة العيّاشي مصدراً أساسياً لكثير ممّن جاء بعده من الرحالة المغاربة ومن هؤلاء تلميذه أحمد بن محمد بن ناصر الدّرعي الذي وصفه بشيخ وإمام المرتحلين في زمانه ، بل انّ محتويات رحلة الدّرعي وعناوينها مطابقة لما جاء في رحلة العيّاشي[4] . ومنهم الأفراني صاحب نزهة الحادي الذي نقل في كتابه هذا أنه رأى : (في الرحلة لشيخ شيوخنا الفقيه العلامة الامام أبي سالم عبد الله بن محمد العيّاشي) ثم سرد كلام العيّاشي عن ظروف غزو السلطان سليم العثماني لمصر المملوكية[5] . ومنهم الحسين بن محمد الورثيلاني[6]

١ ــ أبو سالم العيّاشي : ماء الموائد ، ج ١ ، ص ٣٢٩ ــ ٢٣٠ .
٢ ــ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٠٣ .
٣ ــ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٢٤ .
٤ ــ انظر : الرحلة الناصرية (مخطوط الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم ٧٦٤٨) وقارنها برحلة العيّاشي .
٥ ــ الأفراني : نزهة الحادي ، ص ١٣ . قارن بالعيّاشي : ماء الموائد (طبعة الحجر بفاس) ج ٢ ، ص ١٩ .
٦ ــ مؤرخ ومتصوف من فقهاء المالكية ، توفي عام ١١٩٣ هـ (١٧٧٩ م) ، ترجم له : محمد مخلوف : المصدر السابق ، ص ٣٥٧ .

الذي يذكر اسم العيّاشي أحياناً عند نقله عنه ، وأحياناً لايذكره وإنما ينسب ذلك إلى نفسه [١] . ومحمد بن عبد السلام الناصري [٢] الذي لاينسب مارواه إلى أحد من المؤلفين . لكن المتأمل فيما أورده يلاحظ أنه نقل بعض مروياته من رحلة العيّاشي [٣] .

وأما محمد بن كيران [٤] فإنّه كان في بعض الأحيان أميناً في نقله عن العيّاشي ؛ إذ يذكر اسمه عند اعتماده على ماأورده في رحلته . ومن ذلك المقارنة بين أعراب الحجاز وأعراب المغرب [٥] . وأحياناً أخرى ينقل عن العيّاشي جملة وتفصيلاً ، لكن لايصرّح بذلك [٦] . .

٤ ــ منهجــه :

من الملاحظ أن العياشي اقتدى بمنهج بعض من سبقه من المؤلفين ؛ مثل السمهودي ، فبوّب رحلته حسب الموضوعات وقسّمها إلى قسمين :

القسم الأول : ويشمل المعلومات الواردة في الكتب عن معالم الدينة الآثارية والجغرافية .

١ ــ أنظر ص ٤٩٦ من رحلته حيث ذكر اسم العيّاشي . وانظر ص ٤٩٤ من رحلته حيث لم يذكر اسم العيّاشي مع أن ماأورده منقول حرفياً عن ذلك الرحّالة ، قارن ذلك بصفحة ١٩٥ ، ج ١ من رحلة العيّاشي . وتمسى رحلة الورثيلاني : نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار ، ط ٢ ، بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م) .

٢ ــ فقيه ، محدث ، رحالة . توفي عام ١٢٣٩ هـ (١٨٢٣ م) . ترجم له : عبد الحي الكتّاني : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٩ .

٣ ــ أنظر ص ٣٦٩ من رحلته الكبرى (مخطوط الخزانة الملكية ، رقمه : ٦٩٠٤) .

٤ ــ رحالة وفقيه مالكي من أهل فاس ، توفي عام ١٢٢٧ هـ (١٨١٢ م) ، ترجم له : محمد مخلوف : المصدر السابق ، ص ٣٧٦ .

٥ ــ أنظر ص ١٣٢ من رحلته المسماة بالرحلة الفاسية الممزوجة بالمناسك المالكية ، مخطوط الخزانة العامة في الرباط ، رقمه : ١٤٨٢ د .

٦ ــ نشرت فصول من رحلته في مجلة العرب . ج ٧ ــ ٨ ، محرم ــ صفر ، ١٣٩٩ هـ ، كانون الثاني ــ شباط (يناير ــ فبراير) ١٩٧٩ م . انظر ص ٥٠٨ ــ ٥١١ وقارنها بـ ٢٢٥ ــ ٢٢٨ من رحلة العيّاشي .

الثاني : ويتضمن مروياته وملاحظاته الشخصية عن أحوال المدينة بمختلف أنواعها .

وكان العيّاشي يفصل الكلام في بعض الموضوعات ، ويجمله في موضوعات أخرى ، وذلك حسبما يستهويه الموضوع ذاته . ومع أنه أحياناً ، يناقش آراء غيره بروح علمية ناقدة فإنّه في بعض الأحيان يكتفي بنقل الأخبار دون مناقشة ؛ خاصة إذا كانت تلك الأخبار ممّا يتفق مع مذهبه الصوفي .

وقد ضمن العيّاشي رحلته بعض الروايات التي يبدو أنه لم يكن مطمئناً إلى صحة بعضها أو لأن البعض الآخر أثار إعجابه ، فميزها عن غيرها بوضعها تحت عنوان (غريبة) أو (لطيفة) .

ويلتزم العيّاشي بالمنهج العلمي الصحيح في أغلب الأحيان ، فيسند الأخبار إلى أصحابها ، ويوضح ماكان من إضافته بعبارة (قلت) أو (هذا لم يذكره فلان) . لكن في بعض الأحيان لايعزو الخبر إلى مصدره ، وربّما كان ذلك سهواً منه ، على أنّه من الملاحظ وان عزا الخبر إلى مصدره فقد وقعت في كتابته تحريفات وتصحيف لبعض الأسماء والأماكن . وربما يرجع ذلك إلى عدم دقّته في النقل أو إلى سبق قلم . ومن ذلك أنه كتب خالد بن عرفجة (خالد ابن عوسجة) [1] وكتب شعب الحرار (شعب الخرار) [2] .

ومن الملاحظ أيضاً أنّه في بعض المرّات يذكر مؤلف المصدر الذي نقل عنه . لكن يهمل أو ينسى ذكر اسم الكتاب مما يتعذر معه معرفة المصدر الذي نقل منه خصوصاً إذا كان صاحبه قد خلّف كتباً كثيرة .

---

١ ـــ أنظر : ج ١ ، ص ١٧٥ من رحلة العيّاشي ، وقارن بالذهبي : ميزان الاعتدال ، القاهرة : دار إحياء العلوم العربية ، ١٣٨٢ هـ (١٩٦٣ م) ، ج ١ ، ص ٢٩٨ . وابن حجر العسقلاني : تهذيب التهذيب ، حيدر آباد الدكن ـــ الهند : مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) ، ج ٣ ، ص ١٠٦ .

٢ ـــ أنظر : ج ١ ، ص ١٩٠ من رحلة العيّاشي وقارن بالسمهودي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٨٤٨ .

أما موقف العيّاشي من الروايات والأحاديث الواردة في الرحلة فقد اقتصر في كثير من الحالات على النقل من المصادر دون نقد أو تمحيص . ولعل سبب ذلك أنه كان متمسكاً بمرويات مشايخه الصوفية وبأحاديث الفضائل المنسوبة لرسول الله ﷺ ، حيث سلك سبيل من سبقه ممّن لم يهتموا بتحقيق تلك الروايات والأحاديث ، وإنّما ذكرها كما وردت عن سواه من غير المحققين (١) .

٥ ـــ أسلوبه .

عاش أبو سالم العيّاشي في عصر انحطت فيه النواحي اللغوية والاملائية رغم ازدهار الثقافة والحياة الفكرية . ولذلك أتى أسلوبه في الكتابة متأثراً بالمحيط الثقافي الذي كان سائداً حينذاك . فلم يخل من السّجع خاصة إذا شدّه مظهر معين (٢) . وكثرت في أسلوبه التعابير الركيكة (٣) ، والكلمات العامية (٤) ، والأخطاء النحوية والاملائية (٥) .

٦ ـــ قيمة الرحلة . .

لرحلة العيّاشي أهمية بالغة لما حوته من المباحث العلمية المتنوعة ؛ فهي تتحدث عن منازل الحج ومشاعره المقدسة ، كما تضم بعض النبذ الفقهية والأدبية ، والمقطوعات الشعرية ، والشذرات التاريخية ، ولمحات عن عوائد الناس الاجتماعية ، وأحوال البلدان والمعالم الجغرافية ، والمعاملات التجارية والآثار ، وتراجم العلماء .

---

١ ـــ أنظر القسم المحقق من هذه الرسالة حيث تمّ التعقيب على الروايات والأحاديث الضعيفة . ومثال ذلك راجع ص : ١٠٧ ، ١١١ ، ١٣٢ ، ١٤٤ ، ١٦٨ .

٢ ـــ أنظر : ص ٢١٠ ، ٢١١ .

٣ ـــ أنظر : ص ٢١٠ ، ٢٥٤ .

٤ ـــ أنظر : ص ٢٠٧ ، ٢٥٢ .

٥ ـــ أنظر : ص ٨١ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ١٦٩ .

ويعد القسم الخاص منها بالمدينة المنورة — وهو المعتمد للتحقيق — ذا أهمية بالغة بالنسبة لتاريخ المدينة في القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) خاصة أنه دوّن في عصر ندرت فيه المؤلفات عنها ، كما أنه يحوي وصفاً شاملاً للمدينة المنورة في مختلف أحوالها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية ، ووصفاً لمعالمها الجغرافية والأثارية .

ولم يقف مؤلّفه عند الشمولية فحسب ، بل تعدّاها إلى تفصيل المعلومات ورصد مالاحظه بدقة .

ومما تجدر الاشارة إليه أنّ رحلة العيّاشي أصبحت مثالاً يقتدى به ونموذجاً يقلّد . فقد اعتمد كثير من الرحّالة — ممّن جاء بعده — على ماكتبه لتدوين أخبار رحلاتهم . وقد أفردت قسماً من الفصل الثالث عمّن نقل عن العياشي من الرحالة الذين أتوا بعده .

وبالتالي فلرحلة العيّاشي أهمية لم تفت أيضاً على بعض المستشرقين وغيرهم من الباحثين المُحْدَثين الذين أبدوا اهتماماً ملحوظاً بها ، ونقلوا أقساماً منها إلى اللغة الفرنسية . فقد ترجم بربروجر (Berbrugger) إلى الفرنسية الجزء الخاص بالجنوب الجزائري في كتابه : (Exploration Scientifique de L,Algerie) (الاكتشاف العلمي للجزائر) . وترجم موتيلانسكي (Motylinski) القسم الخاص بالمراحل بين طرابلس ومصر في كتاب (Itiniraires entre Tripoli et L,Egypte) (المراحل بين طرابلس ومصر) .

ولقد أطرى ليفي بروفنسال (Livi Proensal) عند حديثه عن القسم الجغرافي منها الدقة والضبط فقال : (وان كان لايتعدّى بيان المسالك والمنازل فهو في حقيقة الأمر دقيق الضّبط وجدير بالدراسة حتى في أيامنا هذه)[١] .

وقد أفرد إبراهيم شحاته حسن في كتابه « أطوار العلاقات المغربية العثمانية » فصلاً لرحلة العياشي ذكر فيه أشواط الرحلة وترجم فيه للمؤلف .

ونقل كاتب يسمى برهمات إلى الفرنسية الجزء المتعلق بما بين وادي دَرْعة وَوَارْكْلَة ونشره في مجلة الاسلام الصادرة بباريس (Revue L,Islam a Paris) آذار

١ — مؤرخو الشرفاء ، الرباط : دار المغرب للتأليف والنشر ، ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) ، ص ١٨٤ .

(مارس) ١٩٨٢ م .

وعلاوة على ماتقدم فإنّ رحلة العيّاشي نالت من قبل إعجاب العلماء المغاربة الذين أثنوا عليها ثناء حسناً . فقد نقل محمد الطيب القادري ماقاله المسناوي في « جهد المقل القاصر » عن الرحلة ؛ إذ قال عنها أنها : (جمّة الفوائد ، عذبة الموارد ، غزيرة النفع ، جليلة القدر ، جامعة من المسائل العلمية المتنوعة مايفوت الحصر ، سلسة المساق والعبارة ، مليحة التصريح والاثارة كرحلة العلاّمة الضابط ابن رُشَيْد المسمّاة مليء العيبة)[١] .

وقال عنها صاحب المنزع اللّطيف : (وهو ـــ أي العيّاشي ـــ صاحب الرحلة العظيمة الشأن الجليلة المقدار الدالة على تبحّره في العلوم عقليّها ونقليّها)[٢] .

---

١ ـــ الاكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج ، مخطوط الخزانة الملكية في الرباط ، رقمه : ١٨٩٧ ص ٥٦ .

٢ ـــ عبد الرحمن بن زيدان : المنزع اللّطيف في التلميح بمفاخر مولاي إسماعيل الشريف ، مخطوط الخزانة العامة في الرباط ، رقمه ٥٩٥ ج ، ص ٣٢٠ .

المدينة المنورة في رحلة العياشي

القسم المحقق

←

(وقصدي إن شاء الله من كتابة هذه الرحلة أن تكون ديوان علم ، لا كتاب سمر وفكاهة ، وان وجد الأمران فذلك أدعى لنشاط الناظر فيها ، سيّما ان كان صاحب تلوين ، وأما صاحب التمكين فلكلّ شيء عنده موقع ونفع لايوجد عند غيره .)

أبو سالم العيّاشي

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر دخولنا للمدينة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام

وكان دخولنا للمدينة المشرفة ليلة الخميس الثانية من محرم (١) فاتح عام ثلاثة وسبعين وألف (٢) . وبتنا تلك الليلة بالرباط المذكور (٣) ، فمنا من زار ومنّا من تأخّر إلى الصباح لأن الحرم الشريف بعد صلاة العشاء يغلق ولايكون له إلى قرب الفجر انفتاح . وكنت فيمن أخّر الزيارة لشغل البال ، وضيق الوقت ومزاحمة الأشغال . فلما كان قبل الفجر بقليل اغتسلت وذهبت إلى المسجد الأثيل ، وصليت في روضة الجنة ، وعظمت عليّ من الله المنة ، وزرت أكرم نبي وأفضل رسول ، وسلمت عليه وعلى صاحبيه الفائزين من قربه بأعظم مأمول وصليت الصبح بذلك الحرم وكرّعت في / مناهل الفضل والكرم . ثم رجعنا إلى محلّنا ومحطّ رحلنا ، وأخذنا في أهبة المجاورة (٤) ، وانقطعت بيننا وبين أصحابنا في ذلك المحاورة ، وما كان شيء أهم إلي ولاأشد عليّ من أقسامهم عليّ (٥) بالنبي ﷺ بين يديه على ترك المجاورة لديه (٦) . وكنت أتخوف

---

١ ــــ في الأصل : ذو الحجة . وفي النسخ : (أ) و (ب) و (ج) : الثانية من محرم . وقد استدرك المؤلف خطأه حيث تحدث عن مدة اقامته بالمدينة فقال بأنه دخلها في الليلة الثانية من محرم انظر ص ١٧٥ من هذه الرسالة .

٢ ــــ الموافق ١٧ أغسطس ١٦٦٢ م .

٣ ــــ أي رباط إسماعيل بن جعفر الصادق .

٤ ــــ ويقصد السكنى بالمدينة ليكون قريباً من المسجد النبوي .

٥ ــــ سقط من : (ج) : عليّ .

٦ ــــ القسم بالنبي ﷺ أو بغيره لايجوز قطعاً لأنه حلف بغير الله .

أنظر : الحاكم : المستدرك على الصحيحين ، حيدر أباد الدكن ــــ الهند ــــ مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، ١٣٤٠ هـ (١٩٢١ م) ، ج ١ ، ص ١٨ . ومحمد بن عبد الوهاب : التوحيد الذي هو حق الله علي العبيد . تحقيق محمود عبد الوهاب فايدة ، ط ٣ ، القاهرة : ادارة الطباعة المنيرية ، ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) ، ص ١٦٧ .

ذلك منهم قبل الوصول ونهيت من توهمت ذلك منهم أشد النهي مخافة التورط في سوء أدب يعسر الانفكاك منه بعد [1] الحصول ، فسلّم الله من ذلك ، ووقينا[2]شر ماهنالك وأذعنوا للفرقة لمّا علموا مني الجِدّ لولا مساعدة الجَدّ[3] وأقمنا يوم الخميس ويوم الجمعة [4] ، وفي ليلة السبت [5] نزل الركب المصري ليلاً وأقام أصحابنا المغاربة معه في المدينة يوم السبت ، وبلّغ الله أمنيتهم في إقامة ثلاثة أيام صحيحة بالمدينة وأربع [6] ليال ، فقرّت أعينهم بذلك . وكانوا تخوفوا ازعاج المصري إياهم عن الاقامة كما هو شأنه في غالب السنين فلا يقيمون إلا يوماً واحداً.وفي هذه السنة أشغلهم عن ذلك ماوقع بينهم من الاختلاف ؛ فقد جاءت كتب من مصر بعزل الأمير إبراهيم وتولية أبي الشوارب مكانه . وأبى الأمير المعزول أن ينقاد لحكم العزل حتى كادت أن تكون فتنة ولكن الله سلّم فاستسلم للأمر الوارد وسلّم المحمل [7] للأمير عبدان [8] وكان حج معه . وأقام هو بالمدينة إلى أن توفي بها بعد شهر أو أزيد . ورجع أولاده وخدامه ومن كان معه إلى مصر ، وكانوا يرون أنه مات مسموماً . ودفن بالبقيع فتمت نعمت الله عليه ببركة حسن طويته وكانوا أرادوا بالعزل اهانته [1] فكان له سبب الفوز بأكرم النزل . فأهلّه الله للموت بالمدينة ، وتلك [2] منقبة عند الله مكينة .

ولمّا كان صبيحة يوم الأحد [3] تهيأ الركب المغربي للخروج ، وخرج

---

١ ــــ في (أ) : عند .

٢ ــــ في النسخ : ووقانا .

٣ ــــ بمعنى الحظ . ابن منظور : المصدر السابق .

٤ ــــ ٢ و ٣ محرم من عام ١٠٧٣ هـ الموافق ١٧ ــ ١٨ آب (أغسطس) ١٦٦٢ م .

٥ ــــ ٤ محرم من عام ١٠٧٣ هـ الموافق ١٩ آب (أغسطس) ١٦٦٢ م .

٦ ــ في الأصل : أربعة . وكذا في (ج) . والصحيح ماورد في (أ) وهو ماأثبت في المتن .

٧ ــــ المحمل لغة : شقّان على البعير يركب فيهما أو يحمل فيهما . المصدر نفسه . وهنا المراد به نسيج من الحرير يرسله السلطان كل عام إلى مكة والمدينة . ثم يرسل في العام القابل آخر عوضه ويسترجع السابق تبركاً به . البستاني : محيط المحيط ، ؟ ، بيروت : مكتبة لبنان .

٨ ــــ الأمراء المصريون الوارد ذكرهم هنا تعذر عليّ العثور على تراجمهم . ولذا وردت أسماؤهم غير كاملة ووفقاً لورودها في الرحلة .

١ ــــ في (ب) : وكانوا أرادوا اهانته بالعزل .

٢ ــــ في (أ) : وذلك .

٣ ــــ ٥ محرم من عام ١٠٧٣ هـ الموافق ٢٠ آب (أعسطس) ١٦٦٢ م .

أصحابنا ضحى ، وودعناهم بالمسجد أمام الوجه النبوي ولم نزد معهم . ورأيت أن ذلك هو اللائق في الوقت ، وأن التوديع أمام وجه النبي ﷺ أدعى لحصول المراد لنا ولهم لرؤيته ﷺ مايلاقي كل (١) منا من فراق الآخر (٢) ، كل ذلك طلباً لحصول مرضاة (٣) الله ورسوله . فعسى نفحة من نفحات جوده التي في ضمنها خير الدنيا والآخرة تهب علينا وعليهم فتغمر كلا منا سائر الدهر ، والمنة لله ورسوله في كل ذلك علينا وعليهم . وقلت عند وداعهم بعد قضاء الحق الواجب (٤) من السلام عليه ﷺ : يارسول الله ان هؤلاء اخواننا نسباً ودينا وقد علم الله مابيننا وبينهم من الألفة والمودّة ، وما حملنا على فراقهم طلب دنيا ولا جاه بل حب مجاورتك ، ولا طابت أنفسهم بتخلفنا عنهم أيضاً إلّا لاجلال قدرك ، فهم في كفالتك يارسول الله حتى يصلوا إلى أهليهم سالمين غانمين كما انا في جوارك دنيا وآخرة حتى نلقاك على الحوض مطمئنين آمنين (٥) .

وقد كمّل الله رغبتنا فيهم وفينا فبلغوا على أحسن حال ، وأقمنا على أجمل المراد حتى أقر الله أعين الكل بعد ذلك بالاجتماع في أوطاننا . فنسأل الله أن يتمم (٦) لنا البقية بالسلامة والعافية ديناً ودنيا ، ويمنّ علينا بالعودة إلى تلك البقاع الشريفة ، والموت بها على الملّة الحنيفة .

ولمّا خرج أصحابنا وودعناهم وأيسوا منّا كما أيسناهم (٧) جدّدنا النيات وأخلصنا قدر الطاقة الطويات ، واطمأنت القلوب ، وانزاحت بفضل الله الأحزان والكروب ، ورجعنا إلى الزيارة بقلوب مِنْ سِوى ماهي بسببه فارغة ، وترادفت علينا أنعم من الله سابغة .

١ ـــ في الأصل : الكل . وكذا في النسخ .
٢ ـــ لامجال هنا للرؤية لأن النبي ﷺ قد توفاه الله . وهذه صفة يختص بها الله سبحانه وتعالى .
٣ ـــ في الأصل : مرضات ، وكذا في النسخ .
٤ ـــ في (أ) : بالواجب .
٥ ـــ هناك عدة ملاحظات على آراء المؤلف الصوفية في القسم الخاص بالدراسة أنظر ص٣٠ .
٦ ـــ في (أ) : يتم .
٧ ـــ في (ج) : أيسنهم .

وفي صبيحة يوم الاثنين [١] خرجنا لزيارة أهل البقيع [٢] رضوان الله عليهم وتتبعنا الأماكن المشهورة هناك . وكنا في [٣] الأيام [٤] التي أقمنا قبل ذلك انما نزورهم جملة لاشتغالنا بأسباب الانفصال والاتصال . فلمّا اطمأنت بنا الدار وبلغنا الأوطار أتينا [٥] الديار من أبوابها ، وقصدنا المسببات من جهة أسبابها فخرج معنا الناسك الزاهد أقدم المجاورين / في تلك الديار هجرة وأكثرهم فيها من المشاهد خيرة ، الشيخ محمد الفزاري المالكي [٦] ، وأوقفنا على المشاهد كلها وأرانا جليها وخفيها ، ودعونا الله عند كل مشهد بما نرجو قبوله لنا ولاخواننا وأحبابنا الذين خلفناهم [٧] في بلادنا ولمشايخنا وذرياتنا . نسأل الله أن يعود ببركة ذلك علينا وعليهم في دنيانا وآخرتنا .

وقد استوفى السيد السمهودي في تاريخ المدينة ذكر المشاهد الظاهرة [٨] بالبقيع أحسن استيفاء ، فليراجعه من أراد تحقيق ذلك . ولنذكر نحن بعض المشاهد ممّا [٩] زرناه ، وإلّا فمقبرة المدينة لامقبرة على وجه الأرض أشرف منها بالاجماع . فهي خارجة من الخلاف الذي في تفضيل المدينة على مكة [١٠] إذ لاتعلم مقبرة على وجه الأرض مثلها [١١] دفن فيها من سادة [١٢] هذه الأمة وأفاضلها من الصحابة خصوصاً الخلفاء ، وأزواج النبي عليه السلام وأولاده

١ ـــ ٦ محرم من عام ١٠٧٣ هـ الموافق ٢١ آب (اغسطس) ١٦٦٢ م .
٢ ـــ أصل البقيع لغة : الموضع فيه أروم الشجر من ضروب شتى . ابن منظور : المصدر السابق . والمقصود هنا مقبرة المدينة التي دفن فيها عدد من الصحابة .
٣ ـــ سقط من (أ) : في .
٤ ـــ في (أ) : أيام .
٥ ـــ في النسخ : أتيت .
٦ ـــ نسبة إلى بلاد فزارة التي تقع بين أعالي النيل وأرض السودان . وهو فقيه مالكي يعتبر من أقدم المجاورين بالمدينة حيث استوطنها أكثر من أربعين عاماً . ترجم له : أبو سالم العيّاشي : ماء الموائد (طبعة الحجر بفاس) ج ٢ ، ص ٤٦ .
٧ ـــ في الأصل خلفنهم . وكذات في (ج) : والتصحيح من (أ) و (ب) .
٨ ـــ في (ج) : الطاهرة .
٩ ـــ في الأصل : ممّن . وكذا في النسخ .
١٠ ـــ بالعكس ، وردت أحاديث في تفضيل مكة على المدينة . روى البخاري في الجامع الصحيح عن النبي ﷺ : (صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام) . كتاب فضل مكة والمدينة ، ج ٢ ، ص ٥٧ . وروى الدّارمي في سننه ـــ وهو حديث صحيح ـــ : (والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلّي ...) أنظر ص **١٣٥** من هذه الرسالة . وقال ابن حجر : (أي في تفضيل مكة على المدينة) وهو قول جمهور العلماء باستثناء المالكية .
←

وأكابر أهل بيته ، وسادة [1] التابعين ، وتابعيهم بإحسان . فهم أول زمرة تحشر مع رسول الله ﷺ ؛ فمنهم خلفاؤه وأعمامه وعماته وبناته وولده إبراهيم وأزواجه وأكابر أهل بيته والجم الغفير من أصحابه وأنصاره وأولادهم وأتباعهم فلايشك مسلم أن ليس في أمة النبي ﷺ أفضل من الزمرة التي تبعث من المدينة.

وقد روي عن الامام مالك رضي الله عنه أنه قال : دفن بالمدينة أكثر من عشرة آلاف من الصحابة . وبها شهداء أُحد ؛ وليس في غزواته عليه السلام أكثر من هذه الغزوة شهيداً ، وبها شهداء الخندق [2] ، وبها شهداء الحرة [3] . وليس فيمن استشهد في الفتن التي بعد النبي عليه السلام أكرم [4] منهم شهيداً [5] . وكم فيها من مآثر ومشاهد يعلم بعضها بالنظر في تأليف من ألّف في فضلها .

ذكر المشاهد التي تزار بمدينته عليه السلام .

فأول مايلقاك من المشاهد إذا خرجت على باب المدينة المسمى بباب البقيع قبة فيها صفيّة بنت عبد المطلب [6] على يسارك وأنت ذاهب في الزقاق الذي في وسط البقيع إلى ناحية المشرق . وإن ملت إلى اليمين مع سور المدينة

—— فتح الباري ج ٣ ، ص ٦٧ .

١١ —— في (ب) : عبارة زائدة : على وجه الأرض مثلها .

١٢ —— في الأصل : سادات وكذا في النسخ .

١ —— في الأصل : سادات . وكذا في النسخ .

٢ —— وهي غزوة الأحزاب التي وقعت في السنة السادسة للهجرة (٦ هـ / ٦٢٧ م) .

٣ —— كانت هذه الواقعة عام ٦٣ هـ (٦٨٢ م) بين جيش يزيد بن معاوية بقيادة مسلم بن عقبة المرّي وأهل المدينة بعد أن ثاروا عليه وأخرجوا عامله . الطبري : تاريخ الرسل والملولك ، ؟ ، القاهرة : دار المعارف ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م) ، ج ٥ ، ص ٦٣ .

٤ —— في (أ) : أكثر .

٥ —— في (ب) : شهادة .

٦ —— عمة الرسول ﷺ ترجم لها : ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ؟ ، بيروت : دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م) ، ج ٨ ، ص ٤١ . وزينب فواز : الدّر المنثور في طبقات ربات الخدور ، القاهرة : المطبعة الكبرى الأميرية ، بولاق ، ١٣١٢ هـ (١٨٩٤ م) ، ص ٢٦١ .

فهناك مسجد صغير قيل أنّ فيه موقف النبي ﷺ حين خرج ليستغفر (١) لأهل البقيع ، وقيل هو زاوية دار عقيل بن أبي طالب التي دفن فيها (٢) ، وفيها كثير من أهل البيت . روى خالد بن عرفجة (٣) قال : كنت أدعو ليلة إلى زاوية دار عقيل ، فمرّ بي جعفر بن محمد (٤) فقال لي : أعن أثر وقفت هنا ؟ قلت (٥) : لا . قال : هذا موقف نبي الله بالليل إذا خرج يستغفر لأهل البقيع (٦) . قال المراغي : وقد أخبرني غير واحد أن الدعاء هناك مستجاب (٧) .

فإذا مررت كذاك تحت سور المدينة يميناً إلى أن توازي قريباً (٨) من زاوية سور المدينة الذي فيه مشهد السيد إسماعيل (٩) فهناك على يسارك القبة الكبيرة الماثلة في الهواء ، وفيها مشهد العباس ومشهد الحسين بن علي ومشهد أمه — رضي الله عنهم — على المشهور ، ومشهد زين العابدين (١٠) ومحمد

---

١ — في (ب) : يستغفر .

٢ — عقيل هو شقيق الإمام علي بن أبي طالب ، وكان من أعلم الناس بأيام قريش ومآثرها ومثالبها وأنسابها ، ترجم له : ابن سعد : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٢ . وابن حجر العسقلاني : الاصابة في تمييز الصحابة ، بيروت : مكتبة المتنبي ، ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م ، ج ٢ ، ص ٤٩٤ .

٣ — في الأصل ، وفي (ب) و (ج) خالد بن عوسجة . والتصحيح من (أ) وخالد بن عرفجة صحابي توفي عام ٦٠ هـ / ٦٧٩ م . ترجم له : الذهبي : ميزان الاعتدال ، ج ١ ، ص ٢٩٨ . وابن حجر : تهذيب التهذيب ، ج ٣ ، ص ١٠٦ .

٤ — ربما هو جعفر بن محمد بن أم سلمة الأنصاري ، له صحبة وشهد فتح مكة . انظر : ابن حجر : الاصابة ، ج ١ ، ص ٢٣٩ .

٥ — في (ب) و (ج) : فقلت .

٦ — أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنائز ، ج ١ ، ص ٦٧٠ — ٦٧١ .

٧ — هذا يتفق مع ماأورد المراغي : تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي ، ط ٢ ، بيروت : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ، ١٢٦ .

٨ — في (ج) : قريب .

٩ — إسماعيل بن جعفر الصادق ، توفي عام ١٤٣ هـ / ٧٦٠ م ، وإليه تنسب الإسماعيلية . وهي فرقة من فرق الشيعة الباطنية المتطرفة لعبت أدواراً سيئة ضد المسلمين في الحروب الصليبية . ومن الإسماعيلية اليوم النزارية في الهند ، وزعيمها الآغا خان ، والسليمانية في اليمن ، ويقال لهم أيضاً المكارمة والداودية ، كما يسمون أيضاً البهرة . فنسنك وآخرون : المصدر السابق ، (الترجمة العربية) ، ج ٢ ، ص ١٨٧ .

١٠ — هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، توفي عام ٩٤ هـ / ٧١٢ م ، ترجم له ابن سعد : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢١١ ، وأبو نعيم الأصبهاني : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م ، ج ٣ ، ص ١٣٣ .

الباقر [١] وجعفر الصادق [٢] وكثير من أهل البيت . وبين هذا المشهد وزاوية دار عقيل مشاهد متعددة إلى جهة المشرق :

منها مشهد أمهات المؤمنين يروى أن فيه أمهات المؤمنين كلهن ماعدا [٣] خديجة وميمونة ، وهو في قبلة المشهد المنسوب لعقيل .

ومنها المشهد المنسوب لعقيل ، وفيه قبر ابن عمه أبي سفيان بن الحارث [٤] . روي أن عقيل بن أبي طالب رأى أبا سفيان بن الحارث يجول بين المقابر فقال : يابن عمي مالي أراك هنا ؟ قال : أطلب موضع قبري . فأدخله داره ، فأمر بقبر فحفر في قاعتها ، فقعد عليه أبو سفيان ساعة ثم انصرف ، فلم يلبث إلا يومين حتى توفي ودفن فيه [٥] .

ومنها مشهد يقال أن فيه بنات النبي عليه السلام ماعدا [٦] فاطمة رضي الله عنهن ، وهو قرب مشهد عقيل . ولاشك أن من مات من أهل بيت النبي ﷺ في حياته كان يدفنه قرب قبر عثمان بن مظعون [٧] لما ورد في الأحاديث الصحيحة أن النبي ﷺ لمّا مات عثمان بن مظعون وضع عند رأسه حجراً

---

١ ـــ هو ابن لزين العابدين سابق الذكر ، ترجم له : اليعقوبي في تاريخه ، ط ١ ، النجف ـــ العراق : المكتبة المرتضوية ، ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) ج ٣ ، ص ٦٠ .

٢ ـــ هو جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين : من الأئمة الأعلام ، توفي عام ١٤٨ هـ (٧٦٥ م) ، ترجم له اليعقوبي المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١١٥ ، وابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٢١ ، ص ٣٢١ ـــ ٣٢٨ .

٣ ـــ في الأصل : ماعدى . وكذا في (ب) و (ج) والتصحيح من (أ) .

٤ ـــ ابن عم رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة ، أسلم يوم الفتح وشهد حنيناً فكان ممّن ثبت مع النبي ﷺ ، ترجم له ابن سعد : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٩ . وابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ؟ ، القاهرة : مطبعة نهضة مصر ، ؟ ، ج ٣ ، ص ١٦٧٣ .

٥ ـــ ورد هذا الأثر في أخبار المدينة لابن شبّة ، جدة : دار الطباعة للأصفهاني ، ؟ ، ج ١ ، ص ١٢٧ . وفي سنده عبد العزيز بن عمران المدني : (قال البخاري : لايكتب حديثه . وقال النسائي : متروك ، وقال عثمان بن سعيد : قلت ليحيى : فابن أبي ثابت عبد العزيز بن عمران ماحاله ؟ قال : ليس بثقة) الذهبي : ميزان الاعتدال ، ج ٢ ، ص ٥١٣ ، وقال ابن سعد في طبقاته أن أبا سفيان بن الحارث حفر قبره بنفسه قبل موته بثلاثة أيام ، ج ٤ ، ص ٥٣ .

٦ ـــ في الأصل : ماعدى . وكذا في (ب) وفي (ج) . والتصحيح من (أ) .

٧ ـــ صحابي ، شهد بدراً ، توفي عام ٢ هـ (٦٢٣ م) ، ترجم له : ابن سعد : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٣٩٣ . وأبو نعيم الأصبهاني : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠٢ .

وقال : (أعلم به قبر أخي ، وأدفن إليه من مات من أهلي)[1] . وهذا المشهد قريب من ذلك .

ومنها مشهد سيدنا إبراهيم بن النبي عليه السلام فيه قبره وقبر عثمان بن مظعون . فقد جاء في الحديث أن أول من دفنه رسول الله ﷺ بالبقيع عثمان ابن مظعون[2] . فلما توفي إبراهيم قالوا : يارسول الله أين نحفر له ؟ قال : (عند فرطنا [3] عثمان بن مظعون)[4] . وفي الحديث مايدل على أن بنات النبي ﷺ هناك . فقد روى الطبراني عن ابن عباس : لما ماتت رقية بنت رسول الله ﷺ قال : (ألحقي بسلفنا عثمان بن مظعون)[5] . والثابت في الصحيح

---

١ ـــ رواه أبو داود في سننه ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط ٢ ، القاهرة : مطبعة السعادة ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م) ، ج ٣ ، ص ٢٨٨ .

٢ ـــ اختلف القول في أول من مات ودفن بالبقيع من الصحابة أهو عثمان بن مظعون أم أسعد بن زرارة وقد ذكر ابن شبة هذا الخلاف قائلاً : (قال البغوي : بلغني أنه ـــ يقصد عثمان بن مظعون ـــ أول من مات من الصحابة بعد الهجرة ، وأنه أول ميت صلى عليه النبي ﷺ . وروى الواقدي من طريق عبد الله بن أبي بكر بن حزم قال : أول من دفن بالبقيع أسعد بن زرارة ، هذا قول الأنصار وأما قول المهاجرين فقالوا : أول من دفن به عثمان بن مظعون) . المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٩٦ .

٣ ـــ أي سلفنا .

٤ ـــ قال علي بن أبي بكر الهيثمي : (رواه الطبراني ورجاله ثقات ، وفي بعضهم خلاف) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، القاهرة : مكتبة القدسي ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) ، ج ٩ ، ص ٣٠٢ .

٥ ـــ رواه الطبراني في المعجم الأوسط ، ولايزال مخطوطاً .

ومن الملاحظ أن هناك روايتين . إحداهما ورد فيها ذكر اسم رقية ، والأخرى زينب ، لكن المرجح أنها زينب لما يأتي :

أ ـــ روى البخاري على لسان عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ خلّف عثمان بن عفان على رقية ـــ وكانت زوجته ـــ وهي وجعة أيام بدر ، الجامع الصحيح ، كتاب فضائل الصحابة ، ج ٤ ، ص ٢٠٣ .

ب ـــ قال ابن سعد : (ذكرت هذا الحديث ـــ أي حديث رقية ـــ لمحمد بن عمر فقال : التبت عندنا من جميع الرواية أن رقية توفيت ورسول الله ببدر ولم يشهد دفنها) المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٣٧ .

ج ـــ قال الهيثمي : (رواه الطبراني ـــ ويقصد حديث رقية ـــ في الأوسط وفيه صالح المرّي وهو ضعيف) . المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٣٠٢ .

د ـــ ورد حديث زينب في مسند أحمد ، وقال المحقق ـــ أحمد شاكر ـــ : اسناده صحيح ، القاهرة : دار المعارف ، ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م) ، ج ٥ ، ص ٤١ .

ه ـــ توفيت زينب والنبي ﷺ بالمدينة . ابن سعد : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٣٤ .

فمن المعقول جداً أن تكون هي المقصودة في الحديث ، لا رقية ـــ رضي الله عنهن ـــ .

أن النبي ﷺ / لم يحضر موت ابنته رقيه لغيبته في بدر[١] وأنه حضر ابنتيه[٢] أم كلثوم وزينب . قال السمهودي : وأصل[٣] المروي في الطبراني وارد[٤] في أحدهما . ثم قال : والظاهر أنهن جميعاً عند عثمان بن مظعون لقوله عليه السلام لمّا وضع[٥] الحجر عند رأس عثمان : (أعلم به قبر أخي ، وأدفن إليه من مات من أهلي) . رواه ابن ماجه والحاكم[٦] .

وفي ذلك المشهد أيضاً قبر فاطمة بنت أسد أم علي رضي الله عنه كما حققه السيد[٧] . واستدل لذلك بأحاديث ثم قال : وهذا صريح في مخالفة ماعليه الناس اليوم في المشهد المنسوب إليها[٨] .

قلت : والمشهد المنسوب إليها اليوم في فم زقاق أقصى[٩] البقيع من شرقيه ، بل ليس من البقيع على ماحقق .

وفي هذا المشهد أيضاً قبر عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه . فقد روي عن حميد بن عبد الرحمن[١٠] قال : أرسلت عائشة إلى عبد الرحمن بن

---

١ ـــ البخاري : الجامع الصحيح ، كتاب فضائل الصحابة ، ج ٤ ، ص ٢٠٣ .
٢ ـــ في الأصل : ابنته . وكذا في النسخ .
٣ ـــ في (أ) و (ج) : لعلّ .
٤ ـــ في الأصل : وارداً ، وكذا في (ج) . والتصحيح من (أ) و (ب) .
٥ ـــ في (أ) : وضعت .
٦ ـــ هذا يتفق مع ماأورده السمهودي في : وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، القاهرة : مطبعة السعادة ، ١٣٧٤ هـ (١٩٥٥ م) ج ٣ ، ص ٨٩٤ ـــ ٨٩٥ . والحديث روى ابن ماجه الشطر الأول منه في سننه في باب (ماجاء في العلامة في القبر) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٧٢ هـ (١٩٥٢ م) ج ١ ، ص ٤٩٨ . أمّا لفظ الحاكم : فوضع رسول الله ﷺ حجراً عند رأسه ــ أي عند قبر عثمان بن مظعون ــ وقال : (هذا قبر فرطنا ...) فلما ماتت زينت بنت رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ : (ألحقوها بسلفنا الخير عثمان بن مظعون) . المصدر السابق . كتاب معرفة الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ ، ج ٣ ، ص ١٩٠ .
٧ ـــ أي السمهودي .
٨ ـــ هذا يتفق مع ماأورده السمهودي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٨٩٦ .
٩ ـــ في النسخ : أقصا .
١٠ ـــ حميد بن عبد الرحمن بن عوف : كان فقيهاً محدثاً ، توفي عام ٩٥ هـ (٨١٣ م) ، ترجم له : خليفة بن خياط : طبقات خليفة ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، بغداد : مطبعة العاني ، ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م) ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ .

عوف حين نزل به الموت أن هلمّ إلى رسول الله ﷺ وإلى أخويك [1] فقال: ماكنت مضيقاً عليك بيتك، إنّي كنت عاهدت ابن مظعون أيّنا مات دفن إلى جنب صاحبه [2].

وفي هذا المشهد أيضاً سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. روي عن ابن دهقان [3] قال: دعاني سعد بن أبي وقاص فخرجت معه إلى البقيع، وخرج بأوتاد حتى إذا [4] جاء موضع زاوية دار عقيل الشرقية الشامية أمرني فحفرت حتى إذا بلغت باطن الأرض ضرب فيها الأوتاد ثم قال: ان هلكت فادللهم على هذا الموضع يدفنوني فيه. فلما هلك قلت لولده، فخرجنا حتى دللتهم على ذلك الموضع، فوجدوا الأوتاد، فحفروا له هنالك [5].

وفي هذا المشهد أيضاً قبر عبد الله بن مسعود. فقد روى ابن سعد في طبقاته أن ابن مسعود قال: ادفنوني عند قبر عثمان بن مظعون [6].

وفي هذا المشهد أيضاً قبر خنيس بن حذافة السهمي [7] زوج حفصة قبل النبي ﷺ. فقد روي أنه دفن عند عثمان بن مظعون. وفيه أيضاً قبر أسعد ابن زرارة رضي الله عنه [8]. قال السيد السمهودي بعد ذكره لما تقدم مبسوطاً بأدلته: فينبغي السلام على هؤلاء كلهم عند زيارة مشهد سيدنا إبراهيم معه

---

١ ــ أي أبي بكر وعمر.

٢ ــ رواه ابن شبّة في أخبار المدينة، ج ١، ص ١١٥. وهو ضعيف بهذا السند لأن فيه: محمد ابن عبد العزيز بن عمر بن عوف القاضي: (قال البخاري عنه: منكر الحديث وقال النسائي: متروك). الذهبي: ميزان الاعتدال؛ ج ٣، ص ٦٢٨. وفيه: راشد بن حفص بن عمر بن عبد الواحد بن عوف: (مجهول). ابن حجر: لسان الميزان، حيدر آباد: مطبعة دائرة المعارف النظامية، ١٣٣٠ هـ (١٩١١ م)، ج ٢، ص ٤٤١.

٣ ــ لم أجد له ترجمة في المصادر التي تيسر لي الرجوع إليها.

٤ ــ سقط من (أ): إذا.

٥ ــ رواه ابن شبّة في أخبار المدينة، ج ١، ص ١١٦، وهو ضعيف بهذا السند لأن فيه عبد العزيز ابن عمران، أنظر: ص ٨٧، من هذه الرسالة.

٦ ــ هذا يتفق مع رواية ابن سعد: المصدر السابق، ج ٣، ص ١٥٩.

٧ ــ صحابي من السابقين إلى الاسلام، مات يوم أحد عام ٣ هـ (٦٢٤ م). ترجم له ابن سعد: المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٩٢.

٨ ــ من قبيلة الخزرج، وهو أحد النقباء الذين بايعوا النبي ﷺ يوم العقبة. ترجم له ابن سعد: المصدر السابق، ج ٣، ص ٦٠٨ ــ ٦١١.

فاطمة بنت رسول الله ﷺ على القول بأنها بالبقيع ، وهو الأرجح [1] .

قلت : وقد تقدم أنها في قبة العباس مع ابنها الحسن وذريته ، وهو الأولى إن شاء الله تعالى .

ومنها مشهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان بموضع يسمى حش كوكب[2] في أقصى[3] البقيع من ناحية المشرق عليه قبة عظيمة هائلة قد جدّد بناؤها في هذه السنين القريبة العهد[4] — رضي الله عنه —[5] . وفي قبلته خارجه محوط من خشب مخروط فيه قبر شيخ مشايخنا السيد آدم الحسيني النّقشبندي[6] — رضي الله عنه — .

ومنها مشهد ينسب لحليمة السعدية مرضعة النبي ﷺ شامي مشهد عثمان إلى جانب الطريق عليه قبة لطيفة . وفي خارجه من قبلته دكة [7] محوط عليها بأحجار فيها قبر شيخنا صفي الدين القشاشي — رضي الله عنه — [8] ، وهو الذي اتخذ هذه الدكة لدفن أصحابه . وكان أصحابه قبل ذلك يدفنون خارج قبة إبراهيم بن النبي — عليه السلام — . وهناك قبور كثيرة [9] من مشايخهم

١ — هذا يتفق مع ماأورد السمهودي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٩٠١ .

٢ — الحش في اللغة البستان ، وكوكب اسم رجل من الأنصار . وهذا الموضع عند البقيع اشتراه عثمان رضي الله عنه وألحقه بالبقيع ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٦٢ .

٣ — في النسخ : أقصا .

٤ — مما تجدر الاشارة إليه أن الأضرحة والقباب التي كانت قائمة على القبور في المدينة وفي غيرها من مدن الحجاز لم تعد موجودة في الوقت الحاضر . ويرجع الفضل في ذلك إلى الدعوة الوهابية .

٥ — تعود هذه العبارة إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه .

٦ — من رجال الصوفية المنتمين إلى الطريقة النّقشبندية . جاور بالمدينة المنورة وبها توفي . ترجم له : أبو سالم العياشي : ماء الموائد (طبعة الحجر بفاس ، ١٣١٦ هـ — ١٨٩٨ م) ج ١ ، ص ٢١٠ .

٧ — ماستوى من الرمل أو الأرض — ابن منظور : المصدر السابق .

٨ — أحمد بن محمد بن يونس ، صفي الدين التّجاني القُشاشي : متصوف مالكي المذهب . لكنه تحول شافعياً فصار يفتي في المذهبين . توفي بالمدينة عام ١٠٧١ هـ (١٦٦٠ م) . ترجم له : أبو سالم العيّاشي : ماء الموائد (طبعة الحجر بفاس) ج ١ ، ص ٤٠٧ . والمحبّي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٤٣ .

٩ — سقط من : (ج) : كثيرة .

أصحاب سلسلة الغوث (١) رضي الله عنهم (٢) ، منهم الشيخ الشنّاوي (٣) وشيخه السيد صبغة الله الحسيني (٤) وكثير من أصحابهم .

ولما رأى الشيخ (٥) ــ رضي الله عنه ــ في ذلك المكان من الضيق المؤدي إلى الدفن على الموتى (٦) قبل ذهاب أجسادهم اتخذ هذه الدكة في آخر البقيع ، وكان فيها مدفنه رضي الله عنه .

ومنها مشهد الامامٍ مالك بن أنس ــ رضي الله عنه ــ . إذا خرجت من باب البقيع كان مواجهاً لك على يمين زقاق البقيع الذي يشق وسطه . وإلى جانبه قبة يقال انها لنافع مولى ابن عمر (٧) ، وقيل لنافع القارىء (٨) ، وقيل لبعض ولد عمر بن الخطاب ــ رضي الله عن جميعهم ــ .

ومنها المشهد المنسوب لفاطمة بنت أسد بأقصى البقيع . وقد سبق عدم ارتضاء السيد لذلك . قال عند ذكره لهذا المشهد : والظاهر أنه مشهد سعد

---

١ ــ مفهوم صوفي يعني الاستغاثة بكبار مشايخ الصوفية . ومن ذلك قول شاعرهم :

أما ترى الضيم الذي أصابا … وأنت غوث لم تزل مجابا

العجــل العجــل بالاغاثـــة … يامن له كل العلا وراثة

ولاشك بأن الاستغاثة بالمخلوق فيما لايقدر عليه إلا الخالق كما يفعل هؤلاء شرك وضلال .

٢ ــ في الأصل : عنه . وكذا في (ب) و (ج) . والتصحيح من : (أ) .

٣ ــ أحمد بن علي بن عبد القدوس المصري المدني المعروف بالشنّاوي : عالم أديب ، توفي بالمدينة عام ١٠٢٨ هـ (١٦١٨ م) ، ترجم له : المحبّي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٣ . وسركيس : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠٥٢ .

٤ ــ فقيه متصوف ، ولد ببروج الهند ، وحج عام ١٠٠٥ هـ (١٥٩٦ م) ، فسكن بالمدينة إلى أن توفي بها عام ١٠٣٧ هـ (١٦٢٧ م) ، ترجم المحبّي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ .

٥ ــ أي صفي الدين القُشاشي . أنظر ص ٩٢ من هذه الرسالة .

٦ ــ في الأصل : الموت ، ولعل ذلك سبق قلم ، وكذا في (ج) . وفي (ب) : الأموات . والتصحيح من : (أ) .

٧ ــ أبو عبد الله ، ديلمي الأصل : نشأ في المدينة وكان من أئمة التابعين فيها ، له علم برواية الحديث والفقه ، ومن أوثقهم . وقد أرسله عمر بن عبد العزيز إلى مصر ليفقه أهلها في الدّين ، توفي عام ١١٧ هـ (٧٣٥ م) ، ترجم له : ابن خلّكان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٣٦٧ . وابن حجر : تهذيب التهذيب ، ج ١٥ ، ص ٤٢١ .

٨ ــ نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الأصفهاني الأصل المدني المنشأ : يعتبر أحد القراء السبعة المشهورين ، انتهت إليه رئاسة القراءة بالمدينة ، توفي عام ١٦٩ هـ (٧٨٥ م) ، ترجم له : ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٣٦٨ . وابن الجَزَري : غاية النهاية في طبقة القراء تحقيق ج برجبستراس ، القاهرة : مكتبة الخانجي ، ؟ ، ج ٢ ، ص ٣٣٠ .

ابن معاذ الأنصاري ــ رضي الله عنه ــ [١] .

. ومن المشاهد التي هي قريبة من البقيع إلّا أنها ليست فيه مشهد سيدنا إسماعيل بن جعفر الصادق والذي[٢] كان نزولنا فيه حسبما ذكرناه أولاً . وهو كبير يقابل [٣] مشهد العباس في المغرب ، وهو ركن سور المدينة هناك . وبني قبل السور فصار بابه من داخل المدينة ، والمسجد [٤] الذي بجانب المشهد لزين العابدين ، وعرصة المشهد داره ، والبئر التي بين الباب الأول والمشهد بئره . وقد ذكر أنه يتداوي بها .

قلت : وهنا بئر أخرى في الرحبة الواسعة التي هي خارج المشهد يقال أنّها هي التي يستشفى بها .

غريبة : لما قدم ركب أهل العراق [٥] وكان أغلبهم روافض بل كلهم ، وكانوا يكثرون زيارة مشهد السيد إسماعيل ــ رضي الله عنه ــ كغيره من مشاهد أهل البيت ، وكانوا يأتون إليه أفواجاً قلمّا [٦] ينقطع زائرهم منه أيام اقامتهم بالمدينة . وقد تقدّم أن نزولنا كان في الرواق الذي في باب المشهد فبينما نحن ذات يوم جالسون إذ جاءت طائفة منهم فيهم بعض من يشار إليه منهم فزاروا وسلموا ، وكان من جملة سلامهم أن قالوا : السلام عليك ياسيدنا إسماعيل . وبالغوا في تعظيمه إلى أن قالوا : نشهد أنك على دين أخيك موسى يعنون موسى الكاظم [٧] رضي الله عنه ، ونشهد أنك غير مخالف له ، متبع [٨]

---

١ ــ يتفق هذا مع ماأورد السمهودي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٩١٥ .
٢ ــ في : (أ) : التي .
٣ ــ أي يماثل .
٤ ــ في (أ) و (ب) : المشهد .
٥ ــ يقصد المؤلف بالعراق هنا عراق العجم ، وهو منطقة تابعة لما يعرف بإيران حالياً .
٦ ــ في الأصل قلّ ما . وكذا في (أ) و (ج) . والتصحيح من (ب) .
٧ ــ موسى بن جعفر الصادق : من أئمة العلويين ، توفي عام ١٨٣ هـ (٧٧٩ م) ، ترجم له : أبو الفرج الأصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، تحقيق أحمد صفر ، القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) ، ص ٣٣١ . وابن الجوزي : صفة الصفوّة ، حيدر آباد : مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) ج ١ ، ص ١٠٣ .
٨ ــ في (أ) : تابع .

لطريقه [١] ، في هذيان كثير ، وسبب ذلك ــ والله أعلم ــ أن الرافضة ــ قبحهم الله ــ منهم طائفة تقدم إسماعيل على أخيه ، ويقولون أنه هو الامام بعد أبيه ، وأنه أحد الأئمة الاثني عشر المعدودين عندهم يعتقدون فيهم العصمة . وهذه الطائفة تسمى الاسماعيلية ، وكثير منهم بأرض اليمن الآن لهم مذاهب ينتحلونها وآراء في العقائد يعتقدونها . ومن سوى هؤلاء من الروافض يعتقدون الامامة لأخيه موسى الكاظم ــ رضي الله عنه ــ ، ويعتقدون أن أخاه لاينازعه في ذلك ، ويرون أن الاسماعيلية كاذبون عليهم مفترون في إدعائهم الامامة له ، ولأجل ذلك ينزهون إسماعيل عن مخالفة أخيه ــ رضي الله عنهما ــ .

ومن علم أحوال هؤلاء الأئمة من أهل البيت وأسلافهم وأولادهم ــ رضي الله عنهم ــ ، وعلم ماكانوا عليه من تعظيم السنة ، ووفور العلم وتعظيم أصحاب جدهم ﷺ علم براءة ساحتهم من كذب هؤلاء الأرجاس وافترائهم عليهم أحاديث ماأنزل الله بها من سلطان ، ولاجاء بها في سنة نبيه من بيان .

ولمّا خرجت الطائفة المذكورة من المشهد وجاءوا إلى البئر الخارجة وقفوا عليها وترحموا ودعوا وقال لهم كبيرهم : انّ هذه البئر هي التي دخل فيها الامام جعفر الصادق ــ رضي الله عنه ــ فغاب عن أعين الناس إلى الآن [٢] . وهم يظنون أنه حي أو كلام هذا معناه . فقضينا العجب من حمقهم وقبح اعتقادهم في آل البيت الذي آل بهم الى تنزيههم عن الموت . وذلك معتقد الروافض بأجمعهم في الامام الثاني عشر من أئمتهم ، وهو محمد بن الحسن [٤] العسكري [٣] ــ رضي الله عنه ــ يعتقدون أنه إلى الآن حي ، وأنه هو

---

١ ــ المقصود هنا تسفيه عقيدة الطائفة الاسماعيلية التي تقول بإمامة إسماعيل بدلاً من موسى الكاظم الذي يتمسك بإمامته الاثنا عشرية . ومنهم شيعة العراق وإيران الذين شاهدهم العيّاشي عند زيارة قبر إسماعيل ونقل مقالتهم هذه ، إذ لو كان هؤلاء الزوار من الاسماعيلية لما تشبثوا بعقيدة موسى الكاظم وذلك أن مذهب الاسماعيلية يقوم على الاعتقاد بإمامة إسماعيل ، ولايعقل أن يقولوا أن إسماعيل على عقيدة موسى الكاظم لأن ذلك يهدم عقيدتهم ومذهبهم .

٢ ــ المعروف عند الشيعة أن الامام الغائب هو الامام الثاني عشر واسمه محمد المهدي بن الحسن العسكري . ولم يقل أحد من الشيعة بغيبة جعفر الصادق ، وهذا ــ ولا شك ــ وهم من المؤلف .

٣ ــ في الأصل : حسن ، وكذا في النسخ .

٤ ــ آخر الأئمة الاثني عشر عند الشيعة الامامية ، توفي وهو في سنّ خمس سنين ، ترجم له : ابن ←

المهدي الذي يخرج في آخر الزمان ، والموعود به في الحديث الصحيح أنه يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً .

. قلت : والعجب كل العجب من متابعة بعض أهل التصوف في ذلك لهم حسب مانقله سيدي عبد الوهاب الشعراني (١) عن بعض مشايخه (٢) ، وأنه اجتمع به وأخبره بمقدار عمره ، وأنه جاوز سبعمائة سنة إذ ذاك ، بل في كلامهم بعض مايشير إلى أن الشيخ محي الدين (٣) يقول بذلك . ولولا الاطالة لنقلت كلامهم في ذلك ، والعلم عند الله . فان صح عن هؤلاء الأئمة أنهم قالوا ذلك فنحن ممن يعتقدهم ويجزم بصدقهم فيما يقولون لأنهم خيار الأمة ، إلا أنّا نكل العلم إلى الله تعالى في فهم ماورد عنهم في ذلك ، إذ ليس في الشريعة قاطع يدل على كذب الروافض في هذه المسألة بخصوصها وان كانوا كاذبين في غيرها . وموافقة بعض أئمتنا الصوفية لهم في ذلك من جهة الكشف لايقدح في كمال منصبهم لعدم القطع (٤) في كذبهم ، ولايدل أيضاً على صدق (٥) الروافض فيما سوى ذلك ممّا تبيّن كذبهم فيه وافتراؤهم ؛ فإن موافقة المحق(٦) للمبطل في جزئية لادليل على بطلانها لايدل على صدق المبطل فيما سوى ذلك ، ولا على كذب الصادق فيما سوى ذلك .

تيمية : منهاج السنة في نقض كلام الشيعة والقدرية ، القاهرة : بولاق ، ١٣٢١ هـ (١٩٣١ م) ج ١ ، ص ١٣١ . والموسوي : نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس ، تحقيق مصطفى وهبي القاهرة : المطبعة الوهبية ، ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ م) ، ج ١ ، ص ٣٥ .

١ ـــ عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي : من علماء المتصوفة ، توفي بالقاهرة عام ٩٧٣ هـ (١٥٦٥ م) ، ترجم له : نجم الدين الغزي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٧٦ . وابن العماد الحنبلي المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٣٧٢ .

٢ ـــ انظر طبقاته المسماة : لواقح الأنوار في طبقات الأخيار ، القاهرة : مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٧٣ هـ (١٩٥٤ م) ج ٢ ، ص ١٣٩ .

٣ ـــ محمد بن علي أبي بكر الحاتمي الطائي الأندلسي المعروف بمحي الدين ابن عربي : متصوف وفيلسوف من أئمة المتكلمين ، توفي عام ٦٣٨ هـ (١٢٤٠ م) ، ترجم له : الذهبي : ميزان الاعتدال ، ج ٣ ، ص ٦٥٩ ، وطاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، حيدر آباد مطبعة دائرة المعارف النظامية ، ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) ، ج ١ ، ص ١٨٧ .

٤ ـــ في الأصل : القاطع . وكذا في النسخ .

٥ ـــ في (أ) : صدقهم .

٦ ـــ في (أ) : الحق .

وقد وافق كثير من الأئمة المحققين أهل الكشف الصادق آراء الفلاسفة في جزئيات مما ادّعوه لم يقم الدليل على بطلانها ، كما وافق في كثير منها أيضاً جم غفير من المحققين من علماء الظاهر أهل الكلام . فلا يشكل عليك ماتجده في كلام أئمة الصوفية ــ رضي الله عنهم ــ موافقاً للفلاسفة تارة وللروافض تارة ؛ فذلك لايقع في كلامهم غالباً إلّا في مالم يقم دليل على بطلان قولهم فيه وان فرض فيما سوى ذلك ، ومماأبعدهم (١) من جلالة منصبهم فهو مؤول قطعاً / . فشر يدك على ماقررنا . وهذه فائدة ساق الله تقريرها في هذا المحل ، ولم يكن تسطيرها قبل ذلك لنا ببال .

ومنها مشهد على يسارك وأنت مارّ في زقاق البقيع يقال أنه لأبي سعيد الخدري ــ رضي الله عنه ــ . وقد ذكر السيد السمهودي المشاهد التي ذكرناها كلها إلا في هذا المشهد والمشهد المنسوب لحليمة فلم يذكرهما (٢) ولا أدري هل حدث بناؤهما بعده أو لم يتضح له صحة نسبتهما لمن ذكر مع أن السيد قد ذكر أبا سعيد فيمن دفن بالبقيع . فروي عن عبد الرحمن بن أبي سعيد قال : قال لي أبي : يابني إني قد كبرت ، وذهب أصحابي ، وحان موتي فخذ بيدي ، فأخذت بيده حتى جاء إلى البقيع ، فجئت أقصى (٣) البقيع مكاناً لايدفن فيه فقال : يابني إذا هلكت فاحفر لي هاهنا (٤) . فإذا ثبت أن قبره في أقصى البقيع فلا يبعد أن يكون هذا قبره . وأما قبر حليمة فلم أر أحداً ذكر أنها دفنت بالبقيع ، والله أعلم . وعلى كل حال ، فيزار كل مشهد له نسبة إلى منتسب إلى الله أو إلى رسوله ولو لم تصح نسبة المشهد إليه ؛ فإن لمجرد النسبة أثراً في حصول البركة كما قررنا قبل هذا (٥) .

تتميم : قد بقي من المشاهد التي ذكر السيد أنها تزار بالمدينة ثلاثة ليست

---

١ ــ في الأصل : ومماأبعده . وكذا في النسخ . وصححت ليستقيم المعنى .
٢ ــ بالنسبة لمشهد أبي سعيد الخدري فقد توهّم المؤلف لأن السمهودي أشار إليه . أنظر : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٩١٥ . أما مشهد حليمة السعدية فصحيح أن السمهودي لم يذكره .
٣ ــ في النسخ : أقصا .
٤ ــ هذا يتفق مع ماأورده السمهودي ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٩١٥ .
٥ ــ البركة لاتحصل بزيارة القبور ، وإنما تزار القبور للعبرة والاتعاظ والدعاء للميت . أنظر : سنن أبي داود ، كتاب الجنائز ، (باب زيارة القبور) ، ج ٣ ، ص ٢٩٦ . ومسلم : المصدر السابق كتاب الجنائز ، (باب مايقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها) ، ج ١ ، ص ٦٦٩ .

بالبقيع . أحدها مشهد مالك بن سنان (١) والد أبي سعيد الخدري (٢) ، وهو من شهداء أُحد ـــ رضي الله عنهم ـــ ، ومشهده غربي المدينة بلصق السور من داخله ، وعليه قبة قديمة البناء ، ومحله من سوق المدينة القديم . رُوي عن أبي سعيد الخدري أنه قال : أمر رسول الله ﷺ من نقل من شهداء أُحد إلى المدينة أن يُدفنوا حيث أدركوا ، فأدرك أبو (٣) مالك بن سنان عند أصحاب العباء (٤) أي الذين يبيعون العباء في طريق(٥) الحناطين (٦) . ولابن زبالة (٧) ، فوافوه بالسوق فدفن عند مسجد أصحاب العباء ، وهنالك كانت أحجار الزيت (٨) .

ثانيهما : مشهد النفس الزكية . وهو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب ـــ رضي الله عنهم ـــ . وهو أخو السيد

---

١ ـــ سقط من (ج) : بن سنان .

٢ ـــ سقط من (ب) و (ج) : الخدري .

٣ ـــ في الأصل : أبي . وكذا في (ج) . والتصحيح من (أ) و (ب) .

٤ ـــ كساء من صوف بلا كميّن أو بهما مفتوح من قدام يلبس فوق الثياب . البستاني : المصدر السابق .

٥ ـــ في الأصل : طرق . وكذا في النسخ . وهكذا وردت دائماً ، ولذلك قمت بتصحيحها في المتن واكتفيت بتصحيحها في الهامش مرة واحدة .

٦ ـــ بائعوا الحنطة أي القمح ، ابن منظور : المصدر السابق .
وروى ابن هشام عن ابن إسحاق أن أناساً من المسلمين نقلوا قتلاهم إلى المدينة فدفنوهم بها ثم نهى رسول الله ﷺ عن ذلك ، وأمر بدفنهم حيث صرعوا . ابن هشام : السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، ط ٣ ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م) ج ٣ ، ص ٧٣ . وكذلك قال ابن ماجة في سننه ، ج ١ ، ص ٤٨٦ . وقال السمهودي : (روى الترمذي ـــ وقال حسن صحيح ـــ عن جابر رضي الله عنه قال : (كنّا حملنا القتلى يوم أُحد لدفنهم ، فجاءنا منادي رسول الله ﷺ ، فأمرنا بدفن القتلى في مصارعهم ، فرددناهم .) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٩٤١ . .

٧ ـــ محمد بن الحسن بن زبالة : فقيه ، اخباري . من مؤلفاته أخبار المدينة ، وهو مفقود . توفي بعد عام ٢٠٠ هـ (٨٢٢ م) . ترجم له الذهبي : ميزان الاعتدال ، ج ٣ ، ص ٥١٦ . وإسماعيل باشا البغدادي : هدية العارفين ، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، استانبول : وكالة المعارف ، ١٣٧١ ـــ ١٣٧٥ هـ (١٩٥١ ـــ ١٩٥٥ م) ج ٢ ، ص ٩ .
ويقصد المؤلف بقوله : ولابن زبالة ، أي ورد عند ابن زبالة كلام مفاده : (فوافوه بالسوق ... الخ) .

٨ ـــ أحجار الزيت : موضع بالمدينة . ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٠٩ .

ادريس [١] أول أهل البيت قدوماً إلى المغرب . وعامة شرفاء المغرب من نسله إلا شرفاء سجلماسة ؛ فإنّهم من نسل النفس الزكيّة استوطن أسلافهم ينبع [٢] فقدم جدّهم إلى المغرب في السابعة [٣] ، والله أعلم . ومشهده بناء في جوف مسجد [٤] كبير شرقي سَلْع [٥] ، وفي قبلة المسجد منهل من عين الأزرق [٦] هذا هو المستفيض بين أهل المدينة . قال السيد : وذكر سبط ابن الجوزي [٧] أن كثيراً من الناس كان قد بايعه ، فخرج على المنصور [٨] بعد حبسه لأبيه وأقاربه ، فجهز إليه المنصور عمه عيسى بن موسى [٩] في أربعة آلاف

١ ــ ادريس بن عبد الله : مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى ، توفي عام ١٧٧ هـ (٧٩٣ م) ترجم له : ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق كولان وبروفنسال ، ليدن : مطبوعات بريل ١٣٦٨ ــ ١٣٧١ هـ (١٩٤٨ ــ ١٩٥١ م) ج ١ ، ص ٨٢ . وابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تصحيح محمد الصباغ ، القاهرة : مطبعة بولاق ، ١٢٨٤ هـ (١٨٦٧ م) ، ج ٤ ، ص ١٢ .

٢ ــ في الأصل : الينبع ، وكذا في النسخ ، هكذا وردت دائماً ، فقمت بتصحيحها في المتن ، واكتفيت بتصحيحها في الهامش مرة واحدة . وينبع من مدن الحجاز ، وهي تبعد عن المدينة المنورة بمائتين وستة وأربعين كيلاً . خريطة المملكة العربية السعودية ، ادارة المواصلات بالمدينة المنورة .

٣ ــ أي المئة السابعة للهجرة (القرن الثالث عشر الميلادي) .

٤ ــ في (ج) : في مسجد جوف .

٥ ــ من جبال المدينة . ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٣٦ .

٦ ــ من أغزر عيون المدينة قديماً . وسميت بعين الأزرق لأن مروان بن الحكم الذي أجراها كان أزرق العينين . وتسمى أيضاً بالعين الزرقاء ، وذلك من لحن العوام . أبو سالم العيّاشي : ماء الموائد (مخطوطة الزاوية الحمزاوية) ج ١ ، ص ١٩٣ . لكن لمّا تقدم العمران وكثر السكان عجزت هذه العين عن تلبية حاجات الناس في الماء فألحقت بها آبار كثيرة . إلا أن الكثافة السكانية في السنين الأخيرة أصبحت تحتاج إلى أضعاف ذلك ، فأجريت إلى المدينة مياه البحر المعذبة في صفر ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) . البلادي : معجم معالم الحجاز ، الطائف : نادي الطائف الأدبي ١٣٩٨ ــ ١٤٠١ هـ (١٩٧٨ ــ ١٩٨١ م) ج ١ ، ص ٢٠٦ .

٧ ــ يوسف بن قزأوغلي (لفظ تركي معناه ابن البنت أي السِّبط نسبة إلى جده المؤرخ ابن الجوزي) : مؤرخ من الكتاب الوعاظ ، توفي عام ٤٥٦ هـ (١٠٦٣ م) ، ترجم له : ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ ، القاهرة ، مطبعة السعادة ١٣٥١ ــ ١٣٥٨ هـ (١٩٣٢ ــ ١٩٣٩ م) ج ١٣ ، ص ١٩٤ . والسخاوي : التِّبر المسبوك في ذيل السلوك ، تحقيق أحمد زكي ، القاهرة : بولاق ، ١٣١٤ هـ (١٨٩٦ م) ، ص ١٧١ .

٨ ــ المقصود أبو جعفر الخليفة العباسي .

٩ ــ أمير عبّاسي من الولاة وقادة الجند ، وهو عم السفّاح والمنصور ، توفي عام ١٦٧ هـ (٧٨٣ م) ترجم له : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، بيروت ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) ج ٥ ، ص ٥٤٣ .

وذكر قتله عند أحجار الزيت أي عند مشهد مالك بن سنان ، وأن جسده دفن بالبقيع . وكان معه ذو الفقار سيف علي ، ثم انتقل إلى الرشيد(١) . فعلى هذا فقبره بالبقيع ، والمستفيض ماتقدم ، والله أعلم . وثالثهما (٢) : مشهد سيد الشهداء حمزة ــ رضي الله عنه ــ ، وهو بأُحد ، وسيأتي ذكره عند ذكرنا لزيارته . فهذه المشاهد المعروفة بالمدينة ، فينبغي لزائرها أن يزورهاويسلم على أصحابها ، ويتوسل بهم إلى الله في بلوغ مآربه (٣) .

ولمّا كان يوم الثلاثاء سابع الشهر (٤) ارتحل الركب المصري من المدينة بعد إقامته ثلاث أيام بها . وكان الحرم الشريف في أيام إقامتهم لاتكاد تسمع فيه صوت قارىء ولامؤذن لكثرة اللغط والصخب ورفع الأصوات وازدحام الناس في المسجد لاينقطع ذلك ليلاً ولانهاراً لأن أبواب الحرم الشريف لاتغلق ماداموا هناك . ويكثرون بالليل ايقاد الشموع في المسجد ، ويجتمع اليهم صبيان أهل المدينة يقرءون لهم مواليد وقصائد في مدح النبي ﷺ وهم محدقون بهم ، ويسمون ذلك مولد النبي ﷺ ، يستعدون له من بلادهم بالشمع والحلواء ، ويدفعون للصبيان أجرة على ذلك . ويقع على أرض الحرم الشريف من الشمع المذاب شيء كثير لأجل ذلك ، فيلتقطونه ويجمعونه ويرجعون به إلى بلادهم تبركاً به . فتجد منهم في المسجد بالليل جماعات كثيرة على هذا النمط ، فيكثر لذلك الصياح في المسجد واللغط الذي لاينبغي ، لاسيما مع ماينضاف / إلى ذلك (٥) من ولاول النساء وبكاء الأطفال واختلاط النساء بالرجال .

وبالجملة فعوام المصريين من أبعد الغوغاء عن إصابة الصواب . ولولا أن بحر رسول الله ﷺ لاتكدره الدّلاء لكانوا (٦) جديرين بالمقت بسبب مايحصل منهم من سوء الأدب وسيء الأقذار في الحرم الشريف .

---

١ ــ المطبوع من مرآة الزمان لابن الجوزي يتحدث عن أخبار القرن الخامس الهجري **فما فوق** .
٢ ــ في الأصل : ثالثيهما .
٣ ــ التوسل بالعباد إلى الله غير جائز شرعاً .
٤ ــ أي محرم من عام ١٠٧٣ هـ الموافق ٢٢ آب (أغسطس) ١٩٦٦٢ م .
٥ ــ في (أ) : لذلك .
٦ ــ سقط من (أ) : لكانوا .

أعجوبة : حكى لي بعض المجاورين أنه وجد في بعض المواسم رجل[1] مع امرأة في الحرم الشريف ، فحملا إلى الحاكم فشهدت البينة أنها زوجته وقيل ، ماحملك على مافعلت ؟ فقال : انه لا أولاد لنا فرجوت أن تحمل المرأة ببركة هذا الحرم ، فعذر بجهله ولم يعاقب .

وكانت عادة المصريين ليلة رحيلهم من المدينة أن يجتمع أمراؤهم وكبراء أهل المدينة والأغوات [2] في صحن المسجد ليلاً [3] ، ويوقد شمع كثير على حسك كبار من فضة وُشيت [4] بذهب[5] ، ويحضر جماعة من المنشدين ينشدون قصائد في مدحه ﷺ ، وينثر عليهم من اللوز والسكر والأزهار وأنواع الحلوى ، ويدار عليهم بالأشربة اللذيذة إلى أن يمضي هزيع من الليل .

وهذه عادة أمرائهم وأمراء الشاميين في ليلة الرحيل . ولم يفعل المصريون شيئاً من ذلك في هذه السنة لما وقع من الاختلاف والعزل بين أمرائهم كما تقدم شرح ذلك . وبعد رحيلهم من المدينة بثلاثة أيام نزل الركب الشامي ليلة السبت [6] . ولقوا من الحرّ في الطريق شدة عظيمة كالذي وقع للمصري قبلهم أو أشد [7] ، فماتت منهم جملة كثيرة في الطريق ، وجملة بعدما وصلوا إلى المدينة . وأقاموا بالمدينة المشرفة عشرة أيام ، وتمتعوا بمشاهدة تلك البقاع ونصبت الأسواق ، واتسعت الأرزاق ، وقسمت الصدقات ، وكثرت الارتفاقات [8] .

---

١ ــ في الأصل : رجلاً . وكذا في (ج) . والتصحيح من (أ) و (ب) .

٢ ــ جمع آغا ، ومعناها بالتركية الرئيس أو الشيخ أو السيد . وكذلك يطلق لقب آغا على خصيان القصر السلطاني . وكان يمنح سابقاً للضباط العظام حيث كان آغا الأنكشارية (يكي جري أغاسي) قائداً للجيش ، وله الأسبقية على جميع الضباط ، وكذلك على وزراء الدولة . ثم صار يحمل هذا اللقب صغار الضباط . فنسنك وآخرون : المصدر السابق (الترجمة العربية) ، ج ١ ، ص ٣٢٢ . والمراد بالأغوات هنا في النص الخصيان الذين نذرهم السلطان لخدمة الحرم الشريف .

٣ ــ سقط من (أ) : ليلاً .

٤ ــ في الأصل شيه ، وكذا في (أ) و (ج) . وفي (ب) : شيت . ولعل الصواب ماأثبت أعلاه كما يبدو من السياق .

٥ ــ في الأصل : مذهب . وكذا في (ج) . والتصحيح من (ب) ، وبه يستقيم المعنى .

٦ ــ ١٠ محرم من عام ١٠٧٣ هـ الموافق ٢٥ آب (أغسطس) ١٩٦٦٢ م .

٧ ــ في (ج) : أشق .

٨ ــ أي الاعانات . ابن منظور : المصدر السابق .

وبالجملة فلا ينتفع أهل المدينة بركب انتفاعهم بأهل الشام ؛ فانهم يقدمون بتجارات [1] كثيرة وطعام وزيت وأشربة يبيعونها في المدينة عند قدومهم ، ويدّخرون مابقي إلى الاياب ، فيبيعون كل ذلك بالمدينة . ولأهل المدينة عند قدومهم عادة مذمومة ، وهي أنه لاتبقى مخدّرة من النساء شريفة كانت أو وضيعة إلا خرجت تباشر البيع والشراء بنفسها . ولهنّ على الرجال في ذلك الوقت اتاوة يؤدونها لهن يتعن بها ما أحببن من اللائق بهن من طيب وشبهه ، ربما لاتقنع احداهن من زوجها إلا بالخمسين ديناراً فما فوقها . فقد حكي لي أن امرأة بعض المدرسين بها أعرفه طلبت منه في ذلك اليوم ماتخرج به إلى السوق على العادة ، فدفع لها عشرة دنانير ذهباً فاستقلتها ، وذهبت من شدة الغيض فرمت بها في المرحاض وأتلفتها عليه ، وقالت له : أمثلي يخرج إلى السوق بهذا المقدار ؟ فلم يملك من أمره إلّا أن ذهب وتسلف خمسين ديناراً فدفعها لها [2] . وهذه حسرة عظيمة وذل للرجال الذين جعلهم الله قوامين على النساء فلا ينبغي لذي همة أن يرضى بذلك .

بيد أن نسائهم يبالغن [3] في الستر الظاهر بحيث لايبدو من المرأة ولا مغرز ابرة حتى من أطرافها ؛ يلبسن الخفاف السود [4] ويتبرقعن ويسدلن من أزرهن مايكون غاية في الستر ، إلّا أنهن يكثرن [5] من الطيب عند الخروج فيوجد عرف الطيب منهن من مسافة ، فيكون ماسترنه [6] ظاهراً أبدينه [7] باطناً /

وبهذا فسر بعض العلماء قوله ﷺ : (رُبَّ كاسية في الدنيا عارية في الآخرة) [8] لأن الحكم في الآخرة إنما هو للحقائق . ومن هذه صفته من النساء وان اكتسيت في الظاهر فهي في الحقيقة عارية لأن حقيقة التعرّي ابداء

---

١ ـــ في (أ) : تجارات .
٢ ـــ في الأصل : له ، والتصحيح من النسخ .
٣ ـــ في النسخ : يبالغون .
٤ ـــ في (أ) : الأسود .
٥ ـــ في (أ) : يكثرون .
٦ ـــ في (أ) : سترته .
٧ ـــ في (أ) : أبدته .
٨ ـــ رواه البخاري في الجامع الصحيح ، كتاب العلم ، ج ١ ، ص ٣٧ .

ماحقه أن يخفى ، كما أن التستر اخفاء مالاينبغي أن يظهر . ولاخفاء أن عطر المرأة من أعظم زينتها وألذ مايشتهى منها .

وقد أمرت بإخفاء ماهذا سبيله من أوصافها . فإذا ظهر منها ذلك فهي في الحقيقة عارية وان اكتسيت ؛ فإن من العورات مالا تواريه الكسوة ، ولا يواريه إلا تركه رأساً كالخلوة وكلام المرأة (١) فالصحيح أنه عورة (٢) ، وكذلك عطرها فلا يورايه إلا تركه . ولذلك جاز لها الطيب المؤنث ، وهو ماظهر لونه وخفي ريحه لأن اللون تستره الثياب بخلاف الريح فلا يستره إلا الترك رأساً أو عدم الخروج ، فليتأمل .

ولقد منّ الله على الحجاج الشاميين بطول إقامتهم في المدينة ، وادراك فضيلة الصلوات الكثيرة في المسجد النبوي ، واستقصاء زيارة (٣) الآثار الشريفة لمن شاء منهم الذهاب إلى المساجد المنسوبة إليه ــ عليه السلام ــ والآبار التي شرب منها توضأ . وتلك منقبة (٤) عظيمة خصوصاً الصلوات في المسجد النبوي . فقد روى الامام أحمد والطبراني في الأوسط ــ ورجاله ثقات ــ عن أنس بن مالك : (من صلى في مسجدي أربعين صلاة (زاد الطبراني) لاتفوته صلاة ، كتب له براءة من النار ، وبراءة من العذاب ، وبريء من النفاق) (٥) . ولفظ الصلاة وان كان شاملاً للفرائض والنوافل فالظاهر من الحديث خصوص ذلك بالفرائض بدليل زيادة الطبراني لأن

---

١ ــ في الأصل : ولايواريه إلا تركه رأساً أو الخلوة ككلام المرأة ، وكذا في النسخ . وصححت ليستقيم المعنى .

٢ ــ كلام المرأة ليس بعورة إلا في حالتين : الأولى : في التميع بالصوت والتخنث في النبرة . ﴿ فلا تخضعن بالقول ، فيطمع الذي في قلبه مرض ﴾ . الآية ٣٢ من سورة الأحزاب ، والثانية : حالة الغناء الذي يسمعه الرجال فتصحبه المعازف والنبرة اللينة واللهجة الخاضعة . البخاري : التاريخ الكبير ، حيدر آباد : مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م) ، ج ١ ص ٣٠٥ .

٣ ــ في (أ) : زيادة .

٤ ــ في (أ) : سبغة .

٥ ــ أخرجه أحمد في مسنده ، ط ٢ ، بيروت : المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ، ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م) ، ج ٣ ، ص ٥٥ ، وقال عنه ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة : ضعيف ، بيروت : المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ، ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) ، ج ١ ، ص ٣٦٦ .

الفوات فيها أظهر . ولايبعد (١) الحاق النوافل المؤقتة (٢) بأوقات معلومة بها كالوتر وركعتي الفجر ، وان ألحقت بها الرواتب أيضاً والضحى والتهجد خصوصاً عند من لايرى التحديد بينها كمالك ــ رضي الله عنه ــ . اتسع الفضل ورجي حصول ذلك الفضل لمن أقام يوماً واحداً وحافظ على تلك الصلوات في المسجد النبوي كحجاج المغرب ، فإنهم في بعض السنين قد لايقيمون إلا يوماً واحداً ، فليتنبّه لهذه الدقيقة وليحافظ عليها من قصر اقامته بالمدينة ليحصل له هذا الفضل العظيم الذي فيه سعادة الدنيا والآخرة .

ثم خرج الركب الشامي من المدينة على وجل عظيم من العرب (٣) الذين يمرّ (٤) بهم في طريقه . وكانوا قد أوقعوا بالركب وقعة شنيعة في ذهابهم قرب تبوك ، وأخذوا مئين من إبل الركب وأموالاً (٥) لاتحصى وقتلوا أقواماً .

وسبب ذلك أنه كانت لهم اتاوة على الركب في كل سنة يأخذونها من أميرهم كما هو شأن أرباب الدرك (٦) في كل طريق ، يعطونها من بيت المال وفي هذه السنة عزل الأمير الذي كان يأتي بالركب كل سنة ، واستبدل به وغيره ممّن لايعرف حال الطريق وأعرابها . فلمّا جاءته شيوخ العرب أرباب الدرك لأخذ ماكان لهم عادة من عند السلطنة منعهم من ذلك ، وأغلظ لهم في القول ، وظن أن قوة عسكره تحميه منهم ، ولم يعلم أن من قبله من الأمراء ماتحمّلوا بذلك إلّا لعجزهم عن مقاومتهم . فراجعوه في ذلك وناشدوه ، فصمم على الامتناع . فلما أيسوا منه شنوا الغارة (٧) على الركب ، فدافعهم قليلا فانهزم ، فنهبوا من الركب شيئاً كثيراً . فلما رجع لم يخرج من المدينة حتى

---

١ ــ في الأصل : تبعد ، والتصحيح من النسخ .
٢ ــ سقط من (ج) : فالظاهر من الحديث خصوص ذلك بالفرائض بدليل زيادة الطبراني لأن الفوات فيها أظهر . ولايبعد إلحاق النوافل المؤقتة .
٣ ــ يقصد العيّاشي هنا الأعراب .
٤ ــ في (ب) : يمرون .
٥ ــ في الأصل : أموال . والتصحيح من النسخ .
٦ ــ أصحاب التبعة الذين يلحقون بالقوافل . ابن منظور : المصدر السابق . والمقصود به هنا أهل المنطقة الذين لهم جعل معين لقاء المرور في منطقتهم كما يتضح من كلام العيّاشي في الصفحة التالية .
٧ ــ في (ج) : الغارات .

بعث نجيباً [٢] إلى الشام ليأتيه المدد ، وواعدهم موضعاً معروفاً في الطريق ، ومع ذلك التزم للأعراب أزيد مما هو عادتهم ، فسلم الله تعالى الركب بسبب ذلك .

ولما خرجت الأركاب من المدينة ، وصفا [٣] الجو منهم ، وهمدت الأسواق واتسع المسجد على أهله ، وزال الزحام من الطرقات والمزارات / تفرغنا لزيارة المشاهد ، والتطواف على الآثار المباركة ، ولقاء المشايخ .

١ — السريع : الخفيف . المصدر نفسه ، والمقصود هنا الرسول الذي يحمل الأنباء .
٢ — في الأصل : وصفى . والتصحيح من النسخ .
٣ — في (أ) : تفرغت . وزاد الناسخ في (ج) : حينئذ بعد كلمة تفرغنا .

ذكر المساجد التي تزار بالمدينة لنسبتها إلى النبي ﷺ

فمنها مسجد قباء [١] ، وهو المسجد الذي أسس على التقوى في أصح الأقوال ، وقيل هو مسجده — عليه السلام — كما ورد في حديث ، وجمع بأنه يطلق على كل منهما . خرجنا لزيارته يوم السبت الحادي عشر من محرم [٢] . واخترنا زيارته في هذا اليوم لما ورد في الصحيح : أن رسول الله ﷺ كان يأتي مسجد قُباء كل سبت راكباً وماشياً [٣] ، وكان عبد الله يفعله يعني ابن عمر . وورد في فضل هذا المسجد آثار كثيرة منها ماروي عن عمر — رضي الله عنه — أنه قال : لو كان [٤] مسجدنا هذا بطرف من الأطراف لضربنا إليه أكباد الابل [٥] . وعن زيد بن أسلم [٦] — رضي الله عنه — : الحمد لله الذي قرّب [٧] منا مسجد قُباء ، ولو كان بأفق من الآفاق لضربنا إليه أكباد الابل . وعن سعد بن أبي [٨] وقاص رضي الله عنه : لأن

---

١ — أول مسجد بني في الاسلام . وفيه نزلت الآية ﴿ لمسجد أسس على التقوى أحق أن تقوم فيه ﴾ الآية ١٠٨ من سورة التوبة . أنظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، القاهرة : دار الكتاب العربي ، ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م) ، ج ٨ ، ص ٢٥٩ .
وقُباء كانت في الماضي قرية . لكنها حالياً أصبحت حياً من أحياء المدينة ، ويبعد مسجدها عن الحرم النبي بثلاث أكيال حسب تقديري .

٢ — عام ١٠٧٣ هـ الموافق ٢٦ آب (أغسطس) ١٦٦٢ م .

٣ — أخرجه البخاري في الجامع الصحيح ، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، ج ٢ ، ص ٥٧ .

٤ — سقط من (ب) : لو كانوا .

٥ — روى هذا الأثر ابن شبّة في (أخبار المدينة) ج ١ ، ص ٤٦ . وهو ضعيف بهذا السند لأن فيه : أسامة بن زيد بن أسلم : (ضعفه أحمد وغيره لسوء حفظه . وقال النسائي وغيره ليس بالقوي) . الذهبي : ميزان الاعتدال ، ج ١ ، ص ١٧٤ . وفيه مجاهيل ، قال ابن شبّة : (حدثنا هارون بن معروف ، حدثنا وهب قال أسامة بن زيد حدثني أبي أنّ محمد بن عبد الرحمن حدثه أنه سمع شيوخاً من قومه) .

٦ — هو زيد بن أسلم العدوي العمري : فقيه مفسر من أهل المدينة استقدمه الوليد بن يزيد الأموي في جماعة من فقهاء المدينة إلى دمشق للافتاء ، توفي عام ١٣٦ هـ (٧٥٣ م) . ترجم له : ابن سعد : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٤٦٨ . والذهبي : تذكرة الحفاظ، حيدر آباد : مطبعة دائرة المعارف النظامية ، ١٣٣٣ هـ (١٩١٤ م) ج ١ ، ص ١٢٤ .

٧ — في (أ) : قريباً .

٨ — سقط من (أ) : أبي .

أصلّي في مسجد قُباء ركعتين أحب إلي من أن أتي بيت المقدس مرتين ، لو يعلمون مافي قُباء لضربوا إليه أكباد الابل (١) . وعنه عليه السلام : (الصلاة في مسجد قُباء كعمرة) (٢) ، إلى غيرها من الأحاديث والأخبار ، وكان خروجنا إليه بكرة بعد صلاة الحنفى ، ووصلنا إليه عند طلوع الشمس ، ووقفنا قريباً (٣) منه قليلاً ريثما حلت النافلة ، فدخلنا وصلّينا في مصلاّه ـــ عليه السلام ـــ ، وهو إلى حرف الأسطوانة (٤) التي (٥) في الصف (٦) الموالي لمحراب المسجد عن يمين المصلى فيه . وهناك أماكن أخرى ذكر أنه ـــ عليه السلام ـــ صلّى فيها : منها في رحبته ، ومنها في زاويته الشرقية من الصف الأول . وقد ذكر السيد السمهودي ذلك كلّه وبيّنه أحسن بيان (٧) .

وخارج المسجد من قبليه موضع يسمونه مسجد علي . قال السيد : لعله مسجد دار سعد بن خيثمة (٨) . فقد ورد أنه ـــ عليه السلام ـــ اضطجع فيها

---

١ ـــ رواه ابن شبة في أخبار المدينة ، ج ١ ، ص ٤٢ ، وقد وجدت اسناده صحيحاً لأن فيه : عبد الصمد بن عبد الوارث . قال الذهبي عنه : (حجة) . الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ، تحقيق عزت علي عيد عطية ، القاهرة : دار الكتب الحديثة ، ١٣٩٢ هـ (١٩٧٢ م) ج ٢ ، ص ١٩٦ . وفيه : صخر ابن جويرية : (قال عبد الله بن أحمد (ابن حنبل) عن أبيه : شيخ ثقة ثقة) . ابن حجر : تهذيب التهذيب ، ج ٤ ، ص ٤١١ . وفيه : عائشة بنت سعد بن أبي وقاص : (ذكرها بن حبان في الثقات . وقال الخليل : لم يرو مالك عن امرأة غيرها) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٤٣٦ .

٢ ـــ أخرجه أبو عيسى الترمذي في سننه في باب (ماجاء في الصلاة في مسجد قُباء) وقال : حديث حسن غريب . بيروت : مكتبة الحلواني ، ١٣٩٢ هـ (١٩٧٢ م) ، ج ٢ ، ص ٥ كما رواه الحاكم في المستدرك وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ، ج ١ ، ص ٤٨٧ .

٣ ـــ في الأصل ، وفي (ج) : قريب . والتصحيح من (أ) و (ب) .

٤ ـــ في الأصل : الأسطوان ، وكذا في النسخ . والتصحيح من السمهودي ، المصدر السابق ، ج ٣ ص ٨٠٥ .

٥ ـــ في الأصل : الذي . والتصحيح من النسخ .

٦ ـــ في (أ) : الصيف .

٧ ـــ هذا يتفق مع ماأورده السمهودي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٨٠٥ ـــ ٨٠٨ .

٨ ـــ صحابي ، كان أحد النقباء الاثني عشر يوم العقبة ، استشهد في وقعة بدر عام ٢ هـ (٦٢٣ م) ترجم له : ابن سعد : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٦٠٧ . وابن الجوزي : صفة الصفوة ، ج ١ ، ص ١٨٥ .

وتوضأ من المهراس [1] الذي [2] فيها [3] . قال : وفي قبلته أيضاً دار كلثوم بن الهدم [4] الذي نزل عليه ﷺ لمّا قدم قُباء .

قلت : ولعل موضعه مسجد صغير آخر لم نجد من يسميه لنا . وقريباً من مسجد قُباء كناسة كبيرة من شرقية يقال أنها مسجد الضرار [5] .

ولمّا خرجنا من المسجد دخلنا الحديقة التي فيها بئر ادريس ، وشربنا من مائها ، وسيأتي ذكرها في الآبار . وقد زرنا والحمد لله مسجد قُباء وصليت فيه مراراً متعددة نحو العشر .

وفي خارج المسجد من ناحيته الغربية .رباط كبير مليح مبني بالحجارة المنحوتة فيه بيوت كثيرة يسكنها الغرباء ، وله أوقات ، ومقدمهم القيّم بأمر الرباط صاحبنا الشيخ صالح بن أحمد اليمني المطري [6] ــ رضي الله عنه ــ .

---

١ ــ مواضع منقورة في الجبل بين صخور عظيمة يجتمع فيها المطر ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ص ٢٣٢ . والمقصود في النص بالمهراس حجر منقور مستطيل يتوضأ منه . ابن منظور : المصدر السابق .

٢ ــ في (أ) : التي .

٣ ــ هذا يتفق مع ماأورده السمهودي : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٨١٣ .

٤ ــ في (ب) : كلثوم بن الهرم ، وهو تصحيف لابن الهدم . صحابي من الأنصار ، أسلم قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة ، وتوفي بعد مقدمه إليها بوقت يسير ، ترجم له : ابن سعد : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٦٢٣ .

٥ ــ هو المسجد الذي بناه المنافقون مضاهاة لمسجد قباء . وفيه نزلت : ﴿ والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وارصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل . وليحلفن ان أردنا إلا الحسنى . والله يشهد انهم لكاذبون ﴾ الآية ١٠٧ من سورة التوبة ، يقول المقدسي : (وبها ــ أي قُباء ــ مسجد الضرار ويتطوع العوام بهدمه) . أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ط ٢ ، ليدن ، مطبعة بريل ، ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م) ، ص ٨٢ ، وهذا المسجد لايعرف له مكان حالياً فيما حول مسجد قباء .

٦ ــ في (ب) : المصري . ولم أهتد لمعرفة شخصيته .

ومنها مسجد الجمعة (1) ، وهو في طريق قُباء على نحو ميل أو أقل (2) من مسجد قُباء عن يمين الذاهب من المدينة اليها على الطريق التي تمرّ بين النخل . ومن مرّ علي طريق الحرّة الغربية فهو عن يساره . فقد روي أن النبي ﷺ لمّا خرج من قباء في هجرته أدركته الجمعة في بني سالم بن عوف (3) في بطن الوادي . وهي أول جمعة صلاّها عليه السلام بالمدينة (4) .

وهذا المشهد اليوم في منخفض من الأرض قد أحاطت به حدائق النخيل من أكثر جهاته . وفي شماليه (5) أطم(6) خراب قيل أنه محل عتبان بن مالك (7) — رضي الله عنه — . وفيه أثر مسجد صغير غير مسقف يقال أنه المكان الذي صلى به (8) ﷺ من بيته ، ومسجد الجمعة في مستبطن الوادي الذي يحول بينه وبين قومه إذا سال ، ومنازل قومه في غربي الوادي على طريق الحرة .

---

1 — كان يعرف بثلاثة أسماء : مسجد الجمعة ، ومسجد الوادي ، ومسجد عاتكة . لكنه غلب عليه اسمه الأول (أي مسجد الجمعة) ، وبه يعرف إلى اليوم . عبد القدوس الأنصاري : آثار المدينة المنورة ، دمشق : مطبعة الترقي ، ١٣٥٣ هـ (١٩٣٥ م) ، ص ٦٠ . ويبعد هذا المسجد عن مسجد قُباء بما يقارب ثمنمائة متر ، وعن الحرم بأقل من ثلاثة أكيال .

2 — الميل من المقاييس ، هو عبارة عن علامات وضعها القدماء لتحديد المسافات ، ويساوي تقريباً كيلين . انظر : هنتش : المصدر السابق ، ص ٩٥ . ويبدو أن المؤلف لم يدقّق في ضبط هذه المسافة حيث تبيّن أنّها فعلاً أقل من ميل . ولكن أقلّ منه بكثير (أي ٨٠٠ م كما تقدم) .

3 — بطن من الخزرج ، من العدنانية . القلقشندي : نهاية الأرب ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، القاهرة : دار الكتاب المصري ، ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) ، ص ٢٨١ .

4 — هذا يتفق مع ماأورد ابن هشام : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٣٩ . وابن قيم الجوزية : زاد المعاد في هدى خير العباد ، ط ٣ ، بيروت : مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م) ج ٣ ، ص ٥٩ .

5 — في (ب) : شماله .

6 — القصر ، وكل بناء مرتفع ، وكل حصن مبني بحجارة . ابن منظور : المصدر السابق .

7 — صحابي من الأنصار ، شهد بدراً ، توفي في خلافة معاوية — رضي الله عنه — ، وذلك عام ٥٠ هـ (٦٧٠ م) ، ترجم له : ابن حبيب : المحبر ، تحقيق ايلزة ليختي ستيتر ، حيدر آباد : مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٦١ هـ (١٩٤٢ م) ، ص ٣٠٤ . وابن حجر : الاصابة ج ٢ ، ص ٤٥٢ .

8 — في (ب) : كلمة زائدة : النبي .

ومنها مسجد الفَضيخ [١] ، وهو مسجد صغير شرقي قُباء على شفير الوادي[٢] على نشز من الأرض مرضوم بحجارة سود . فقد روي عن جابر ابن عبد الله ــ رضي الله عنه ــ قال : حاصر النبي ﷺ بني النضير فضرب قبّته قريباً من مسجد الفَصيخ ، وكان يصلي في موضع مسجد الفضيخ ست ليال [٣] . وسمي مسجد الفضيخ لما روي أن النبي ــ عليه السلام ــ أتى بفضيخ وهو فيه فشربه [٤] ، وقيل غير ذلك . ويعرف الآن بمسجد الشمس

قال السيد : ولاأعلم سبب هذه التسمية [٥] .

ومنها مسجد بني قُرَيْظَة [٦] قرب حرتهم الشرقية على باب حديقة هناك وعنده خراب أبيات شمال الحديقة من دور بني قريظة ، وأُطُم الزبير بن باطا[٧] القرظي داخل في هذا المسجد . ففي الصحيح أن النبي ﷺ بعث إلى سعد

---

١ ــ يبعد عن الحرم النبوي ثلاث أكيال ونصف ، وعن مسجد قُباء بنحو سبعمائة متر ، والفضيخ نوع من الخمر أهرقه بعض الصحابة في ذلك الموضع قبل أن يتخذ مسجداً ، وذلك عندما نزل تحريم الخمر . السمهودي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٨٢١ .

٢ ــ وادي بُطحان .

٣ ــ لم يذكر ابن هشام الصلاة في مسجد الفضيخ ، وإنما قال : (فحاصرهم ــ أي النبي ﷺ ــ ست ليال ، ونزل تحريم الخمر) . المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٠٠ .

٤ ــ هذه الرواية مردودة لعدّة أسباب :

أ ــ أن الله تعالى عصم نبيه وحفظه من الخبائث سواء في الجاهلية أو في الاسلام وقد ورد في ذلك أخبار متواترة في كتب الحديث والسيرة .

ب ــ في سند هذه الرواية عبد الله بن نافع مولى ابن عمر : (ضعفه الجمهور ؛ قال المديني : روى مناكير . وقال البخاري : منكر الحديث . وروى عباس عن يحيى ضعيف . وقال النسائي متروك) . الذهبي : ميزان الاعتدال ، ج ٢ ، ص ٥١٣ . وفي سندها أيضاً عبد العزيز بن عمران الذي قال عنه البخاري وغيره متروك ، لايكتب حديثه . انظر ص ٨٧ من هذه الرسالة .

ج ــ هناك رواية مقبولة سردها السمهودي وهي : (لمّا حرمت الخمر خرج الخبر إلى أبي أيوب في نفر من الأنصار وهم يشربون فيه فضيخاً (أي في المحل الذي اتخذ فيما بعد مسجداً) ، فحلوا وكاء السقاء ، فأهرقوه فيه ، فبذلك سمي مسجد الفضيخ) المصدر السابق ج ٣ ، ص ٨٢٢ .

٥ ــ هذا يتفق ما ماأورده السمهودي : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٨٢٢ .

٦ ــ يقع شرقي مسجد الفضيخ بالقرب من الحرّة الشرقية ، وقد جدّد بناءه شيخ الحرم النبوي الشجاعيّ شاهين الجمالي ، ناظره عام ٨٩٣ هـ (١٤٨٧ م) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٨٢٥ .

٧ ــ في الأصل : الزبير بن باطيا ، وكذا في النسخ . والتصحيح من الفيروز بادي : المغانم المطابة في معالم طابة ، تحقيق حمد الجاسر ، الرياض : دار اليمامة ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩ م) ، ص ٥٤ .

بن معاذ لمّا نزل بنو قريظة على حكمه . فلمّا كان قريباً من المسجد قال ــ عليه السلام ــ للأنصار : « قوموا إلى سيدكم »(١) . وليس المراد مسجد المدينة لأنه ــ عليه السلام ــ لم يكن بها ، بل مسجد بني قريظة كما أشار إليه الحافظ ابن حجر قال : وأخطأ من زعم أن لفظ المسجد غلط (٢) وهذا المسجد كبير عليه حظيرة (٣) من حجارة قريبة (٤) من القامة ، وفي زاويته الغربية الشمالية دكّة (٥) كبيرة هي موضع منار المسجد قبل انهدامه . فقد روي أن النبي ﷺ صلّى في بيت امرأة من الحضر ، وأن المكان الذي صلى فيه هو هذا المنار .

ومنها مسجد مشربة (٦) أم إبراهيم ــ عليه السلام ــ . فقد روي أنه ــ عليه السلام ــ صلّى في مشربة أم إبراهيم (٧) . وسميت بذلك لأن مارية ولدت إبراهيم بن (٨) النبي ﷺ فيها ، وكان النبي ﷺ أسكنها هناك وهي من أموال مخيريق (٩) التي هي من صدقاته ﷺ . وهذا المسجد شمالي مسجد بني قريظة قريب من الحرّة الشرقية (١٠) .

---

١ ــ أخرجه البخاري في الجامع الصحيح ، كتاب المغازي ، ج ٥ ، ص ٥٠ .
٢ ــ ابن حجر : فتح الباري : ج ٧ ، ص ٤١٢ .
٣ ــ في الأصل : حضير . وكذا في : (ج) والتصحيح من (أ) و (ب) .
٤ ــ في الأصل : قريب . وكذا في النسخ .
٥ ــ بناء مسطح أعلاه يقعد عليه . ابن منظور : المصدر السابق . وقد سبق ذكر الدكّة من قبل بمعنى آخر . انظر ص ٩٢ من هذه الرسالة .
٦ ــ في (ب) : مشرفة ، وصوابه مشربة كما ورد في الأصل . بستان كان في عوالي المدينة . المراغي : المصدر السابق ، ص ١٣٨ .
٧ ــ رواه ابن شبة في أخبار المدينة ، ج ١ ، ص ٦٩ . وهو ضعيف بهذا السند لأن فيه : ابن أبي يحيى : (قال إبراهيم بن عرعرة : سمعت يحيى بن سعيد يقول : سألت مالكاً عنه أكان ثقة في الحديث ؟ فقال : لا ولا في دينه . وقال يحيى بن معين : سمعت القطان يقول : إبراهيم ابن أبي يحيى : كذاب . وعن أحمد بن حنبل قال : يروي أحاديث ليس لها أصل ، وقال البخاري : تركه ابن المبارك والناس) . الذهبي : ميزان الاعتدال ، ج ١ ، ص ٥٨ .
٨ ــ في (ج) : ابن .
٩ ــ رجل من بني النظير ، كان من علماء اليهود وأغنيائهم ، أسلم وأوصى بأمواله للنبي ﷺ قبل استشهاده يوم أُحد ، ترجم له : الطبري : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٣١ ، وابن حجر : الاصابة ، ج ٣ ، ص ٣٩٣ .
١٠ ــ يبعد عن الحرم النبوي بنحو ثلاث أكيال .

ومنها مسجد بني ظفر [١] من الأوس شرقي البقيع بطريق الحرة الشرقية ويعرف اليوم بمسجد البغلة . فقد روي أن النبي ﷺ صلّى في مسجد بني ظفر [٢] ، وأنه أتى بني ظفر في مسجدهم فجلس على الصخرة التي في المسجد ومعه عبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل [٣] وناس من أصحابه ، وأمر النبي ــ عليه السلام ــ قارئاً فقرأ [٤] حتى أتى على هذه الآية : ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾ [٥] الآية ، فبكى (الحديث ...) [٦] . وعند هذا المسجد آثار في الحرّة من جهة القبلة يقال أنها أثر حافة بغلته ﷺ . وهناك أيضاً أثر على حجر كأنه أثر مرفق يذكر أن النبي ﷺ اتكأ [٧] عليه ووضع مرفقه الشريف عليه ، وعلى حجر أصابع والناس يتبركون بها [٨] . قلت : وقد منّ الله بزيارة هذه المساجد المتقدمة كلها في يوم واحد . خرجنا من المدينة صباحاً ، ومررنا بمسجد الجمعة ومسجد عِتبان بن مالك ، وجئنا إلى مسجد قُباء ، ثم خرجنا إلى مسجد الشمس

---

١ ــ بنو ظفر : بطن من الأوس ، من الأزد القحطانية . القلقشندي : المصدر السابق ، ص ٣٢٧ . ويبعد مسجدهم هذا عن المدينة اعتباراً من باب البقيع بنحو خمسة عشر دقيقة مشياً على الأقدام عبد القدوس الأنصاري : المرجع السابق ، ص ٨٢ . ويقول عنه إبراهيم العيّاشي : (وهو اليوم جدران بلا سقف ، ويقع في الشرق من بستان الأخوين آل الرفاعي) . المدينة بين الماضي والحاضر بيروت ، مؤسسة الأصمعي للمطبوعات ، ١٣٩٢ هـ (١٩٧٢ م) ، ص ٣١٠ .

٢ ــ رواه ابن شبة في أخبار المدينة ، ج ١ ، ص ٦٦ . وهو ضعيف بهذا السند لأن فيه : ابن أبي يحيى . أنظر ص ١١٣ من هذه الرسالة . وفيه الحارث بن سعيد ، قال الذهبي : (تركه أبو حاتم) . المغْني في الضعفاء ، تحقيق نور الدين عتر ، حلب ــ سوريا ، دار المعارف ، ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م) ج ١ ، ص ١٤١ .

٣ ــ في (أ) : عبد بن جبل ، وهو تحريف لمعاذ بن جبل .

٤ ــ في (أ) : يقرأ .

٥ ــ الآية ٤١ من سورة النساء .

٦ ــ فى الجامع الصحيح للبخاري : عن عمرو بن مرّة قال : (قال لي النبي ﷺ : اقرأ عليّ . قلت : أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : فإني أحب أن أسمعه من غيري . فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت : ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾ قال : أمسك ، فإذا عيناه تدرفان) كتاب تفسير القرآن ، ج ٥ ، ص ١٨٠ .

٧ ــ في الأصل : اتكى وكذا في (ج) . والتصحيح من (أ) و (ب) .

٨ ــ هذا يتفق مع ماأورد المطري : التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة ، المدينة المنورة : أسعد داربزوني الحسيني ، ١٣٧٢ هـ (١٩٥٢ م) ، ص ٥٣ . وعقّب السمهودي على هذا الكلام قائلاً : (ولم أقف في ذلك على أصل) ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٨٢٨ .

ثم إلى مسجد بني قريظة ، ثم إلى مسجد مشربة أم إبراهيم ، ثم إلى مسجد البغلة ، ولم نرجع إلى المدينة إلّا قرب العصر ، وكنا مع جماعة من اخواننا المجاورين يدلّوننا على الطريق إلى هذه الأماكن . ومررنا يومنا ذلك بجملة من الآبار كبئر البُصَة ، وبئر أريس ، وبئر العِهْن ، وبئر غَرس . وسيأتي ذكر هذه الآبار عند ذكرنا للآبار المنسوبة إليه ﷺ .

ومنها مسجد الاجابة ، وهو لبني معاوية بن مالك [١] من الأوس ، وهو شمال البقيع قريب منه على يسار السالك إلى العريض [٢] بازاءه تلول هي آثار قرية بني معاوية . ففي صحيح مسلم من حديث عامر بن سعد [٣] عن أبيه أنّ رسول الله ﷺ أقبل ذات يوم من العالية [٤] حتى مرّ بمسجد بني معاوية دخل فركع ركعتين وصلينا معه ، ودعا ربّه طويلاً ، ثم انصرف إلينا فقال : (سألت ربي ثلاثاً [٥] فأعطاني اثنتين [٦] ومنعني واحدة . سألته أن لايهلك أمتي بالسّنة فأعطانيها ، وسألته أن لايهلك أمتي بالغرق فأعطانيها ، وسألته أن لايجعل بأسهم بينهم فمنعنيها) [٧] . وعن سعد بن أبي وقاص أنه كان مع النبي ﷺ فمرّ بمسجد بني معاوية ، فدخل فركع فيه ركعتين ، ثم قام فناجى ربه ثم انصرف [٨] . وعن محمد بن طلحة [٩] : بلغني أن النبي ﷺ صلّى في

---

١ ــ بطن من الأوس ، من الأزد ، من القحطانية ، القلقشندي : المصدر السابق ، ص ٤٢٣ .

٢ ــ واد بالمدينة إلى جهة الشام قرب وادي قناة . السمهودي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٢٦٥ .

٣ ــ صحابي استشهد يوم مؤتة عام ٨ هـ (٦٢٩ م) ، ترجم له ابن الأثير : أسْد الغابة في معرفة الصحابة ، القاهرة : جمعية المعارف المصرية ، ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣ م) ، ج ٣ ، ص ٨١ .

٤ ــ منطقة في جهة قبلة المدينة على ميل أو ميلين فأكثر من الحرم النبوي من قراها وعمائرها . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٧١ . وهي اليوم من أحياء المدينة .

٥ ــ في الأصل : ثلاث ، وكذا في : (أ) والتصحيح من (ب) و (ج) .

٦ ــ في (أ) : اثنين .

٧ ــ أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ج ٣ ، ص ٢٢١٦ .

٨ ــ رواه ابن شبّة في أخبار المدينة ، ج ١ ، ص ٦٨ . وقد تثبت من اسناده فوجدته صحيحاً لأن فيه : هارون بن معروف : (قال ابن معين والعجلي وأبو زرعة : ثقة) ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ١١ ، ص ١٢ ، وفيه : مروان بن معاوية الغزاري : (قال أحمد : ثبت حافظ) ، الذهبي : ميزان الاعتدال : ج ٤ ، ص ٩٣ . وفيه : عثمان بن حكيم الأنصاري : (قال ابن معين وأبو داود وأبو حاتم والنسائي : ثقة) . ابن حجر : تهذيب التهذيب ، ج ٧ ص ١١١ ــ ١١٢ . وفيه : عامر بن سعد بن أبي وقاص : قال الذهبي : (ثقة) . الكاشف ج ٢ ، ص ٥٤ .

٩ ــ محمد بن طلحة بن عبيد الله القرشي التيمي ، أبو سليمان : من صغار الصحابة سنّاً ويقال له السجّاد لكثرة تعبّده ، قتل يوم الجمل ٣٦ هـ (٦٥٦ م) ، ترجم له : ابن عبد البر : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٣٧١ .

مسجد بني معاوية على يمين المحراب نحواً من ذراعين . قال السيد : فليتحر ذلك مع الدعاء قائماً [١] .

قلت: وقد زرت هذا المسجد والحمد لله مراراً وصليت فيه ، ودعوت الله بما أرجو اجابته لنفسي ولاخواني وأشياخي والمسلمين .

ومنها مسجد الفتح [٢] والمساجد التي في قبلته ، وتعرف اليوم كلها بمساجد الفتح . والأول ــ المرتفع على قطعة من جبل سَلْع في المغرب يصعد إليه بأدراج شمالية ــ هو المراد بمسجد الفتح عند الاطلاق ، ويقال له أيضاً مسجد الأحزاب [٣] والمسجد الأعلى . وفي مسند أحمد برجال [٤] ثقات عن جابر بن عبد الله أنّ النبي ﷺ دعا في مسجد الفتح ثلاثاً : يوم الأثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ، فاستجيب له يوم الأربعاء بين الصلاتين ، فعرف البشر في وجهه . قال جابر : فلم ينزل بي أمر مهم غليظ إلا توخيت تلك الساعة فأدعو فيها فأعرف الاجابة[٥] . وروي أنه ــ عليه السلام ــ مرّ بمسجد الفتح الذي على الجبل وقد حضرت صلاة العصر فرقى فصلى فيه صلاة العصر [٦] . وروي أنه ــ عليه السلام ــ دعا في مسجد الفتح يوم الأحزاب حتى ذهب الظهر ، وذهب العصر ، وذهب المغرب ، ولم يصل منهن شيئاً ، ثم صلاهن

١ ــ يتفق هذا مع ماأورد السمهودي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٨٢٩ .

٢ ــ يبعد عن الحرم النبوي بأقل من ثلاث أكيال .

٣ ــ نسبة إلى وقعة الأحزاب أو الخندق عام ٥ هـ (٦٢٦ م) .

٤ ــ في (أ) : رجال . وفي (ب) : رجاله .

٥ ــ رواه أحمد في مسنده ، ج ٣ ، ص ٣٣٢ (طبعة دار المعارف) . واسناده صحيح لأن فيه : عبد الله بن أحمد بن حنبل : (ثقة) . ابن حجر : تهذيب التهذيب ، ج ٥ ، ص ١٤١ . وفيه : أبو عامر ، عبد الملك بن عمرو القيسي : (ثقة) . المصدر نفسه ، ج ٦ ، ص ٤٠٩ . وفيه : كثير بن زيد : (قال أبو زرعة : صدوق فيه لين) الذهبي : الكاشف ، ج ٣ ، ص ٤ . وفيه : عبد الرحمن بن كعب بن مالك : (ثقة) . المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٨٣ .

٦ ــ رواه ابن شبّة في أخبار المدينة ، ج ١ ، ص ٥٩ . وهو ضعيف بهذا السند لان فيه ابن سمعان عبد الله بن زياد : (قال ابن معين : ليس بثقة . وروي ابن القاسم عن مالك كذاب . وقال الجوزاني : ذاهب الحديث) . الذهبي : ميزان الاعتدال ، ج ٢ ، ص ٤٢٣ ــ ٤٢٤ .

جميعاً بعد المغرب (١) قال أبو غسان (٢) : وسمعت غير واحد ممن يوثق به يذكر أن الموضوع الذي دعا عليه رسول الله ﷺ من الجبل هو اليوم إلى الأسطوانة (٣) الوسطى في رحبة المسجد (٤) . قال السيد : ومحل ذلك اليوم مايقابل محراب المسجد من الرحبة لتوسطه ؛ فإنه كان على ثلاث أساطين بين المشرق والمغرب ، فمسقفه رواق واحد كما هو اليوم ، لكن غيرت أساطينه (٥) . وذكر الدعاء الذي ينبغي أن يُدعى (٦) به في ذلك الموضع قال : (وتسمية هذا المسجد بمسجد الفتح لأن الاستجابة وقعت به ، وجاء حذيفة (٧) بخبر رجوع الأحزاب ليلاً به ، فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون قد فتح الله عز وجل لهم ونصرهم وأقر أعينهم (٨) . وأما المساجد التي في قبلته فقد روي عن سعد بن معاذ (٩) أن رسول الله ﷺ صلّى في مسجد الفتح

---

١ ــ هذه الرواية ضعيفة لعدة أسباب :
أ ــ ورد في الجامع الصحيح للبخاري (ج ٥ ، ص ٤٧) وفي السيرة لابن هشام (ج ٣ ، ص ٢٢٦) أن النبي ﷺ كان مشغولاً مع أصحابه بحفر الخندق ترغيباً للمسلمين في الأجر .
ب ــ أخرج البخاري في الجامع الصحيح (ج ٥ ، ص ٤٩) أن النبي ﷺ فاته أن يصلي العصر فقط لانشغاله كما سبق بحفر الخندق .
ج ــ أمر الشارع عز وجل بالمحافظة على الصلاة في فترتي السلم والحرب ، بل في وقتها المحدد لها . قال تعالى : ﴿ انّ الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ﴾ الآية ١٠٣ من سورة النساء وقد كان النبي ﷺ حريصاً على أداء الصلوات في وقتها وهو القدوة في ذلك ، فيا ترى مايمنعه من أداء الصلاة وهو جالس في المسجد .

٢ ــ محمد بن يحيى الكناني : موثوق ، من أهل الحديث والأدب والتفسير . ولعلّه أعمق تلاميذ ابن عمران الزُّهْري في العناية بتاريخ المدينة . وهو من شيوخ ابن شبّة النُّمَيْري أحد مؤرخي المدينة . توفي في أواخر القرن الثاني للهجرة (٧ م) . ترجم له : الذهبي : ميزان الاعتدال ، ج ٤ ، ص ٦٢ . وابن حجر : تهذيب التهذيب ، ج ١ ، ص ٦٠ .

٣ ــ في الأصل الأسطوان . وكذا في (أ) و (ج) . والتصحيح : من (ب) .

٤ ــ رواه ابن شبّة في أخبار المدينة ؛ ج ١ ، ص ٦٠ . وهو ضعيف بهذا السند لأن فيه رواة لم يسمهم لنا أبو غسان .

٥ ــ هذا يتفق مع ماأورد السمهودي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٨٣١ .

٦ ــ في الأصل : يدعا . وكذا في (ج) . والتصحيح من (أ) و (ب) .

٧ ــ حذيفة بن اليمان : صحابي جليل من الولاة الأبطال الفاتحين ، ولاّه عمر على المدائن في العراق وحين قدمها أستقبله أعيانها فقالوا : سلنا ماشئت ؟ فطلب مايكفيه من القوت ، وقام باصلاح بلادهم وفتح بلداناً كثيرة منها الدينور وهمذان والري . توفي عام ٣٦ هـ (٦٥٦ م) ، ترجم له : ابن سعد : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٣١٧ .

٨ ــ هذا يتفق مع رواية السمهودي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٨٣٥ .

٩ ــ في الأصل : معاذ بن سعد . وكذا في النسخ . وماأثبت في المتن هو الصحيح .

الذي على الجبل وفي المساجد التي حوله (١) . قال السيد : وظاهر أن المساجد حوله ثلاثة (٢) . فأحدها : الذي يلي المسجد الأعلى ويعرف بمسجد سلمان الفارسي . وثانيهما : يلي قبلة هذا المسجد ويعرف بمسجد علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ . وثالثهما: في قبلة الثاني على طريق جبل سلع جانحاً لجهة المشرق ، ويعرف بمسجد أبي بكر ، وهو أصغرها (٣) وفي باب المعروف منها بعلي ماجل (٤) ماء ينزل إليه بدرج (٥) .

وأهل المدينة يخرجون إلى هذه المساجد لقصد التفرج في أيام كثيرة . ولهم يوم معلوم في السنة يخرجون إليها بالأخبية والأطعمة الكثيرة ، فيبيتون بها في لهو وطرب ، وهو يوم النصف من شعبان . وقد خرجنا مرّة لزيارة المساجد فوجدنا الأعلى منها مملوءاً نساء ، ولم نتمكن من الدخول إليه وهن يطبخن فيه أنواع الأطعمة . ونساء المدينة لهن عوائد مذمومة في الخروج إلى التنزه والتفرج في البساتين والأماكن المنفسحة ، ويسمون ذلك القائلة ، فيقولون نقيل اليوم في الموضع الفلاني ، وخروج الرجال لذلك أكثر ، فتكلف المرأة زوجها في ذلك من النفقة مالا قدرة له عليه .

ومن الأماكن التي هي في عداد المساجد وينبغي التبرك بها (٦) والصلاة فيها كهف سَلْع ، وهو كهف بني حَرام (٧) . فقد جاء أن النبي ﷺ جلس به

---

١ ــ هذا يتفق مع ماأورد السمهودي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٨٤٦ .

٢ ــ هكذا وردت هذا العبارة عند السمهودي ، ج ٣ ، ص ٨٣٦ . وفي الأصل : وهو ظاهر في أنها ثلاثة غيره . وكذا في النسخ .

٣ ــ االمسافة من الحرم النبوي إلى هذه المساجد نحو كيلين ونصف .

٤ ــ مستنقع الماء في أصل جبل أو واد . أحمد رضا : معجم متن اللغة ، بيروت : دار مكتبة الحياة ١٣٧٧ هـ (١٩٥٨ م) والمقصود هنا بركة ماء .

٥ ــ هذا يتفق مع مقالة السمهودي : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٨٣٦ .

٦ ــ إذا كان المؤلف يقصد بالتبرك الصلاة في الكهف لحصول الأجر كما هو مأثور عن مسجد قباء وغيره من المساجد التي صلّى فيها النبي ﷺ فذلك لابأس به شرعاً . لكن إذا قصد التمسح به وغير ذلك مما يفعله عوام الناس في مثل هذه الأماكن فهو محظور شرعاً .

٧ ــ في (ب) : وهي لبني حرام . وبنو حرام بطن من الخزرج من القحطانية . عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب ، ط ٢ ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٨ (١٩٧٨ م) ج ١ ، ص ٢٥٧ والمشهور حالياً أن هذا الكهف يقابل الخارج من باب الحكومة في شمال الباب على تلعة من جبل سَلْع . وهو في غربي مستشفى الولادة . إبراهيم العيّاشي : المرجع السابق ، ص ٧٥ .

وكان يبيت به ليال الخندق(١) ، قال السيد : والظاهر أنه المراد بها في الأوسط والصغير للطبراني (٢) من أن معاذ بن جبل خرج يطلب النبي ﷺ فدلّ عليه في جبل ثواب(٣) ، فخرج حتى رقى جبل ثواب فبصره في الكهف الذي اتخذ الناس إليه طريقاً إلى مسجد الفتح فإذا هو ساجد . قال : فهبطت (٤) من رأس الجبل وهو ساجد ، فلم يرفع حتى أسأت به الظن ، فظننته قبضت روحه ، وقال : جاءني جبريل بهذا الموضع فقال : إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول ماتحب أن أصنع بأمتك ؟ قلت : الله أعلم . فذهب ثم جاء إليّ فقال : إنه يقول : لا أسوءك في أمتك . فسجدت ، فأفضل مانقرب (٥) به إلى الله السجود(٦)) . قال السيد : جبل ثواب لم أقف له علي ذكر . لكن وصفه الكهف بما ذكره ظاهر في ارادة الكهف المذكور بسَلع على يمين المتوجه من المدينة إلى مساجد الفتح من الطريق القبلية بقرب شعب بني حَرام ؛ فإن عن يمينه هناك مجري سائلة تسيل من سَلْع إلى بُطحان . فإذا دخلها صعد يسيراً في المشرق كان الكهف عن يمينه ، وأعلى منه في المشرق كهف آخر لكنه صغير جداً ، فالأول هو المراد (٧) . وإذا توجه من هذه السائلة طالباً (٨) مساجد الفتح كان شِعب بني حرام على يمينه ، وهو شعب متسع به آثار مساكنهم وأثر مسجدهم الكبير الذي زاد عمر بن عبد العزيز في بنائه

---

١ ــ قال السمهودي : (وفي رواية أنهم كانوا ــ يعني الصحابة ــ يخرجون مع النبي ﷺ ويخافون البيات ، فيدخلونه كهف بني حرام ، فيبيت به حتى إذا أصبح هبط) . المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٨٣٩ .

٢ ــ كتب في الحديث للطبراني منها الكبير والأوسط والصغير . وقد رتب فيها أسماء المشايخ على الحروف . حاجي خليفة : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٣٧ .

٣ ــ ولعله ثيب . وهو جبل شرقي المدينة في صدر وادي قناة على نحو بريد منها . أبو إسحاق الحربي : المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، تحقيق حمد الجاسر ، الرياض : دار اليمامة : ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩ م) ، ص ٤٠٨ . والبُرَيْد أربعة فراسخ ، والفرسخ ستة أكيال ، هنتش : المصدر السابق ، ص ٨٢ .

٤ ــ من (ب) : سقط حرف التاء ، فتغير معنى الجملة .

٥ ــ في (ب) : نتقرب ، وفي (ج) : تقرب .

٦ ــ رواه الطبراني في المعجم الصغير ، ط ٢ ، القاهرة : دار النصر للطباعة ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م) ج ٢ ، ص ١١٧ . وهو ضعيف بهذا السند لأن فيه : إسحاق بن إبراهيم : (قال أبو زرعة : منكر الحديث ، ليس بالقوي . وقال أبو حاتم : ليّن . الذهبي : ميزان الاعتدال ، ج ١ ، ص ٤٣٩ .

٧ ــ هذا يتفق مع ماأورد السمهودي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٨٤٠ .

٨ ــ في الأصل : طالب . وكذا في (ج) : . والتصحيح من (أ) و (ب) .

واختلف في صلاته ﷺ بهذا المسجد بناء على أنّ تحولهم إلى هذا الشعب كان في زمنه عليه السلام باذنه . وروى أنه إنما كان في زمن عمر رضي الله عنه (١) .

قلت : وأثر المسجد اليوم باق بأسفل الوادي إلّا أنه لابناء عليه ، وإنما عليه حظيرة (٢) صغيرة (٣) . وهو لايعرفه كثير من الناس ولايؤبه به .

وكذلك الغار المذكور لايعرفه كثير من الناس ولايقصد للزيارة ، وقد زرته والحمد لله . وسبب معرفتي به أنّا لمّا سمعنا معجم الطبراني الصغير على شيخنا الثعالبي بالروضة النبوية ، مابين القبر والمنبر (٤) ، وعند سماع (٥) هذا الحديث أخبرنا بمكان الغار ودلنا عليه ، وأخبرنا أنه جرّب الدعاء في ذلك المحل ، فقصدته مع صاحبنا سيدي يعيش الضراوي (٦) وكان من المجاورين ، وأتيناه من فوق جبل سلع حتى انحدرنا إليه من شرقيه .

وأما مسجد بني حرام فزرته مراراً ، إلّا أنني أولاً كنت لاأعرف نسبته اليهم وإنما أصلي فيه إذا مررت به لزيارة مساجد الفتح / .

ومنها مسجد القبلتين (٧) ، وهو لبني سلمة (٨) . وسمي مسجد القبلتين لأن القبلة حولت فيه . قال السيد : والأرجح أن تحويل القبلة كان بمسجد

---

١ ــ هذا يتفق مع رواية السمهودي : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٨٣٨ .
٢ ــ في الأصل : حظير . وكذا في النسخ . والتصحيح من القاموس .
٣ ــ في الأصل : صغير . وكذا في النسخ .
٤ ــ لم يكمل المؤلف الحديث لأنه مشهور . والحديث : (مابين بيتي ومصلاي روضة من رياض الجنة) . أخرجه البخاري في الجامع الصحيح ، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ج ٢ ، ص ٥٧ .
٥ ــ في (ب) : سماعن .
٦ ــ لم أجد له ترجمة فيما تيّسر لي الرجوع إليه من كتب .
٧ ــ بينه وبين الحرم أربعة أكيال .
٨ ــ بطن من الخزرج ، من الأزد ، من القحطانية سكناهم بالمدينة . الزبيدي : تاج العروس ، ؟ ، بنغازي : دار ليبيا للنشر ، ؟ ، ج ٨ ، ص ٣٧٧ .

القبلتين والنبي ﷺ يصلّي به (١) . وليحيى (٢) عن عثمان بن محمد بن الأخنس (٣) قال : زار رسول الله ﷺ أم بشر بن البراء من بني سلمة في بني سلمة ، فصنعت له طعاماً . قال : فحانت الظهر فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه في مسجد القبلتين الظهر . فلمّا أن صلّى ركعتين أمر أن يوجّه إلى الكعبة ، فاستدار ﷺ إلى الكعبة واستقبل الميزاب(٤) . فهي القبلة التي قال الله :

﴿ فلنولّينّك قبلة ترضاها ﴾(٥) .

فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين(٦) .

---

١ ـــ هذا يتفق مع ماأورده السمهودي ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٨٤٢ .

٢ ـــ يحيى بن الحسن الحسيني المدني : نسابة ، مؤرخ ، توفي عام ٢٧٧ هـ (٨٩٠ م) . ترجم له : أغابزرك الطهراني : الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، النجف ـــ العراق : مطبعة القرن ، ١٣٥٥ ـــ ١٣٨١ هـ (١٩٣٦ ـــ ١٩٦١ م) ، ج ١ ، ص ٣٤٩ .

٣ ـــ في الأصل محمد بن الأخنس ، وكذا في النسخ . وهو تحريف لعثمان بن محمد بن الأخنس والتصحيح من المراغي : المصدر السابق ، ص ١٤١ . والذهبي : ميزان الاعتدال ، ج ٣ ، ٥٢ . وعثمان هذا روى عن كبار التابعين . قال عنه الذهبي : (صدوق) . ج ٣ ، ص ٥٢ وقال ابن حجر : (... وذكره ابن حبان في الثقات ، ونقل عن البخاري أنه (وثقه) . تهذيب التهذيب ، ج ٧ ، ص ١٥٣ .

٤ ـــ ويعني هنا ميزاب الكعبة ، وهو مثل الأنبوب ينزل عبره ماء المطر الذي يغمر السطح فوق الأرض .

٥ ـــ والآية بالتّمام : ﴿ قد نرى تقلّب وجهك في السماء فلنولّينّك قبلة ترضاها ، فولّ وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ماكنتم فولّوا وجوهكم شطره . وإن الذين أُوتوا الكتاب ليعلمون أنّه الحق من ربهم . وماالله بغافل عمّا يعملون ﴾ . الآية ١٤٤ من سورة البقرة .

٦ ـــ قال ابن حجر : (واختلفت الرواية في الصلاة التي تحولت القبلة عندها ، وكذا في المسجد ، فظاهر حديث البراء أنها الظهر . وذكر محمد بن سعد في الطبقات ، قال : يقال أنه (يقصد النبي ﷺ) صلى ركعتين من الظهر في مسجده بالمسلمين ، ثم أمر أن يتوجّه إلى المسجد الحرام فاستدار إليه ، ودار معه المسلمون . ويقال زار النبي ﷺ أم بشر بن البراء ... من بني سلمة فصنعت له طعاماً ، وحانت الظهر ، فصلّى رسول الله ﷺ ، بأصحابه ركعتين ، ثم أُمر فاستدار إلى الكعبة واستقبل الميزاب ، فسمي بمسجد القبلتين . قال ابن سعد : قال الواقدي : هذا أثبت عندنا) فتح الباري ، ج ١ ، ص ٥٣ . وقال المراغي : (قال سعيد بن المسيب ـــ من كبار التابعين ـــ : والثابت عندنا أنها صرفت ـــ يقصد القبلة ـــ في الظهر في مسجد القبلتين) المصدر السابق ، ص ١٤١ . لكن ورد في صحيح مسلم : (فصلّى مع النبي ﷺ رجل ، ثم خرج بعدما صلّى فمرّ على قوم في صلاة العصر نحو بيت المقدس فقال : هو يشهد أنه صلّى مع رسول الله ﷺ وأنه توجه إلى الكعبة ، فتحرف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة) . كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، ج ١ ، ص ٣٧٤ . وفي رواية أخرى للبخاري : (بينما الناس بقُباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آتٍ فقال : إنّ رسول الله ﷺ قد أُنزل عليه الليلة القرآن ، وقد أُمر أن يستقبل

قلت : وهذا المسجد غربي بُطحان[١] وسلع قريب من العقيق [٢] في مكان مرتفع . والطريق إليه في آكام[٣] سود من الحرّة[٤] وشعاب ، ولم أزره إلا مرة واحدة ، وصليت فيه ماكتب . وعليه بناء وثيق ليس بقربه شيء من العمارة ، وقريب منه حديقة فيها بئر ماء وأرض تزرع .

ومنها مسجد السُّقْيا [٥] الآتي ذكرها في[٦] الآبار . وليست السُّقْيا [٧] التي بينها وبين المدينة مرحلة [٨] ، بل محل آخر بالحرّة الغربية . وهذا المسجد على يسار الذاهب إلى المدينة من العقيق في الحرّة الغربية على طريق الحاج عندما يقرب من المساكن ويشرف على المدينة . فقد روي أن النبي ﷺ عرض جيش بدر بالسُّقْيا وصلى في مسجدها [٩] ، ودعا هنالك لأهل المدينة) أن يبارك لهم في مدهم وصاعهم وأن يأتيهم بالرزق من هاهنا وهاهنا)[١٠].

← القبلة فاستقبولها . وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة) الجامع الصحيح ، كتاب الصلاة ، ج ١ ، ص ١٠٥ .

والتوفيق بين هذه الأحاديث كلها أن النبي ﷺ صلّى الظهر في نفر من الصحابة فاستدار إلى الكعبة ثم وصل الخبر إلى قوم كانوا يصلون في نفس المدينة صلاة العصر ، ثم وصل إلى أهل قباء في صبح اليوم الثاني باعتبارها خارجة عن المدينة .

١ ــ واد بالمدينة ، أنظر : ص ١٧٨ من هذه الرسالة .

٢ ــ من أكبر وديان المدينة ، أنظر : ص ١٧٣ من هذه الرسالة .

٣ ــ جمع أكم ، وهو ماارتفع دون الجبل أو مااجتمع من الحجارة في مكان واحدة . ابن منظور : المصدر السابق .

٤ ــ حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار . والحرار في بلاد العرب كثيرة . ياقوم : معجم البلدان ج ٢ ، ص ١٤٥ .

٥ ــ يقع هذا المسجد حالياً داخل سور بناية محطة السكة الحديدية ــ وهي معروفة بسكة حديد الحجاز التي مدها السلطان عبد الحميد الثاني ــ ويبعد عن الحرم بنحو اثنين من الأكيال .

٦ ــ سقط من (أ) : في .

٧ ــ قرية في نواحي المدينة . ياقوت : معجم البدان ، ج ٢ ، ص ٣٨٨ . وتسمى اليوم بأمّ البِرَك وتبعد عن المدينة بحوالي مائة وستين كيلاً ، خريطة المملكة العربية السعودية ، ادارة المواصلات بالمدينة المنورة .

٨ ــ مسيرة يوم أو نحوه ، أحمد رضا : المصدر السابق .

٩ ــ رواه ابن شبّة في أخبار المدينة ، ج ١ ، ص ٧٢ . وهو ضعيف بهذا السند لأن فيه عبد العزيز ابن عمران . انظر ص ٨٧ من هذه الرسالة .

١٠ ــ في صحيح البخاري : (اللهم بارك لهم في مكيالهم وصاعهم ومدهم) كتاب كفارات الأيمان ج ٧ ، ص ٢٣٧ .

قال السيد : فاتفقت أني جئت إلى ذلك المحل وتطلبت المسجد فرأيت محله رضماً [1] ، فأرسلت إليه بعض المعلمين وأمرته أن يتتبع الأساس بالحفر من داخله ، فظهر محراب المسجد وتربيعه وبناؤه بالحجارة المطابقة بالجص وقد بقي منه في الأرض أزيد من نصف ذراع [2] فيه بياض المسجد بالقصّة [3] بحيث يعلم الناظر أنه من البناء العمري ... ثم بنيَ على أساسه الأول [4] .

قلت : وهو اليوم مبني ببناء وثيق يأوي إليه الغرباء في بعض الأحيان خصوصاً أيام الموسم ؛ فإن الركب المصري ربما وصلوا بالنزول في بعض السّنين إلى تلك الناحية .

ومنها مسجد ذباب [5] ، ويعرف اليوم بمسجد الراية . وهو على جبل صغير قريباً من سلع من شرقيه قريباً من ثنيّة الوداع [6] على يسار الداخل إلى المدينة من طريق الشام ، فقد روي أنه ﷺ صلّى على ذباب [7] . وعن أبي سعيد الخدري : ضرب النبي ﷺ قبته في ذباب ، يعني في غزوة الخندق [8].

---

١ ـــ صخور يجعل بعضها فوق بعض . ابن منظور : المصدر السابق .

٢ ـــ الذراع يساوي ستا وستين سنتمتراً . هنتس : المصدر السابق ، ص ٨٩ .

٣ ـــ أي الجص . ابن منظور : المصدر السابق .

٤ ـــ نقل من السمهودي (المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٨٤٥) لأن المؤلف حاول أن يعبر عما كتبه السمهودي بأسلوبه فأخفق نوعاً ما . ومن ذلك قوله حسبما ورد في الأصل : (قال السيد : وقد تطلبت المسجد بهذا المحل فرأيت رضما على رُوَيْبَة هناك ، فأرسلت له بعض العمال ليحفر عن أساسه ، فظهر تربيعة وبقية محرابه ، ومن جدرانه أنه أزيد من نصف ذراع في دوره مبيضة بالقصّة ، فبني على أساسه الأول) وكذا في النسخ .

٥ ـــ جبل صغير بالمدينة يبعد عن الحرم النبوي بنحو كيلين .

٦ ـــ الثنية لغة كل عقبة في الجبال مسلوكة . وثنية الوداع ثنية مشرفة على المدينة كان يطؤها من يريد مكة . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٨٦ . وقد تحولت حالياً إلى حي من أحياء المدينة .

٧ ـــ رواه ابن شبّة في أخبار المدينة ، ج ١ ، ص ٦١ . وسنده ضعيف لأن فيه : ابن أبي يحيى . أنظر ص ١١٣ من هذه الرسالة . كما رواه الهيثمي بسند آخر في مجمعه وقال : (رواه الطبراني في الكبير ، وفيه عبد المهين بن عباس بن سهل ، وهو ضعيف) ج ٤ ، ص ٤ .

٨ ـــ رواه ابن شبّة في أخبار المدينة ، ج ١ ، ص ٦٢ . وهو ضعيف بهذا السند لأن فيه : كُثَيْر بن عبد الله المزني : (قال ابن معين : ليس بشيء . وقال الشافعي وأبو داود : ركن من أركان الكذب وضرب أحمد على حديثه . وقال الدارقطني وغيره : متروك . وقال النسائي : ليس بثقة) . الذهبي : ميزان الاعتدال ، ج ٣ ، ص ٤٠٦ ـــ ٤٠٨ . وفي سنده : ربيح بن عبد الرحمن بن

والأرجح أنّ الخندق كان من ناحية ذباب أيضاً . قال السيد : وقد رأيت لذباب ذكراً في أماكن كثيرة كلها متفقة على ماوصفه بأنه الجبيل المذكور بحيث لاتردد عندي فيه (١) . قال : ولعل اشتهاره بمسجد الراية لقول الواقدي (٢) في وصف اصطفافهم على الخندق : وكان يزيد بن هرمز (٣) في موضع ذباب يحمل راية الموالي . وصفّهم كراديس بعضها خلف بعض إلى رأس الثنية ، يعني ثنية الوداع (٤)/ .

أبي سعيد : (قال الترمذي : قال البخاري : منكر الحديث) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٨ . وقد ورد في السيرة لابن هشام أن النبي ﷺ جعله ظهره إلى جبل سَلْع والخندق بينه وبين العدو ج ٣ ، ص ١٣١ . وكذا في : تاريخ الرسل والملوك للطبري ، ج ٣ ، ص ٤٦ .

١ ـــ لم يكن المؤلف دقيقاً فيما نقله هنا لأن السمهودي لم يقل : الجبيل المذكور ، وإنما قال : الجبل الذي عليه مسجد الراية . المصدر السابق : ج ٣ ، ص ٨٤٧ .

٢ ـــ في كتاب الحرّة . أنظر : السمهودي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٨٤٧ .

٣ ـــ من الأعلام التابعين وفقهاء المدينة ، جالسه مالك كثيراً وأخذ عنه . وكان بصيراً بعلم الكلام يردّ على أهل الأهواء ، توفي عام ١٤٨ هـ (٧٦٥ م) . ترجم له : البخاري : التاريخ الصغير ، تحقيق محمود زائد ، القاهرة : مكتبة دار التراث ، ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) ، ج ٢ ، ص ٧٥ ـــ ٩٠ . والذهبي : سير أعلام النبلاء : تحقيق شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) ، ج ١ ، ص ٣٧٩ .

٤ ـــ هذا يتفق مع رواية السمهودي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٨٤٧ .

ذكر جبل أُحد وما به أو بطريقه من المساجد النبوية ، وذكر مشهد سيد الشهداء حمزة ومن معه من الشهداء :

جرت عادة أهل المدينة ــ شرفها الله ــ بزيارة قبر سيدنا حمزة رضي الله عنه كل يوم خميس ، وربما باتوا هناك ليلة الخميس في أغلب الأحوال . وقد خرجنا لزيارته والحمد لله مراراً متعددة مع أصحابنا المجاورين . وكنا نخرج بعد صلاة الصبح مع الحنفي ، وكان يسفر في صلاته ، ولانرجع إلّا بعد الضحى عند اشتداد الحر ، ومن أسرع المشي يرجع في أقل من ذلك . ولاأعلم لاختيارهم الزيارة في الخميس سبباً[1] إلّا أن يكون ماورد من أن الأموات يعلمون بزائرهم يوم الجمعة ويوماً قبله ويوماً بعده [2] . فلما كان يوم الجمعة يضيق المشي فيه بسبب الانشغال بمقدمات الصلاة وزيارة البقيع ويوم السبت لزيارة قُباء لم يبق إلا يوم الخميس .

وزيارة أُحد والشهداء به من السنن المأثورة . ففي صحيح البخاري أن النبي ﷺ صلّى على قتلى أُحد بعد ثمان سنين كالمودّع للأحياء والأموات [3]. وفي حديث أبي داود : خرجنا مع رسول الله ﷺ نريد قبور الشهداء حتى إذا أشرفنا على حرّة واقم [4] . فلما تدلينا منها فإذا قبور [5] فقلنا : يارسول الله أقبور اخواننا هذه ؟ قال : (قبور أصحابنا) . فلما جئنا قبور الشهداء قال : (هذه قبور اخواننا) [6] . وروي ان رسول الله ﷺ كان يأتي قبور الشهداء

---

١ ــ في (ب) : سبب .

٢ ــ وفي هذا الصدد يقول الغزالي : (وكان محمد بن واسع ــ البصري الزاهد ــ يزور يوم الجمعة ــ أي القبور ــ فقيل له : لو أخرّت إلى يوم الاثنين . قال : بلغني أن الموتى يعلمون بزوّارهم يوم الجمعة ويوماً قبله ويوماً بعده) . احياء علوم الدين ، ؟ ، القاهرة : مطبعة البابي الحلبي ، ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) ، ج ٤ ، ص ٤٩١ . وممّا يلاحظ أنّ سند هذه الرواية ضعيف لقوله : (بلغني) بدون تعيين الراوي .

٣ ــ أخرجه البخاري في الجامع الصحيح ، كتاب المغازي ، ج ٥ ، ص ٢٩ .

٤ ــ هي حرّة المدينة المنورة الشرقية ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٨٣ . وهو ماتعرف به اليوم . وتبعد عن الحرم بحوالي كيلين .

٥ ــ في (ب) : كلمة زائدة : الشهداء .

٦ ــ رواه أبو داود في سننه ، كتاب المناسك ، ج ٢ ، ص ٢٩٤ . وأخرجه أحمد في مسنده ، قال المحقق ــ أحمد شاكر ــ : إسناده صحيح . (طبعة القاهرة) ج ٢ ، ص ٣١١ .

بأُحد على رأس كل حول فيقول : ﴿ سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقب الدار ﴾ وكان إذا واجه الشّعب قال : ﴿ سلام عليكم بما صبرتم فنعم أجر العاملين ﴾(١) . وروي أن فاطمة رضي الله عنها كانت تزور (٢) قبر عمها حمزة رضي الله عنه ترمّه وتصلحه ، وقد علمته بحجر (٣) . وروى الحاكم(٤) عن علي أن فاطمة كانت تزور عمّها حمزة كل جمعة ، فتصلي وتبكي عنده (٥) . وروى البيهقي (٦) أن النبي ﷺ زار قبور الشهداء بأُحد فقال :

(اللهم ان عبدك ونبيك يشهد أن هؤلاء شهداء ، وأنهم من زارهم وسلم عليهم إلى يوم القيامة ردّوا عليه (٧) .

١ ــ رواه ابن شبّه في أخبار المدينة ، ج ١ ، ص ١٣٢ . وهو ضعيف بهذا السند لأن فيه ابن عمران انظر ص ٨٩ من هذه الرسالة .

٢ ــ سقط من (أ) : هذه العبارة : (قبر عمها حمزة رضي الله عنه ترمه وتصلحه ، وقد علمته بحجر وروى الحاكم عن علي أن فاطمة) .

٣ ــ رواه ابن شبّة في أخبار المدينة ، ج ١ ، ص ١٣٢ . وهو ضعيف بهذا السند لأن فيه : محمد ابن بكار . قال الذهبي : (مجهول) . ميزان الاعتدال ، ج ٣ ، ص ٤٩٢ . وفيه : سعد بن طريف : (قال ابن معين : لايحل لأحد أن يروي عنه . وقال ابن حبان كان يضع الحديث على الفور) . المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٢٢ ــ ١٣٣ .

٤ ــ محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي النيسابوري : من حفاظ الحديث العارفين بصحيحه وتمييزه عن سقيمه . وكان يقوم بدور السفارة بين ملوك بني بويه والسامانيين . ترجم له : ابن الجزري : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٨٤ . ومحمد بن جعفر الكتّاني : الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنّة ، بيروت : الناشر محمد بن السيد أحمد خرما ، ١٣٣٢ هـ (١٩١٣ م) ، ص ١٧ .

٥ ــ قال الذهبي في تلخيص المستدرك الذي هو ذيل المستدرك للحاكم : (منكر جداً . وسليمان الذي هو أحد رواته ضعيف) ج ١ ، ص ٣٧٧ .

٦ ــ أحمد بن الحسين بن علي ، نسبة إلى بيهق من أعمال نيسابور : من أئمة الحديث ، توفي عام ٤٠٨ هـ (١٠٦٥ م) ، ترجم له : ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملك والأمم ، ج ١ ، ص ٢٤٢ . وابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ، تصحيح عبد الحليم خان ، حيدر آباد : مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م) ، ج ١ ، ص ٢٢٦ .

٧ ــ لم يرد ذكر هذا الحديث في سنن البيهقي . وقد رواه ابن شبّة في أخبار المدينة ، ج ١ ، ص ١٣٢ . وهو ضعيف بهذا السند لأن فيه رجل مبهم : (حدثنا أبو غسان قال : حدثنا عبد الله بن نافع عن أسامة بن زيد الليثي .. عن رجل حدثه ...) .

والمشهور أن الذين أكرموا بالشهادة يوم أُحد سبعون رجلاً (١) أفضلهم وسيدهم حمزة بن عبد المطلب . وروي أن مُصعب بن(٢) عُمَير دفن معه في قبر واحد ، وأن عبد الله بنِ جَحش (٣) معهما . قال السيد : والصحيح أنه ليس معه أحد في قبره ، وأنّ مصعباً وعبد الله دفنا بقربه ، فيسلم على الثلاثة في مشهد حمزة (٤) .

والمشهد عليه قبة عالية متقنة ، وبابه مصفح بالحديد ، وحوله بناء متسع فيه بئر ، وفيه أخلية للوضوء متصلة بالسطح . قال السيد : والقبر الذي عند رجلي سيدنا حمزة والذي بالصحن ليس من قبور الشهداء (٥) . وفي خارج المشهد (٦) بئر أخرى كبيرة ، وبازائها صفّة (٧) مسجد ، وتحته ماجل ماء يهبط إليه بدرج . وباب المشهد في سائر الأيام مقفل لايفتح إلا يوم الخميس يأتي القيم (٨) من المدينة بالقصد لذلك .

ولأهل المدينة موسم كبير في شهر رجب يحتفلون فيه بزيارة حمزة والشهداء رضي الله عنهم (٩) ، يأتي الناس إليه من أقطار الحجاز ، من مكة

---

١ ـــ البخاري : الجامع الصحيح ، كتاب المغازي ، ج ٥ ، ص ٣٨ .
٢ ـــ في (ج) : ابن .
٣ ـــ صحابي من الأوائل الداخلين في الاسلام . وهو صهر رسول الله ﷺ ، أخو زينب أم المؤمنين رضي الله عنها ، كان من أمراء السرايا . وقد قتل يوم أُحد عام ٣ هـ (٦٢٤ م) . ترجم له أبو نعيم الأصبهاني : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠٨ . والمقريزي : امتاع الاسماع بما للرسول من الأبناء والحفدة والأمتاع ، تحقيق محمود محمد شاكر ، القاهرة : لجنة التأليف ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م) ص ٨٦ ، ١١٦ .
(١٩٤١ م) ، ص ٨٦ ، ١١٦ .
٤ ـــ هذا يتفق مع ماأورده السمهودي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠٨ .
٥ ـــ قال السمهودي في هذا الصدد : (واعلم أن القبر الذي بالمشهد عند رجلي حمزة رضي الله عنه قبر رجل تركي اسمه سنقركان متولي عمارة المشهد) ، المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٩٢٣ .
٦ ـــ في (ج) : المسجد .
٧ ـــ الموضع المظلل من المسجد . ابن منظور : المصدر السابق .
٨ ـــ أي المشرف على المشهد . المصدر نفسه .
٩ ـــ في الأصل : عنه ، وكذا في (ج) : والتصحيح من (أ) و (ب) .

واليمن [١] والطائف وينبع [٢] ، فيحشر هناك خلائق لايحصون يقاربون مايجتمع في موسم الحج . ويخرج أهل المدينة إلا القليل بأولادهم ونسائهم ويخرجون معهم المضارب [٣] الحسان والخيام الكبار . ويخرج أمراء المدينة وعسكرها ، وتنصب الأسواق العظيمة هنالك . يخرجون من أوائل رجب ، ويتلاحق الناس كل على قدر حاله فيتكامل خروجهم في اليوم الثاني عشر ، وهو اليوم المشهود عندهم ويوم الزينة . فلا يبقى بالمدينة إلا أهل الأعذار أو من شاكلهم .

ويحصل هنالك في تلك الليلة من أنواع اللهو والطرب واللعب أشياء كثيرة [٤] ، والرمي بالمدافع والمحارق [٥] ، ويبيت الناس طول ليلهم ويومهم في القراءة والزيارة حول القبر ، ويوقد هنالك من الشمع شيء كثير . وأصحاب شيخنا القشاشي هم المتولون لوظيفة القراءة حول القبر ، لاتنقطع القراءة الليل بأجمعه والنهار بتمامه ، وكبيرهم شيخنا الملا إبراهيم [٦] رضي الله عنه معهم لايفارق [٧] ذلك المحل . وكيفية القراءة أن تجتمع جماعتهم كلهم فيبدأ أحدهم فيقرأ جزءاً [٨] ويستمع الباقون ، فإذا فرغ من جزئه [٩] أخذ الذي يليه في القراءة والآخرون يستمعون ، ثم كذلك سائر الليل والنهار .

---

١ ـــ المقصود باليمن هنا البلاد الواقعة جنوبي الطائف . وهذا في عرف أهل الحجاز .

٢ ـــ الينبع : هكذا وردت في الأصل وفي النسخ . وقد قمت بتصحيحها في المتن حسب ماوردت في معجم البلدان لياقوت (ج ١ ، ص ٤٤٩) . واكتفيت بتصحيحها في الحاشية مرة واحدة . وتبعد ينبع عن المدينة المنورة بمائتين وستة وأربعين كيلاً . خريطة المملكة العربية السعودية ، ادارة المواصلات بالمدينة المنورة .

٣ ـــ باللهجة المغربية : الفرش .

٤ ـــ سقط من (ب) : كثيرة .

٥ ـــ اقامة مثل هذه المواسم من البدع التي لايقرّها الشرع .

٦ ـــ إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الشهرزوري الكوراني ، برهان الدين : محدث وفقيه ، توفي عام ١١٠١ هـ (١٦٩٠ م) ، ترجم له : أبو سالم العيّاشي : ماء الموائد (طبعة فاس الحجرية) ج ١ ، ص ٣٢٠ . والمرادي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥ .

٧ ـــ في (ب) : له يفارقهم .

٨ ـــ في (أ) : حزبه .

٩ ـــ في الأصل : حزبه ، وهكذا في النسخ .

لطيفة :

حكي لي أن بعض الفقهاء بالمدينة كان ينكر على أهل المدينة خروجهم إلى أُحد في رجب ويقول لهم : انّ ذلك من البدع المذمومة لما يحصل في ذلك من أنواع اللهو السرف في المطاعم وغيرها والتكلف في النفقات ، والخروج من المدينة بالأهل والأولاد والخيم الشبيه بشدّ الرحال (١) ، بل هو مع مافي ذلك من التشبّه بمواسم الحج في الهيئة واعتقاد القربة واعتياد يوم في السنة ، إلى غير ذلك من الأمور التي لاتوافق ظاهر الشرع . وكان ذلك الفقّيه لايخرج معهم إذا خرجوا ، ويشدّد النكير عليهم في ذلك . فبينما هو ذات يوم من الأيام ــ التي تهيأ الناس فيها للخروج ــ جالس في الروضة أو قريباً منها إذ غلبته عيناه فرأى النبي ﷺ وهو يدخل ويخرج من الحجرة ، ويقوم ويقعد كفعل المتهيء لسفر وأثاث السفر معدّة بين يديه .

فقال له : يارسول الله ماهذا الذي أرى ؟ أتريد الانتقال عنّا والخروج من المدينة ؟ قال : لا ، إنما نريد الخروج لزيارة عمّنا حمزة مع أهل المدينة ، أو كلاماً هذا معناه . فانتبه الفقيه من نومه ، وتهيأ للخروج مع الناس ، فعجبوا من ذلك وسألوه ، فأخبرهم بذلك (٢) .

ولابدع فانّ للنبي ﷺ تعلقا معنوياً ومرافقة روحانية لأمته في سائر شؤونهم وتقلباتهم ، فيهتم بما يهتمون به ويفرح بما يفرحون به ، ويسوءه ماساءهم . فما بالك بأهل مدينته الطيّبة المطيّبة ، وكل ذلك رحمة منه لهم ورأفة بهم وحناناً ولايمنعه من ذلك كون بعض شؤونهم قد يلابسها ويخالطها خلاف المشروع فقد كان ﷺ في حياته معهم على هذا الحال وفيهم المسيء والمحسن ، والطائع والعاصي ، بل المؤمن والمنافق . فيعلّم جاهلهم ، ويرشد ضالهم ، ويرفق بشرس (٣) الأخلاق منهم حتى ينقاد . ولم تحمله اساءتهم ولاعصيان بعضهم بل نفاقه على مفارقتهم والتخلّي عنهم ، إذ لو تخلّى عنهم لعوجل المسيء بالهلاك

---

١ ــ سقط من (أ) : بشدّ .

٢ ــ نُقل على علاّته ، وهو يصور عقلية الناس الخرافية في تلك الفترة .

٣ ــ في الأصل : بالشرس ، وكذا في (ج) وفي (ب) : بالشرس . والتصحيح من (ب) .

وخذل المطيع في طاعته ولم يبال الله بهم باله . فكذلك حاله أيضاً ﷺ مع أمته بعد موته وقد قال : « حياتي خير لكم ومماتي خير لكم » (١) الحديث فهو معهم ﷺ في كل أطوارهم وتقلباتهم بمدده الربّاني وسرّه الحقاني يستغفر لمسيئهم ويشفع له ، ويشهد لمحسنهم ويستوهب (٢) له من الله الزيادة لايخفى عليه شيء من أحوالهم ، ولايغفل عنهم طرفة عين في كل شؤونهم فلا تستبعد حضوره ﷺ بروحانيته في محافل المسلمين ومواسمهم ومحال اجتماعهم على أي حال كانوا،فلو فارقتهم روحانيته الشريفة طرفة عين لضلوا عن سواء الطريق(٣) ، ولهوت بهم الضلالة في مكان سحيق . فسبحان من منّ به على عباده ، وجعله برزخاً بينه وبين أهل وداده . فما أرأفه بنا من إله إذ جعله رسولاً إلينا ورحمة علينا . نسأله (٤) سبحانه أن لايخلينا من مدده طرفة عين ، آمين (٥) .

وتفهم من هذا مايحصل من الاجتماع العظيم في محال بعض الصالحين واشتماله على بعض المناكير ، ومع ذلك يحضره الأولياء أرباب القلوب من الصالحين ، فيشاهدون حصول مدده لكل زائر ، وسريان سرّه في سرّ كل (٦) حاضر . وذلك كمولد (٧) أحمد البدوي (٨) بمصر ، ومولد (٩) الامام الشافعي

---

١ ـــ حديث ضعيف أورده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة . ج ٢ ، ص ٤٠٤ .

٢ ـــ في (ب) : تستوهب .

٣ ـــ في (أ) : السبيل .

٤ ـــ فب الأصل : نسله .

٥ ـــ لقد سبق الكلام عن هذه الأفكار الصوفية في ص ٥٧ ـــ ٥٩ من هذه الرسالة .

٦ ـــ في (أ) : في كل سر .

٧ ـــ يقصد هنا : كما يحصل في الاحتفال بمولد أحمد البدوي بمصر .

٨ ـــ أحمد بن علي الحسيني البدوي : متصوف وصاحب شهرة في الديار المصرية ، دخل في سلك طريقته خلق كثير ، توفي عام ٦٧٥ هـ (١٢٧٦ م) ، ترج له : عبد الوهاب الشعراني المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٥٨ . وفنسنك وآخرون ، المصد السابق ، (الترجمة العربية) ، ج ١ ص ٤٦٥ ـــ ٤٧٢ .

٩ ـــ يعني هنا أيضاً مايحصل في الاحتفال بمولد الامام الشافعي .

وعند أبي مدين (١) ، وسيدي أبي يَعْزَى (٢) ، وسيدي أبي العباس السّبتي (٣) بأرض المغرب ، وعند مولاي عبد السلام بن مَشيش (٤) يوم المولد النبوي ، وغير ذلك من الأماكن الشهيرة المنسوبة لكثير من الأولياء شرقاً وغرباً فقد ذكر سيدي عبد الوهاب الشعراني في كثير من تآليفه عن جماعة من أهل الكشف أنهم يشاهدون النبي ﷺ في مولد سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه ، وأنه يحضره كل سنة مع اشتماله على أمور كثيرة لاتنبغي (٥) .

أخبرني شيخنا سيدي (٦) أبو مهدي عيسى الثعالبي عن بعض مشايخه أنّ سيدي عبد الوهاب الشعراني — رضي الله عنه — عزم مرة على التخلف عن مولد سيدي أحمد البدوي ، وأن لايذهب إليه لما يقع هنالك من المناكر . فلما عزم على ذلك وقرب الوقت رأى في النوم سيدي عبد العال خديم الشيخ

---

١ — شعيب بن الحسن الأندلسي التلمساني : من مشاهير الصوفية ، توفي عام ٥٩٤ هـ (١١٩٧ م) ترجم له : المليتي التلمساني . المصدر السابق ، ص ١٨ . وأحمد بابا التنبكتي : نيل الابتهاج بتطريز الديباج (طبع على هامش الديباج المذهب لابن فرحون) ، القاهرة : مطبعة السعادة ، ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) ص ١٢٧ .

٢ — يلنور بن ميمون : شيخ مغربي من أهل السوس له شهرة إلى الآن في الديار المغربية . ويقال أنه أول من استعمل البارود في المغرب . توفي عام ٥٧٢ هـ (١١٧٧ م) . ترجم له : أبو العباس العزفي : رسالة في كرامات الشيخ الولي الصالح أبي يعزى ، مخطوط الخزانة الملكية في الرباط ضمن مجموع : ٩٤٤٧ . وأحمد الشعيبي : المِعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى ، مخطوط الخزانة الملكية في الرباط ، رقمه : ٥١٧ .

٣ — أحمد بن جعفر الخزرجي : وليّ من الأولياء اشتهر بفضائله وكراماته . لكن شخصيته أحيطت بالكثير من الأساطير من قبل العامة في المغرب . ويقال أنه كان يقوم بالتدريس وينفق مايحصله من أجور التعليم على سدّ حاجات الطلاب الغرباء ، توفي عام ٩٠١ هـ (١٤٩٥ م) ، ترجم له : ابن الموقت المراكشي : تعطير الأنفاس في التعريف بالشيخ أبي العباس ، طبع على الحجر بفاس ، ؟ ، المَقري : نفح الطِّيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق احسان عباس ، ط ٥ بيروت : دار صادر للطباعة ، ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م) ج ٧ ، ص ٢٦٦ — ٢٧٩ .

٤ — متصوف مغربي اشتهر برسالة له تدعى الصلاة المشيشية ، توفي عام ٦٢٢ هـ (١٢٠٢ م) ، ترجم له : المليتي التلمساني : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٦ . عبد الله كنون : النبوغ المغربي في الأدب العربي ، تطوان : المغرب — المطبعة المهدية ، ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) ، ج ١ ، ص ١٥١ .

٥ — هذا افتراء على رسول الله ﷺ . وهو من الخرافات العالقة بأذهان بعض الصوفية . انظر ص ٥٨ من هذه الرسالة .

٦ — سقط من (ب) : سيدي .

سيدي أحمد وخليفته من بعده ، فقال مباسطاً : ياعبد الوهاب لاتنقطع عن زيارتنا ونحن نطعمك ملوخية (١) ، والملوخية عند أهل مصر والريف من أشهر الأطعمة التي لاكبير مؤنة فيها ، فلما استيقظ عزم على المشي وذهب ، فكان من الأمر الغريب الدال على صدق الرؤيا أنه ليلة وصوله لمكان الشيخ اتفق أنه لم يطبخ أحد تلك الليلة في الزاوية كلها ولا في القرى التي حولها إلا الملوخية فكانت طعامه وطعام أهل تلك الناحية كلها في تلك الليلة .

والحكايات الدالة على أمثال هذه كثيرة من انتصار الأولياء (٢) لمن أذى من حضر محالهم أو انتهك حرمتهم ولو كان من أوذي ممّن يستحق ذلك في بادىء الرأي . ومع هذا كله فلا يتّخذ هذا ذريعة إلى الاستهانة بإقامة الحدود على من وجبت عليه في تلك المحال ، وإلى التغافل عن ازالة المناكر الواقعة هنالك لمن قدر عليها ، وإلى التعامي عن ذلك ، بل التنبه لذلك والاشتغال به لمن عليه قدرة من أفضل القربات لمن حسنت (٣) نيته . ولا يمنعه من ذلك مايقع لبعض من تعاطى ذلك من الأمور التي هي كرامة لذلك الولي ؛ فإنّ ذلك في الغالب لايقع إلّا لمن لم تكن له نيّة صالحة في النهي عن المنكر وقصد بذلك إظهار نفسه أو تنقيص ذلك الولي . فإن فرض وقوعه لحسن النية فهو ممّا يزيده عند الله قربة ويقيم حرمة عبده المنسوب إليه المكان ، ولله في ذلك أسرار خفية لاتخفى عن أهل القلوب الصافية . وإلى مثل هذا التقرير كان يجنح شيخنا علامة الوقت سيدي عبد القادر بن علي الفاسي — رضي الله عنه — في من يأوي إلى قبور الصالحين من الجناة(٤) ، وقد يكون على أحدهم حدّ من الحدود لاينبغي اهماله . وان خرج من المحلّ كان في ذلك هضم لحرمة الولي واستهانة بقدره عند العامة . فليخلص من ابتلى بذلك عمله لله ، وليصدق الله في أمره ، فإن الله جاعل له من ذلك مخرجاً .

---

١ — أوراق خضراء وليست ثماراً تطبخ وتؤكل ، وهي تشبه الخبيز .
٢ — في (أ) و (ب) : أولياء الله .
٣ — في (أ) : حصلت .
٤ — في الأصل : الجنات . والتصحيح من النسخ .

رجوع وانعطاف إلى ماكنّا بصدده :

فقد طال بنا الكلام في هذه المسألة (١) ، ومع ذلك فهي من غُرر المسائل التي قلّ أن توجد في كتاب . فنقول : ومن الأماكن التي ينبغي زيارتها في أُحد قبور الشهداء سوى قبر حمزة ومن معه ، وأماكنهم ليست معلومة العين على التحقيق ، لكنها معلومة الجهة . فأما مُصعب بن عُمَير وعبد الله بن جَحش فيسلم عليهما (٢) في مشهد حمزة كما تقدم . وأما سهل بن قيس(٣) من بني سلمة فقبره دبر قبر حمزة شاميا بينه وبين الجبل ، وأما عمرو بن الجموح (٤) وعبد الله بن عمرو بن حرام (٥) ففي الموطأ أنهما في قبر واحد مما يلي السيل(٦). قال الواقدي(٧): ومع عمرو بن الجموح في القبر خارجة بن زيد (٨) ، وسعد بن الربيع (٩) ، والنعمان بن مالك (١٠)، وعبادة بن الحسحاس (١١). قال أبو غسان : وقبرهم مما يلي المغرب من قبر حمزة نحو

١ ــ في الأصل : المسلة . والتصحيح من النسخ .

٢ ــ في الأصل : عليهم . والتصحيح من النسخ .

٣ ــ صحابي من الأنصار ، شهد بدراً ، واستشهد في أُحد ٣ هـ (٦٢٤ م) ، ترجم له : ابن سعد المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٥٨١ . وابن الأثير أُسْد الغابة . ج ٢ ، ص ٣٦٩ .

٤ ــ صحابي كان في الجاهلية من سادات بني سلمة وأشرافهم ، استشهد يوم أُحد ، ترجم له : ابن هشام : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٩٦ و ١٣٢ . وابن الجوزي : صفة الصفوة ، ج ١ ، ص ٢٦٥ .

٥ ــ من أجلاء الصحابة وأحد النقباء الاثني عشر يوم العقبة ، شهد بدراً وقتل يوم أحد ، ترجم له ابن سعد : المصدرالسابق ، ج ٣ ، ص ٥٦١ .

٦ ــ مالك بن أنس : المصدر السابق ، كتاب الجهاد ، ص ٣٧ .

٧ ــ في كتابه مغازي رسول الله ﷺ ، القاهرة : مطبعة السعادة ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) ص ٢٤٠ .

٨ ــ صحابي ، شهد بدراً وقتل يوم أُحد ، ترجم له ابن سعد : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٥٢٤ وأبو نعيم الأصبهاني : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٥٢٤ .

٩ ــ من كبار الصحابة وأحد النقباء يوم العقبة ، شهد بدراً وأُحداً واستشهد في الغزوة الأخيرة ترجم له ابن سعد : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٦١٢ .

١٠ ــ صحابي من الأنصار ، شهد بدراً وقتل يوم أُحد ، ترجم له : ابن عبد البر : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٥٠٤ ، ابن حجر : الاصابة ، ج ٣ ، ص ٥٦٥ .

١١ ــ في الأصل وفي (ج) : عبد بن الحسحاس . وفي (أ) : عبد الله بن الحسحاس . وفي (ب) : عبد الحسحاس . وعبادة بن الحسحاس صحابي من البدريين ، استشهد يوم أحد ، ترجم له : ابن عبد البر : المصدر السابق : ج ٢ ، ص ٨٠٧ .

خمسمائة ذراع (١) . قال السيد : وقد تأملت فوجدت ذلك بالربوة التي غربي المسيل الذي هناك ، ومجرى العين بقربهم من القبلة (٢) . وقد روي أن أبا أيمن مولى عمرو بن الجموح (٣) معهم أيضاً ، وكذا خلاد بن عمرو بن الجموح (٤) . فيسلم على هؤلاء الثمانية هناك ، قال (٥) : وأما بقية الشهداء فلاتعرف قبورهم ، والذي يظهر أنها بقرب الموضع المذكور وقرب قبر حمزة رضي الله عن جميعهم ، وأسماءهم مذكورة عند أهل السير (٦) .

وفضل جبل أُحد على الجملة معلوم مشهور . فقد قال عليه السلام : « انه يحبنا ونحبه » (٧) ، وكان يأتيه ، وقال : « انه على باب من أبواب الجنة »(٨) وترابه يستشفى به (٩) ، قال الزركشي : (ينبغي أن يستثنى من منع(١٠) نقل تراب الحرم تربة حمزة رضي الله عنه أي المأخوذة من المسيل الذي به مصرعه لاطباق الخلف والسلف على نقلها للتداوي من الصداع(١١)

---

١ — هذا يتفق ما ماأورد ابن شبّة : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٩ .

٢ — لم يرد عند السمهودي ذكر هذا الكلام ، وهو — بلا شك — وهم من المؤلف .

٣ — سقط من (أ) : عبارة (معهم أيضاً وكذا خلاد بن عمرو بن الجموح) .

٤ — صحابي ، شهد بدراً واستشهد في أُحد ، ترجم له : ابن سعد : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٥٦٦ ، والذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ١ ، ص ٢٥٢ .

٥ — أي السمهودي .

٦ — عزا المؤلف هذا القول إلى السمهودي ، لكن لم يرد عنده ذكر ذلك .

٧ — أخرجه البخاري في جامعه الصحيح ، كتاب المغازي ، ج ٥ ، ص ٣٦ .

٨ — رواه ابن شبّة في أخبار المدينة ، ج ١ ، ص ٨٢ . وهو ضعيف بهذا الاسناد لأن فيه : محمد بن شعيب : (لايعرف ، ضعيف) . الذهبي : ميزان الاعتدال ، ج ٣ ، ص ٥٨٠ . وفيه يحيى ابن عبيد الله بن وهب التميمي : (قال ابن معين : ليس بشيء . وقال أحمد : أحاديثه مناكير وقال مرّة : ليس بثقة) ، المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٣٩٥ .

٩ — لم يرد فيه نص صحيح ، ولعله من مخلفات الصوفية .

١٠ — في (ج) : منع من .

١١ — بعد الرجوع إلى «أعلام الساجد بأحكام المساجد» للزركشي لم يستثني من منع نقل تراب الحرم تربة حمزة كما توّهم العياشي . ومن ذلك قوله : (يحرم نقل تراب حرم المدينة أو حجاره إلى الخارج عن حرم المدينة ، ولايجوز أخذ الأكر والأباريق المعمولة من ترابها ، جزم به النووي في شرح المهذب) تحقيق مصطفى المراغي ، القاهرة : لجنة إحياء التراث الاسلامي ١٣٨٥ هـ (١٩٦٤ م) ، ص ٢٤٥ .

قال السيد : وتربة صُعَيْب (1) أولى بذلك (2) . وللطبراني أن رسول الله ﷺ قال لأُحد : « هذا جبل يحبنا ونحبه على باب من أبواب الجنة ، وهذا عَيْر جبل يبغضنا ونبغضه على باب من أبواب النار » (3) ، وعَيْر (4) جبل كبير على يسار ذي الحُلَيْفة (5) وأنت خارج من المدينة . وهو يقابل أُحد إلى ناحية مكة من المدينة ، وأُحد إلى ناحية الشام / .

قلت : وحدثني من أثق به عن بعض مشايخه أنه كان يقول في وجه محبته ﷺ لأُحد وبغضه لعَيْر أنّ أُحداً من ناحية الشام ، وهي مساكن اليهود ، وهم أعدى عدوّه ، وأُحد حائل بينه وبينهم ، ولأحب إليك ممن يحول بينك وبين عدوك . وأن عَيْراً من ناحية مكة ، وهي وطنه ﷺ ومسقط رأسه ، ومحل البيت الحرام ، وهي (6) أحب البلاد إليه ــ عليه السلام ــ كما دل عليه حديث : « انك لأحب بلاد الله إليّ ، ولولا أني أخرجت منك ماخرجت » (7) ولما حال عَيْر بينه وبين محبوبه أبغضه إذ لأبغض ممّن يحول بين المرء وبين ماأحبه .

قلت : وفي هذا التوجيه نظر لاشتراك الجبلين في الحيلولة بينه وبين أعدائه فقد سوّى الله بين اليهود والذين أشركوا في عداوة المؤمنين فقال تعالى :

١ ــ في الأصل وفي (ج) و (ب) : صهيب . والتصحيح من (أ) .
وصعيب موضع بالمدينة فيه حفرة يؤخذ من ترابها فيجعل في الماء ويغتسل به من الحمى . الفيروز بادي : المغانم المطابة ، ص ٢١٨ .

٢ ــ هذا يتفق ما مأأورد السمهودي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٩ .

٣ ــ رواه ابن شبّة في أخبار المدينة ، ج ١ ، ص ٨٣ . وهو ضعيف بهذا السند لأن فيه : عبد العزيز ابن عمران . أنظر ص ٨٩ من هذه الرسالة . وقد ذكره الهيثمي في مجمعه بسند آخر وقال : (رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، وفيه عبد المجيد بن أبي عبس لينه أبو حاتم ، وفيه من لم أعرفه) ج ٤ ، ص ١٣ .

٤ ــ يقع جبل عير على تمام الكيلو الخامس في طريق المدينة ــ مكة . وهو أسود طويل ، صخره لاينبت .

٥ ــ قرية بينها وبين المدينة اثني عشر كيلاً ، وهي ميقات أهل المدينة . وتسمى في الوقت الحاضر بآبار علي والمحرم .

٦ ــ في (ب) : وهو .

٧ ــ أخرجه الدّارمي ، في سننه ، القاهرة : دار إحياء السنة النبوية ، ؟ ، ص ٢٣٩ . وقال الألباني في صحيح الجامع الصغير للسيوطي : (حديث صحيح) ط ٢ ، دمشق ، المكتب الاسلامي ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) ج ٦ ، ص ١٠٣ .

﴿ لتجدنّ أشدّ الناس عداوة ﴾ الآية (١) . وقد علم أن مضرّة المشركين لأهل المدينة أقوى من مضرّة اليهود مع الاشتراك في العداوة لضعف اليهود وقلتهم وذلّهم (٢) ، وأكبر ضررهم كيدهم (٣) بالقول بخلاف المشركين فقد غزوا المدينة مراراً عديدة .

قال السيد : وسمي أُحداً لتوحده وانقطاعه عن جبال أخرى هنالك أو لما وقع من أهله من نصر التوحيد (٤) ، ولااسم أحسن من اسم مشتق من الأحدية بخلاف عير الذي هو اسم الحمار المذموم أخلاقاً .

والحبّ في أُحد من الجانبين حقيقة كما صححه النووي (٥) وغيره ، ولذا كان من جبال الجنة إذ المرء مع من أحب . ولامانع من وضع الحبّ فيه كما وقع التسبيح من الجبال وقد خاطبه ﷺ مخاطبة من يعقل فقال لما اضطرب : « اسكن أُحداً » (٦) . ولاينكر وصف الجماد بحب الأنبياء كما حنت الاسطوانة لمفارقته ﷺ حتى سمع القوم حنينها (٧) .

ومما ينبغي لزائر أُحد أن يأكل شيئاً من نباته . فقد روي عن زينب بنت نبيط (٨) وكانت تحت أنس بن مالك أنها كانت ترسل ولائدها فتقول : اذهبن

---

١ ــ والآية بالتّمام : ﴿ لتجدنّ أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والّذين أشركوا ، ولتجدنّ أقربهم مودّة للّذين آمنوا الذين قالوا انّا نصارى ، ذلك بأنّ منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لايستكبرون ﴾ الآية ٨٢ من سورة المائدة .

٢ ــ في (ج) : ذلتهم .

٣ ــ في الأصل ، وفي (ب) : أكيدهم ، وفي (أ) و (ج) : وكيدهم . ولعل الصواب ماأثبت في المتن كما يبدو من السياق .

٤ ــ أورد ابن شبة في أخبار المدينة (ج ١ ، ص ٨٥) أنّ أحداً كان يسمى في الجاهلية عنقد .

٥ ــ يحيى بن شرف الحوراني النووي : علامة في الفقه والحديث ، توفي عام ٦٧٦ هـ (١٢٧٧ م) ، ترجم له : ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة : دار الكتب المصرية ١٣٤٨ ــ ١٣٧٥ هـ (١٩٢٩ ــ ١٩٥٦ م) ، ج ٧ ، ص ٢٧٨ . وابن عطية الشبراخيتي : الفتواحات الوهبية بشرح الأربعين حديثاً النووية ، القاهرة : المطبعة الحميدية ١٣٦١ هـ (١٨٩٨ م) ، ص ٢ .

٦ ــ الحديث بكامله : « اسكن أُحداً ــ أظنه ضرب برجله ــ فليس عليك إلّا نبي وصدّيق وشهيدان » البخاري : الجامع الصحيح ، كتاب أصحاب النبي ﷺ ، ج ٤ ، ص ٢٠٤ .

٧ ــ أخرجه البخاري : المصدر نفسه ، كتاب المناقب ، ج ٤ ، ص ١٧٣ .

٨ ــ ذكرها ابن سعد من ضمن النساء اللواتي لم يروين عن رسول الله ﷺ وروين عن أزواجه وغيرهن.

إلى أُحد فأتينني من نباته ، فإن لم تجدن إلا عضاها (١) فأتينني به ؛ فإن أنس ابن مالك قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « هذا جبل يحبنا ونحبه » . قالت زينب : فكلوا من نباته ولو من عضاهه (٢) . قال : وكانت تعطينا منه قليلاً قليلاً فنمضغه .

قلت : وقد أكلنا من نباته بعدما توقفنا في ذلك لكون جوانبه القريبة داخلة في حريم (٣) الشجر فلا يقطع نباتها (٤) . ولأجل قصد (٥) التبرّك قلدنا في ذلك من يبيحه من العلماء ، وهو مذهب الحنفية .

لطيفة :

قد وقع البحث بين الطائفة المالكية ونحن بالمدينة عمّا يقطع من نبات الحرم المنتفع به للأكل كالخبيز وغيره ، فإنّه يؤتى به ويباع في الأسواق ، فهل يحلّ للمالكي ومن لايرى جواز ذلك شراؤه وأكله ؟ فكنت أميل إلى الجواز إذا كان القاطع لذلك والبائع له ممّن يرى جواز ذلك في مذهبه لأنّه فعل مايسوغ له شرعاً ؛ لأنا نقول باصابة كل مجتهد وإن كنا نرى أن غيره أصوب . والممنوع عندنا إنما هو قطعه ، فلو وجد الانسان شيئاً منه مقطوعاً بنفسه من غير أن يكون له سبب في قطعه جاز له الانتفاع به . وهذا بعد القطع ووصوله إلى الأسواق بوجه سائغ . لمتناول ذلك صار في حقنا كالمقطوع بلا سبب إذ لاسبب لنا في قطعه . ولايقاس النبات في صيد المحرم الذي هو ميتة لظهور الفرق بين الصيد والنبات ، والاجماع على حرمة صيد المحرم ، والخلاف في نبات حرم المدينة . ولو فتح باب الامتناع من الشراء منهم لأدى ذلك إلى فساد كبير وحرج في المعاملات بالامتناع عن ذبائحهم ، والشراء منهم والبيع لهم لوقوع الخلاف بين الأئمة في فروع كثيرة من الذبائح والصيد وأبواب الربا ،

---

١ ــ العضاه : كل شجرة جاورت البقول كان لها شوك أو لم يكن . ابن منظور : المصدر السابق .

٢ ــ قال الهيثمي : « قلت : هو في الصحيح باختصار . رواه الطبراني في الأوسط وفيه كثير بن زيد ، وثقه أحمد ــ يعني ابن حنبل ــ وغيره وفيه كلام » . المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٣ ــ ١٤ .

٣ ــ ماحُرِّم فلم يُمسّ . ابن منظور : المصدر السابق .

٤ ــ في (ج) : نباته .

٥ ــ سقط من (أ) : قصد .

فيمنع البعض مايجيزه غيره . فلو كنّا لانشتري إلا ممّن يتقي الربا على مذهبنا ويشترط في الصيد والذبيحة واللقطة مانشترطه (١) لأدى ذلك إلى ضيق وحرج وتضليل بعض الأمة (٢) لبعض ، وهو بعيد من نظر الشارع . فلمّا صحّ لنا الاقتداء به في الصلاة صحّ لنا أيضاً في غيرها (٣) ممّا يقع فيه الارتباط بين الفعلين ؛ فإن البيع حقيقة متوقف حصوله (٤) على وجود فعل فاعلين من بائع ومشتر ، فلا يشترط في صحته إلاّ كون فعل كذا واحد منهما موافقاً للمشروع في مذهبه ومعتقده . وكذلك صلاة المأموم متوقف صحتها على وجود فعل فاعلين هما الامام والمأموم . فإذا فعل كلّ (٥) منهما ماتصحّ به الصلاة في مذهب إمامه صحت الصلاة ، ولا يلزم كون الإمام فاعلاً لما تصح به الصلاة في مذهب المأموم على المذهب المشهور . وتحقيق هذه المسألة (٦) سنذكره إن شاء الله في الرسالة التي عزمنا على جمعها في مسألة (٧) اقتداء المالكي بحنفي يصلي في الحِجر وسميناها (رفع الحَجر عن الاقتداء بإمام الحِجْر (٨)) . وبعد أن كتبت هذا رأيت في نوازل البرزلي مايدلّ على أن اجتناب مثل ذلك من الورع ، وتشتد به الكراهة عند بعد المأخذ ونص ماذكر . وقد سئل اللخمي (٩) عن تناول مااختلف فيه الفقهاء كشافعي رأى مالكياً غصب طعاماً فنقله أو عقد عقداً فاسداً في عين وخلطها وقال : ملكت ذلك على مذهبي ، فهل ملكه ملكاً صحيحاً لا شبهة عليه فيه

---

١ ـــ في (ج) : ما تشترطه .

٢ ـــ في (أ) : الأئمة .

٣ ـــ في (ج) : غيرهما .

٤ ـــ في الأصل : حصولها . وكذا في النسخ .

٥ ـــ في (أ) : كلمات زائدة : واحد بعد كلّ .

٦ ـــ في الأصل : المسلة .

٧ ـــ في الأصل : المسلة .

٨ ـــ هو حِجْر إسماعيل الذي يوجد بجوار الكعبة .

٩ ـــ علي بن محمد الربعي القيرواني أبو الحسن المعروف باللخمي : فقيه مالكي ، عالم بالأدب والحديث ، توفي عام ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م ، ترجم له : ابن فرحون : المصدر السابق، ص ٢٠٣ . والسراج الوزير : الحلل الهندسية في الأخبار التونسية ، تونس : مطبعة الدولة التونسية ، ١٢٨٧ هـ / ١٩٧٠ م ، ص ١٤٣ .

أم لا ؟ وهل يجوز للشافعي أن يعامله بالشراء منه والأكل له أم لا ؟ فأجاب : لاينبغي لمن قلّد الشافعي أن يفعل ذلك . وهذا مما يتأكد فيه الورع وان قلّد مالكياً في هذا وأمثاله فلا بأس به ، وانّ كان شافعياً فقلّد المالكي في هذا . ولعل هذا ممّا تشتد (١) فيه الكراهة لبعد المأخذ فيه ، فظاهره أن العزيمة في هذا أرجح من الرخصة إلّا أن يقول ان هذا ممّا تعارض فيه الحظر والاباحة فالورع تركه .

قلت : فقد ظهر مِنْ:لاينبغي ، ومن قوله : مما يتأكد فيه الورع ، أن ذلك سائغ لا ممنوع ، وهذا كله إذا لم نقل بجواز التقليد للمذاهب المخالفة مع القول بصحتها . وأما ان قلنا به (٢) وهو قول / جمّ غفير من المحققين منهم عز الدين بن عبد السلام (٣) فقد ارتفع الاشكال واتضح المقال .

ومن فضائل أُحد ماروي عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً أن موسى وهارون عليهما السلام أقبلا حاجين فمرا بالمدينة فخافا من يهود ، فخرجا مستخفيين فنزلا أُحداً ، فغشي هارون الموت ، فقام موسى فحفر له ولحد له (٤) ثم قال : ياأخي أنت تموت ، فقام هارون فدخل في لحده فقبض ، فحثى عليه موسى التراب (٥) . قال السيد : وهناك شِعْب يعرف بشِعْب هارون

١ ـــ في الأصل : يشتد . وكذا في (أ) و (ج) ، والتصحيح من (ب) .

٢ ـــ في (ج) : وأما قلنا به .

٣ ـــ عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي الدمشقي ، عز الدين الملقب بسلطان العلماء : فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد . وكان زاهداً لايهاب سلطاناً في حق يقوله ، توفي عام ٦٦٠ هـ (١٢٦٢ م) ، ترجم له أبو شامة : الذيل على الروضتين ، تحقيق محمد زاهد بن الحسن الكوثري القاهرة : مكتب نشر الثقافة الاسلامية ، ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م) ، ص ٢١٦ . السبكي : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٨٠ .

٤ ـــ في الأصل : لحد . وكذا في النسخ . وصححت ليستقيم المعنى .

٥ ـــ أ ـــ رواه ابن شبّة في أخبار المدينة (ج ١ ، ص ٨٥) . وهو ضعيف بهذا السند لأن فيه رجل مبهم لم يذكر اسمه : (قال أبو غسان ـــ محمد بن يحيى الكناني ـــ وأخبرني عبد العزيز الداوردي عن رجل من الأنصار..)

ب ـــ يقول السمهودي في هذا الشأن : (بأُحد شعب يعرف بشعب هارون يزعمون أن قبر هارون عليه السلام في أعلاه ، وهو بعيد حساً ومعنى . وليس ثم مايصلح لاخراج التراب) ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٩٣٠ .

ج ـــ ذكر محمد على الصابوني في : النبوة والأنبياء أن وفاة هارون كانت في أرض التيه قبل ←

يزعمون (١) أنه بأعلاه ، وهو بعيد جدّاً (٢) . وبأعلى (٣) الجبل بناء اتخذه بعض الفقراء قريباً (٤) .

قلت : وقد شهدت هذا البناء يوم طلوعنا إلى الجبل في الرجبية (٥) ، وهي صورة مسجد قريب منه موضع معد لماء المطر ، وهو في قُنَّة (٦) الجبل في مكان عال مشرف على المدينة المشرفة وماحولها من البقاع فيه نزهة للناظرين خصوصاً وقت طلوعنا إليه في فصل الربيع . وبعض الناس يسمون تلك القبة قبة هارون وقد أخبرني بعض الناس بأن بانيها رجل كان يتعبد هناك واسمه هارون فسميت به . ولم تزل إلى الآن يتعاهدها الناس للعبادة والخلوة وما أولاها بذلك فقد وجدت بقلبي عند الوقوف بها والصلاة هناك مالامزيد عليه من الحلاوة والتلذذ بالعبادة ، وكيف لا ومستقبل القبلة فيها يكون الحرم (٧) النبوي بين يديه ، والقبة الشريفة بين عينيه ، وبقاع المدينة المشرفة كلّها تلقاءه ، ومكّة اتجاهه حتى أنه ليخيل إليه أنه مشرف على الحرمين الشريفين وما بينهما وما فيهما من الأماكن المشرفة . وعلى كل حال لم أر مكاناً ينشرح فيه الصدر ويصفو القلب من الأكدار وتتجلى فيه عظمة الربوبية وجلالة النبوة كهذا (٨)

— دخول بني إسرائيل أرض فلسطين ، ط ٢ ، دمشق : مكتبة الغزالي ، ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) ص ٢٧٢ .

د — مما تجدر الاشارة إليه أننا لانملك نصوصاً تاريخية تخوّلنا أن نتحدث عن اليهود حديثاً علمياً بتعيين المواضع التي نزلوا فيها ، وفي أي عهد كان ذلك ومن قادهم إلى تلك الأنحاء . ولايستبعد أن تكون مثل هذه الرواية من وضع الأخباريين أو يهود تلك المنطقة لاثبات أنهم ذوي حسب ونسب عريق في تلك الأرض .

١ — في (أ) : يزعم .

٢ — عند السمهودي : وهو بعيد حسّاً ومعناً ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٩٣٠ .

٣ — في الأصل : بأعلا . وكذا في (أ) و (ج) . والتصحيح من (ب) .

٤ — هذا يتفق مع ماأورد السمهودي : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٩٣٠ . يلاحظ أن هناك نقصاً في العبارة . وربما قصد المؤلف أنّ هذا البناء الذي يوجد بأعلى أُحد قد اتخذه بعض الفقراء في وقت قريب مسكناً له .

٥ — موسم كبير يقام في ضواحي المدينة بمناسبة ذكرى الاسراء والمعراج في ليلة السابع والعشرين من رجب . أنظر ص **٢٣٩** من هذه الرسالة .

٦ — في النسخ : قبة ، وهو خطأ . وقنّة الجبل أعلاه . ابن منظور : المصدر السابق .

٧ — في (ب) : بالحرم .

٨ — في (أ) : هكذا .

المكان . ويقرب منه في ذلك جبل حراء (١) وجبل ثور (٢) بمكة كما سيأتي عند ذكرنا لهما .

وكان طلوعنا لجبل أُحد يوم الأربعاء الثاني عشر من رجب (٣) ، وكان ذلك عند إبلال (٤) من مرض ، فحصل لنا من التعب مالم نر مثله قبله ولابعده. ولكن بعد طلوعنا إليه ووصولنا إلى المحلّ المذكور لم نحسّ بشيء من ذلك لاستلذاذنا بذلك (٥) المنظر البهي ، والمحل السمي (٦) . وفي أصل الجبل غار يزعمون أن النبي ﷺ اختفى فيه ، ولايصح ذلك . ففي مسند أحمد عن ابن عباس رضي الله عنه : وجال المسلمون جولة نحو الجبل ، ولم يبلغوا حيث يقول (٧) الناس الغار ، إنما كانوا (٨) تحت المهراس (٩) . وفي أعلى الشِّعْب عند مضيقه من حيث يُشرع في الصعود للجبل الموضع المسمى بالمهراس وهي مواضع منقورة في الجبل بين صخور عظيمة يجتمع فيها المطر قلما تخلو(١٠) منه . وقد وجدنا بها مياه(١١) كثيرة ، وجلسنا هنالك برهة في ظل بارد وماء مسكوب ، وشربنا من مائه (١٢) وتوضأنا . ومنه غسل جرحه ﷺ يوم

١ــ جبل من جبال مكة كان النبي ﷺ يتعبد في غار منه ، وفيه نزل عليه الوحي . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ . ويعرف اليوم بجبل النور .

٢ ــ جبل من جبال مكة . ياقوت : المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٨٦ . وللاحاطة ، هناك جبل صغير بالمدينة يحمل هذا الاسم أيضاً ، ويقع شمال أُحد على بعد ثمانية أكيال من الحرم النبوي .

٣ ــ من عام ١٠٧٣ هـ (١٦٦٢ م) .

٤ ــ في الأصل : إيلال . وكذا في (أ) و (ب) . والتصحيح من (ج) .

٥ ــ في الأصل لاستلذاذنا لذلك . وكذا في (ب) و (ج) وفي (أ) : لاستلذاذنا ذلك .

٦ ــ في الأصل : الشهي ، وكذا في (أ) ، والتصحيح من (ب) و (ج) .

٧ ــ في الأصل : يقال . وكذا في النسخ . والتصحيح من مسند أحمد (طبعة دار المعارف) ج ٤ ص ٢١٠ .

٨ ــ في الأصل : كان . وكذا في النسخ . والتصحيح من مسند أحمد (طبعة دار المعارف) ج ٤ ص ٢١٠ .

٩ ــ هذا يتفق مع ماأورد أحمد بن حنبل ، المصدر نفسه (طبعة القاهرة) ، ج ٤ ، ص ٢١٠ .

١٠ ــ في (ج) : تخلوا .

١١ ــ في الأصل : مياها ، وكذا في النسخ .

١٢ ــ سقط من (ب) : من مائة .

أُحد كما في الصحيح (١) وقد أخذنا (٢) من نبات ذلك الجبل المبارك وأزهاره ضغثاً (٣) أكلنا بعضه واستصحبنا (٤) بعضه معنا إلى بلادنا . وتحت المهراس بقليل موضع يقال أنه موضع الصخرة التي نهض ﷺ ليعلوها ، وجلس طلحة (٥) تحته رضي الله عنه . وقال ابن هشام في السيرة : بلغني عن ابن عباس أن النبي ﷺ لم يبلغ الدرجة المبنية في الشِّعب (٦) أي فليست هي الصخرة المذكورة .

ومن المساجد التي تزار بأحد (٧) المسجد اللاصق بأُحد على يمينك وأنت ذاهب في الشّعب للمهراس ، وهو صغير منهدم . قال السيد : والناس يسمونه مسجد الفسح (٨) ، ويقولون انّ فيه نزلت : ﴿ ياأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسّحوا ﴾ الآية (٩) . ويقال أن النبي ﷺ صلّى فيه الظهر والعصر يوم أحمد بعد انقضاء القتال (١٠) . وعن رافع بن خديج (١١) أنّ النبي ﷺ

١ ــ البخاري : الجامع الصحيح ، كتاب المغازي ، ج ٥ ، ص ٣٨ .

٢ ــ في (ب) : وأخذت .

٣ ــ الضغث : كل ماملأ الكف من النبات مما له ساق . ابن منظور : المصدر السابق .

٤ ــ في (ب) : أصحبنا .

٥ ــ طلحة بن عبيد الله ، الصحابي المعروف ، ترجم له ابن سعد : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢١٤ . وابن الأثير : أسد الغابة ، ج ٣ ، ص ٦٢ .

٦ ــ هذا يتفق مع ماروآه ابن هشام : المصدر السابق ، (طبعة دار الجبل ، ١٣٩٠ هـ (١٩٧٥ م) ج ٣ ، ص ٣٣ .

٧ ــ مما تجدر الاشارة إليه أن أكثر المساجد بأحد انهدّت ولم يبق لها أثر .

٨ ــ كذا في الأصل والنسخ ، وعند السمهودي : القبيح . المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٨٤٨ . ويبدو أن ماذكره المؤلف هو الأصحّ لانطباقه مع سياق الآية .

٩ ــ والآية بالتّمام : ﴿ ياأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسّحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل لكم انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ، والله بما تعملون خبير ﴾ الآية ١١ من المجادلة . قال السمهودي في شأن هذا المسجد : ولم أقف على أصل ذلك . المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٨٤٨ .

١٠ ــ قال السمهودي : (رواه المطري ، وكأنه لم يقف فيه على شيء) . المصدر السابق ، ج ٣ ص ٨٤٨ .

١١ ــ صحابي من الأنصار ، شهد أُحداً والخندق ، توفي بالمدينة عام ٧٤ هـ (٦٩٣ م) . ترجم له ابن الأثير : أسد الغابة ، ج ٢ ، ص ١٥١ .

صلّى في المسجد الذي بأُحد في شعب الحرار [١] على يمينك لازق بالجبل [٢] .

قلت : وبين هذا المسجد [٣] وبين مشهد حمزة في البيداء التي هناك مسجد / صغير مبني بالحجارة المنحوتة مرتفع عن الأرض أقل من قامة يصعد إليه بدرج غير مسقف ولامرتفع الحيطان يقال له مسجد الثنية [٤] ؛ واحدة ثنايا الأسنان ، يقال انّ فيه كسرت رباعيته ﷺ [٥] .

وحوله كان نزولنا لمّا خرجنا مع أهل المدينة المشرفة في الرجبية ، وبتنا هنالك في أرغد عيش وألذه . فيا لها من ليلة لو بيعت بجميع العمر لكان البائع مغبوناً ، ولو وزنت بليالي الشباب لرجحت ، بل ولو كان الموزون بها درّاً ثميناً . وهذا المسجد لم يذكره السيد السمهودي ــ رضي الله عنه ــ [٦] .

ومن المساجد التي تزار بأُحد مسجد ركن جبل عينين [٧] الشرقي على قطعة من الجبل . وهذا الجبل في قبلة مشهد سيدنا حمزة رضي الله عنه ، وهو الجبل الذي كان عليه الرماة يوم أحد . وموضع المسجد هو المكان الذي طعن فيه حمزة رضي الله عنه . وقد روي عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ صلى الظهر يوم أُحد على عينين الظّرب [٨] الذي بأُحد عند القنطرة [٩] . قال السيد : يعني بالقنطرة قنطرة العين التي كانت هناك قديماً .

---

١ ــ في الأصل : الخرار ، وكذا في النسخ . والتصحيح من السمهودي : المصدر السابق ، ج ٣ ص ٨٤٨ .

٢ ــ في الأصل : بالجبال ، وكذا في (ج) ، والتصحيح من (أ) و (ب) . والخبر رواه السمهودي المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٨٤٨ .

٣ ــ في (أ) : المشهد .

٤ ــ يبعد هذا المسجد عن الحرم النبوي بكيل واحد تقريباً .

٥ ــ قال السمهودي : (كل ذلك مقالات يذكرها أهل المدينة لم يرد بها نقل) ، المصدر السابق ج ٣ ، ص ٨٤٨ .

٦ ــ وهم من المؤلف لأن السمهودي ذكره . المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٨٤٨ .

٧ ــ جبل أحمر يكاد يكون في تشكيله في الأرض مثل المثلث ، ويعرف بجبل الرماة . يبعد عن الحرم بنحو أربعة أكيال .

٨ ــ جبل بأُحد . السمهودي : المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ١٢٧٥ .

٩ ــ رواه ابن شبة في أخبار المدينة ، ج ١ ، ص ٧٠ ، وهو ضعيف بهذا السند لأن فيه ابن أبي

ومن المساجد بأُحد أيضاً مسجد الوادي على شفيره شامي جبل عينين قريباً من المسجد قبله يقال أنه مصرع حمزة رضي الله عنه ، وأنه مشى بطعنته من الموضع الأول إلى هذا فصرع [٢] . وقد روي أن حمزة رضي الله عنه لمّا قتل أقام في موضعه تحت جبل الرماة . ثم أمر به النبي ﷺ فحمل من بطن الوادي [٣] . ويسمى هذا المسجد أيضاً بمصلّى رسول الله ﷺ . قال السيد : وتسميته بالمصلى ؛ إمّا لكونه موضع مصلّى الصبح على ماجاء في غزوة أُحد أنه ﷺ صلى بأصحابه الصبح بموضع القنطرة وعليهم السلاح ، يعني قبل القتال[٤] . وإما لما ورد من صلاته ﷺ على حمزة [٥] .

ومن المساجد أيضاً مسجد السابلة [٦] ــ وهي الطريق اليمنى الشرقية إلى مشهد حمزة رضي الله عنه ــ يقال أنه مسجد أبي ذرّ الغفاري رضي الله عنه [٧] . وروى البيهقي في شعب الإيمان [٨] عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه كان برحبة المسجد ، فرأى النبي ﷺ خارجاً من الباب الذي يلي

ــ يحيى . أنظر ص ١١٢ من هذه الرسالة . وفيه راوي مجهول : (حدثنا ابن أبي يحيى عمّن سمع كبشة بن الحارث) .

١ ــ هذا يتفق مع مأأورده السمهودي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٨٤٩ .

٢ ــ قال السمهودي : (وقول من قال : ان الأول ــ أي الموضع ــ طعن مكان حمزة والثاني صرع فيه فوقع لم يثبت فيه أثر ، وإنما هو قول مستفيض) . المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٨٤٨ .

٣ ــ هذا يتفق مع رواية ابن شبّة : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٥ ــ ١٢٦ .

٤ ــ هذا يتفق مع مأأورده السمهودي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٨٤ .

٥ ــ لكن الثابت في الصحيح أن النبي ﷺ لم يصلي علي شهداء أحد : (عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أُحد في الثوب الواحد ، ثم يقول : « أيهم أكثر أخذاً للقرآن ؟ » فإذا أشير له إلى أحد قدّمه في اللّحد ، وأمر بدفنهم بدمائهم ، ولم يصلّ عليهم ، ولم يغلسوا) . البخاري : الجامع الصحيح ، كتاب المغازي ، ج ٥ ، ص ٣٩ . وأفرد البيهقي في السنن الكبرى باباً رد فيه على من زعم أنه صلى ﷺ على شهداء أُحد . حيدر آباد : مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) ، ج ٤ ، ص ١٢ .

٦ ــ في الأصل : السافلة . وكذا في النسخ . والتصحيح من السمهودي : المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٨٤ .

٧ ــ يبعد عن الحرم بكيل ونصف تقريباً . قال السمهودي : (ولم يُرو ــ فيه ــ نقل يعتمد عليه) المصدر السابق نفسه ، ج ٣ ، ص ٨٥١ .

٨ ــ كتاب في شعب الإيمان ، وهي بضع وسبعون شعبة . حاجي خليفة : المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٠٤٧ .

المقبرة ، فخرج على أثره ، فدخل حائطاً (١) من الأسواف (٢) فتوضأ ثم صلى ركعتين ، فسجد سجدة أطال فيها ، وأن النبي ﷺ قال له (٣) : ان جبريل عليه السلام بشرني أنه من صلى عليّ صلى الله عليه ، ومن سلم عليّ سلم الله عليه (٤) . وفي بعض طرقه ذكر السجود فقط وقال : (فسجدت لله شكراً (٥)) . قال السيد بعد نقله لما تقدم : الأسواف قريبة من محل هذا المسجد ، فلعله مسجد السجدة المذكورة (٦) .

قلت : وفي الطريق إلى أُحد أيضاً عند آخر النخل مسجد صغير محوط عليه بأحجار يقال أن النبي ﷺ جلس فيه للاستراحة بعد الرجوع من أُحد ، ولم يذكره السيد رحمه الله (٧) .

ومن المساجد التي ينبغي زيارتها والصلاة فيها مساجد مصلّى الأعياد التي صلّى النبي ﷺ العيد فيها . وقد ورد أنه صلّى العيد في أماكن متعددة ، والمشهور منها الآن ثلاثة كلها غربي المدينة خارج باب المصري بين الموضع المعروف بالمناخة (٨) وبُطحان . أحدها (٩) يسمى مسجد مصلّى العيد (١٠) ، والآخر ينسب لعلي رضي الله عنه ، والآخر لأبي بكر رضي الله عنه (١١) ، قال السيد : ولعل سبب نسبتها إليهما كونهما صلّيا فيه العيد ، أبو بكر في خلافته

---

١ ــ بستان من النخل . ابن منظور : المصدر السابق .
٢ ــ موضع شامي البقيع . السمهودي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١١٢٥ .
٣ ــ سقط من (ب) : له .
٤ ــ أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ، مخطوط الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، رقمه : ٣١٧ ص ٢٦٥ كما رواه أحمد في مسنده . قال المحقق ــ أحمد شاكر ــ : اسناده صحيح (طبعة القاهرة) . ج ٣ ص ١٢٩ .
والمقصود من النص أن جبريل عليه السلام أوحى إلى الرسول ﷺ بذلك أثناء سجوده .
٥ ــ هذا يتفق مع ماأورده السمهودي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٨٥١ .
٦ ــ هذا يتفق مع مقالة السمهودي : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٨٢ .
٧ ــ لم يرد عند السمهودي ذكر هذا المسجد كما قال المؤلف .
٨ ــ موضع بالقرب من الحرم النبوي يحمل في الوقت الحاضر هذا الاسم نفسه .
٩ ــ في (ب) : أحد .
١٠ ــ يعرف اليوم بمسجد الغمامة .
١١ ــ في الأصل : رضي الله عنهما . وكذا في (أ) و (ج) ، والتصحيح من (ب) .

وعلي لمّا حصر عثمان رضي الله عنه ، وإلا فيبعد (١) أن يصليا في غير مصلّى النبي عليه السلام (٢) . وروي عن أنس أن رسول الله ﷺ خرج إلى المصلّى يستسقي فبدأ بالخطبة ، ثم صلى وقال (٣) : « هذا مجمعنا ومستمطرنا ومدعانا لعيدنا فطرنا (٤) وأضحانا (٥) ، فلا يبنى فيه لبنة على لبنة (٦) ولاخيمة » (٧) .

وقد حمل بعضهم قوله عليه السلام : « مابين بيتي ومصلاي روضة من رياض الجنة » على مصلّى العيد ، فتتسع الروضة ، وفضل الله أوسع .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : كان النبي ﷺ إذا قدم من سفر فمرّ بالمصلى استقبل القبلة ووقف يدعو (٨) . وحق هذا المسجد أن يقدم ذكره أول المساجد ولكن اقتضى تأخيره إلى هنا .

---

١ ــ في (ج) : يبعد .

٢ ــ هذا يتفق مع ماأورد السمهودي : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٧٨٤ .

٣ ــ في (أ) : سقط حرف الواو من : قال .

٤ ــ في (أ) : زاد الناسخ حرف الواو قبل : فطرنا .

٥ ــ في الأصل : لعيدنا ولفطرنا ولأضحانا . وكذا في (أ) و (ج) . والتصحيح من (ب) .

٦ ــ سقط من (ب) : على لبنة .

٧ ــ رواه ابن شبّة في أخبار المدينة ، ج ١ ، ص ١٣٥ . وقد ورد عند البخاري في جامعه الصحيح أن النبي ﷺ كان يخرج إلى المصلى للاستسقاء فيبدأ بالخطبة ثم يصلي . كتاب الاستسقاء ، ج ٢ ص ١٦ . لكن بقية ماجاء : « هذا مجمعنا ومستمطرنا » .. إلى آخر الحديث ، فقد أورد البخاري مايخالفه من بناء الدور في المصلى : (عن عبد الرحمن بن عابس قال : سمعت ابن عباس قيل له : أشهدت العيد مع النبي ﷺ ؟ قال : نعم ، ولولا مكاني من الصغر ماشهدته حتى أتى العَلَم الذي عند دار كُثَيْر بن الصلت ثم خطب ...) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٨ . وعلق الشارح ــ ابن حجر العسقلاني ــ على ذلك قائلاً : والتعريف بمكان المصلى ، وأنّ تعريفه بكونه عند دار كُثَيْر بن الصلت على سبيل التقريب للسامع ، وإلّا فدار كُثَيْر بن الصلت محدثة بعد النبي ﷺ) فتح الباري ، ج ٢ ، ص ٤٦٥ .
وممّا يلاحظ أن ذلك يدلّ على الجواز ، إذ لو نهى النبي ﷺ عن اتخاذ الدور في المصلى كما جاء في الحديث المذكور في النص ، لما قام كُثَيْر بن الصلت ببناء بيته عند المصلى .

٨ ــ ورد في الجامع الصحيح للبخاري : (كان النبي ﷺ إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلّى فيه) كتاب الصلاة ، ج ١ ، ص ١١٤ .

وهذا آخر القول في المساجد المعلومة العين بالمدينة وأطرافها . وقد زرناها كلها والحمد لله خصوصاً ماكان منها بطريق أحد أو بطريق قباء .

فقد تعدد مجيئنا إلى المحلين[1] مراراً كثيرة ، فنمر على ماكان بالطريق منها . وقد تبعت السيد رحمه الله في ذكر ماورد في فضائلها ، وتعيين أماكنها وأساميها القديمة ، وهو القدوة في ذلك وكلامه المعول وهو جدير بأن يقتدى به في ذلك، فقد جمع من ذلك وحرّر مالم يحرره غيره — رضي الله عنه — / .

١ — في (ج) : المجلس . وهو وهم من الناسخ .

ذكر الآبار التي ورد أنّ النبي ﷺ تفل فيها أو شرب من مائها أو توضأ فيها ، فاكتسبت بذلك فضلاً على غيرها ، فصارت مقصودة بالزيارة والاستشفاء بمائها :

ولم نذكر منها إلا مازرناه وشربنا من مائه ، وهي سبعة :

أولها : بئر أَرِيس (١) كجليس نسبة إلى رجل من اليهود اسمه أريس ، وهو الفلاح بلغة أهل الشام (٢) . وفي الصحيح خبر خروج رسول الله ﷺ وأن أبا موسى الأشعري خرج في أثره حتى دخل بئر أريس وتوسّط قفّها (٣) وكشف عن ساقيه ، وأنّ أبا بكر جاء ثم عمر ففعلا مثل ذلك ، ثم جاء عثمان وبشر الجميع بالجنة (الحديث بطوله) (٤) . وفي الصحيح أيضاً أن خاتم النبي ﷺ كان في يد أبي بكر ، ثم في يد عمر ، ثم في يد عثمان حتى سقط منه في بئر أريس فنزحت (٥) فلم يوجذ (٦) .

وأما مااشتهر علي الألسنة أن النبي ﷺ تفل فيها ، فقد قال العراقي (٧) في تخريج أحاديث الأحياء : لم أقف له على أصل . قال السيد : ومن الغريب

---

١ ـــ يبعد مكانها عن مسجد قُباء بنحو خمسين متراً ، وقد تم دفنها . ومعنى أريس لغة الأكار أو المزارع. الفيروز بادي : القاموس المحيط . (فصل الهمزة ، باب السين) القاهرة : المطبعة الحسينية ١٣٣٠ هـ (١٩١١ م) .

٢ ـــ هذا يتفق مع ماأورد الفيروزبادي : المغانم المطابة ، ص ٢٥ ـــ ٢٦ .

٣ ـــ في (أ) : فيها . وقفّ البئر ماأحاط بها من بناء أو نحوه . ابن منظور : المصدر السابق .

٤ ـــ البخاري : الجامع الصحيح ، كتاب المناقب ، ج ٤ ، ص ١٩٢ .

٥ ـــ في الأصل : فنزح ، وكذا في النسخ . والصحيح ماأثبت في المتن .

٦ ـــ في (أ) : ثم .

٧ ـــ عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن ، أصله من الكرد ومولده في رزنان من أعمال اربل بالعراق : من كبار حفاظ الحديث ، توفي عام ٨٠٦ هـ (١٤٠٣ م) ، ترجم له : السيوطي : حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة : ص ٢٠٤ ؛ السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ١٧١ .

قول العزّ بن جماعة (١) في منسكه (٢) : قد صح أن النبي ﷺ تفل فيها (٣). وهذه البئر في حديقة غربي مسجد قُباء قريباً منه (٤) ، وماؤها غزير يسنى منه إلى بركة في الحديقة . وفي هذه الحديقة أنواع الفواكه والأشجار ، وبها عنب كثير قلّما يدخل أحد للزيارة في وقت العنب إلا ويشتريه ويأكله فيها (٥) حتى ظن بعض العوام أن ذلك من القربات . وأهل المدينة يقصدون هذه الحديقة للقائلة والتفرج وقد جعل لمائها نفقاً من أسفلها على وجه الماء حتى يتصل ماؤها بالبئر التي يقال لها العين الزرقاء (٦) ، وهي في حديقة أخرى قريبة من بئر أريس . وهي بئر كبيرة قد أمدّت بمياه آبار متعددة منها بئر أريس ، فصارت متبحرة يشخب فيها ميزابان عظيمان من مياه غيرها من الآبار ، فاتُّخذت لها أسراب تحت الأرض إلى أن خرجت إلى بطحان ، ثم إلى غربي المدينة فقُسّمت جداويل ، فأدخل منها إلى المدينة ماحتيج إليه ، فأُظهرت داخل المدينة في مناهل متعددة ، وبني لها بناء متقن يهبط إليها في نحو ثلاثين درجة محكمة البناء ، متقنة الرّصف ، واسعة الممشى ، منها يستقي أهل المدينة كلهم لشربهم . والذي رأيت منها ثلاثة مواضع : أحدها شرقي المسجد بينه وبين باب البقيع في المكان المسمى الآن بالحرّة (١) ، والآخر خارج باب السلام في الناحية الغربية عند سوق المدينة بالبلاط ، والآخر شامي المسجد بعيداً منه إلى ناحية باب الشامي (٢) .

---

١ ـــ محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز الحموي الأصل المصري الشافعي ، ويعرف بعز الدين بن جماعة : فقيه ، أصولي ، محدث ، متكلم ، أديب ونحوي ، تتلمذ على يد ابن خلدون ، توفي عام ٨٦١ هـ (١٤١٣ م) ترجم له : السيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، القاهرة : مطبعة السعادة ، ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) ص ٢٥ ـــ ٢٧ . والسخاوي : الضوء اللامع ، ج ٧ ص ١٧١ .

٢ ـــ كتاب في الفقه على المذاهب الأربعة اسمه : هداية المسالك أو مناسك ابن جماعة . حاجي خليفة : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٨٢٩ .

٣ ـــ هذا يتفق مع ماأورده السمهودي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٩٧٤ .

٤ ـــ سقط من (ب) : منه .

٥ ـــ في الأصل : فيه ، وكذا في النسخ .

٦ ـــ سبق الكلام عنها في ص ١٠٠ من هذه الرسالة .

وأما خارج المدينة فأُخرجت في محال متعددة أيضاً ، ثم لم تزل تقرب من وجه الأرض قليلاً كلما (٣) انحدرت في أرض المدينة إلى أن خرجت على وجه الأرض قريباً من الغابة (٤) شرقي مسجد رومة بينه وبين أحد ، وعليها هنالك مزارع . وقد رأيت جدولاً منها قريباً (٥) من مسجد الراية في طريق ذباب يهبط إليه في نحو ثلاث درج . وهذه العين المباركة من أغزر العيون وأحلاها ماء وألذه بها جلّ انتفاع أهل المدينة ، ومنها كل السبيلات الموقوفة بالمدينة ، ومنها تملى الدوارق (٦) التي توضع في الحرم الشريف للشرب . وهي لاتكاد تحصى كثرة فما أعظم بركتها وأوسع نفعها ! ولقد شاهدت من يستشفي (٧) بمائها فيشفى وقد حملنا بعض مائها / للاستشفاء . ولله در القائل :

لئن قيل في زرق العيون شآمة   فعندي أن اليمن في عينها الزرقاء

وتسميتها بالعين الزرقاء من لحن العامة . وصوابه عين الأزرق لأن مروان (٨) الذي أجراها لمعاوية كان أزرق العينين ، فلقب بالأزرق . وكان اجراؤه لهذه العين بأمر معاوية لمّا ولّاه المدينة . وكان لمعاوية رضي الله عنه اهتمام بذلك ، فأجرى بالمدينة وماحولها عيوناً كثيرة قد (٩) دثرت كلها ، ولم يبق إلا هذه العين المباركة . وقد اعتني بشأنها من قبل السلطان ، ولها

---

١ ــ في الأصل : الحارة . وكذا في (أ) و (ج) . والتصحيح من (ب) .

٢ ــ في (أ) : الشام .

٣ ــ في (أ) : كما .

٤ ــ كانت في الماضي أرضاً ذات شجر متكاثف . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٨ .
أما في الحاضر فهي عبارة عن مزارع تقع غربي أُحد وتبعد عن المدينة باثني عشر كيلا تقريباً وقد دخلت تحت مسمى العيون .

٥ ــ في الأصل : قريب . وكذا في (أ) . والتصحيح من (ب) و (ج) .

٦ ــ مفرده دورق ، وهو اناء للشراب . ابن منظور : المصدر السابق .

٧ ــ في (ج) : يستشفا .

٨ ــ مروان بن الحكم من خلفاء الدولة الأموية ، حكم الفترة فيما بين (٦٤ ــ ٦٥ هـ / ٦٨٣ ــ ٦٨٤ م) : الطبري : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٥٣٠ .

٩ ــ سقط من (ب) : قد .

أمير معلوم وله خدام ، يتفقّد أحوالها على مرّ الأزمنة ويصلح ماوهي منها ، ولولا ذلك لدثرت كغيرها من العيون . قال الواقدي : وكانت بالمدينة على زمن معاوية صواف[1] كثيرة ، وكان يجد [2] بالمدينة وأعراضها مائة ألف وسق [3] وخمسين ألف وسق ، ويحصد مائة ألف وسق حنطة [4] . فهذا الذي كان يجده معاوية وحده فما بالك بما كان لغيره من الرعايا ووجوه الناس . فقد كان للصحابة وأبنائهم رضي الله عنهم في ذلك الزمان ضياع وقرى ومزارع كثيرة بالمدينة وماحولها . وماأظن هذا العدد الذي كان يستغّل لمعاوية بالمدينة فقط يستغّل في زماننا هذا من أرض الحجاز كلّها مع سعة أقطارها ، ماعدا نجد فإن بها زراعات كثيرة .

وبهذا نعلم نسبة زماننا هذا إلى الأزمنة الماضية في سعة الأرزاق وكثرة الخلق مع أنّ اهتمامهم في ذلك الوقت بالدين كان أكثر من اهتمامهم بالدنيا ، فأنت ترى كيف انبساطها عليهم . وأمّا الآن فالاهتمام كله بالدنيا ، ولم يبق من الاهتمام بالدّين إلا مانسبته إلى الاهتمام بالدنيا نسبة الفلك الأعظم إلى الجزء الذي لايتجزأ . وهذا أعظم دليل على قرب انقراض الدنيا واستبدال عمرانها بالخراب وأنهارها بالسراب فإنما عمرانها إنما هو بأسباب الدين والدنيا ، وأنت ترى ماآل إليه أمرهما معاً . فنسأل الله تعالى الخروج من الدنيا بلا محنة ولابدعة آمين .

١ — في الأصل : صوافي ، وكذا في النسخ .
وتعني هنا الضياع التي يستخلصها السلطان لخاصته . وللصوافي معنى آخر ، وهي الحملات التي كان يجردها المسلمون صيفاً لمهاجمة الأراضي البيزنطية . ابن منظور : المصدر السابق .
٢ — من أجدّ أي حان حصاده . المصدر نفسه .
٣ — في صدر الاسلام كان الوسق حمل البعير . والوسق ستون صاعاً أي ٢٥٢ لتراً أو ١٩٤٫٣ كيلوغراماً من القمح . هنتس : للمصدر السابق ، ص ٧٩ .
٤ — لم يقل المؤلف أين ذكر الواقدي ذلك حيث أن هذا الأخير خلف كتباً كثيرة منها المفقود والمخطوط والمطبوع .

غريبة :

قال السيد : ومن الغرائب ماذكره الميورقي [١] في فضل الطائف [٢] عن شيخ الخدام بدر الشهابي [٣] أنه بلغه أن ميضاة [٤] وقعت في عين الأزرق بالطائف فخرجت بعين الأزرق بالمدينة [٥] .

قلت : ولعل هذه الحكاية وأمثالها هي السبب في اعتقاد كثير من جهلة الحجّاج أن العين الزرقاء أصلها من مكة ، وأنها هي التي جاءت إلى مكة من ناحية عرفة من جبال وراءه . ويقولون أنه لمّا هاجر النبي ﷺ من مكة تبعته فهي التي ظهرت بمرّ الظهران[٦] ثم بخليص [٧] ، ثم ببدر [٨] ، ثم بالخيوف [٩] كلّها إلى أن وصلت المدينة . ويصممون على ذلك حتى انّي رأيت بعض من هو معدود من الفقهاء يعتقد ذلك ، فقلت له كما قأل الامام

---

١ ـــ أحمد بن علي العبدري : مؤرخ ينتمي إلى المذهب المالكي ، أصله من المغرب وتوفي بالطائف عام ٦٧٨ هـ (١٢٨٠ م) . ترجم له الزركلي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٧٥ .

٢ ـــ كتاب يسمى بهجة المهج في بعض فضائل الطائف ووجّ . حاجي خليفة : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٥٩ .

٣ ـــ عزيز الدولة ريحان البدري الشهابي ، شيخ خدام الحرم الشريف ، توفي عام ٦٩٧ هـ (١٢٩٧ م) راجع : المطري : المصدر السابق ، ص ٥٨ .

٤ ـــ ولعلّ المقصود وعاء للوضوء .

٥ ـــ هذا يتفق ما مأأورد السمهودي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٢٧٢ .

٦ ـــ واد قرب مكة عنده يقال لها مرّ تضاف إلى هذا الوادي فيقال مرّ الظهران . ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ، ص ٦٣ . ويطلق عليه حالياً وادي فاطمة ، وفيه مايزيد على أربعين قرية . البلادي : المرجع السابق ، ج ٨ ، ص ١٠٠ :

٧ ـــ حصن بين مكة والمدينة قديماً . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٨٧ . أما حالياً فخليص واد كثير الماء والزرع يقع شمال مكة على بعد مائة كيل . وفيه ثلاثون قرية ، وعدد سكانه يقرب من ثلاثين ألفاً . البلادي : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٤٩ .

٨ ـــ حالياً قرية عامرة من قرى الحجاز بأسفل وادي الصفراء على مائة وستة وخمسين كيلاً من المدينة وعليها الطريق العامة بين مكة والمدينة . وبها مدارس وفروع لوزارات عديدة ، ومرافق أخرى المرجع نفسه ، ج ١ ، ص ١٨٩ .

٩ ـــ لعله تحريف من المؤلف إذ لم أعثر على مكان في طريق بدر بهذا اللفظ ، وإنما ورد بحذف الواو أي الخيف . وهي حالياً قرية بوادي الصفراء عند المضيق من الغرب في طريق بدر ، وتبعد عن المدينة بمائة وخمسة أكيال . المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٨٠ ـــ ١٨١ .

أبو بكر بن العربي (١) ــ رضي الله عنه ــ في مسألة الصلاة على النجاشي (٢) ــ حيث قال بعضهم رفع له حتى رآه فصلى عليه ــ أن الله على ذلك لقدير ، وأن نبيّنا لأهل لذلك . وفيما صح من معجزاته ﷺ والآيات (٣) الظاهرة على يديه غنية عن انتحال مالاأصل له. وبطلان كون هذه (٤) العين من مكة أوضح من أن يذكر ، فإنه لم يكن في زمنه ﷺ بعرفة ولا بمكة ولا بالمدينة عين تذكر على هذا النعت ولا مايقرب منه ، وإنما أجريت هذه العيون بعد ذلك بأزمان / .

الثانية : بئر البُصَة (٥) بضمّ الموحّدة ، وتخفيف الصّاد المهملة كما هو الدائر على ألسنة أهل البلد . وقال المجد (٦) صاحب القاموس : انه بالتّشديد كأنّه من : بصّ الماء بصاً : رشح ، قال : وان روي بالتخفيف فمن : وبص يبص وبصة كوعد يعد وعداً وعدة إذا بلغ ، أو من : وبص لي من المال : أي أعطاني (٧). فقد روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يأتي الشهداء وأبنائهم ، ويتعاهد عيالاتهم . فقال : فجاءني يوماً فقال : « هل عندك من سدر أغسل به رأسي ؟ فانّ اليوم الجمعة » قلت : نعم . فأخرجت له سدراً ، وخرجت معه إلى البصة ، فغسل رسول الله ﷺ

---

١ ــ محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الاشبيلي المالكي : قاض مجتهد من حفاظ الحديث ، صنف في الفقه والأصول والتفسير والتاريخ والأدب ، وولي قضاء اشبيلية ، ومات عام ٥٤٣ هـ (١١٤٨ م) ترجم له : ابن بشكوال : الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم ، مدريد : مطبعة روخس ، ١٣٠١ هـ (١٩٨٣ م) ، ص ٥٣١ . والمقري : نفح الطيب ج ١ ، ص ٤٣٠ .

٢ ــ ملك الحبشة ، واسمه أصحمة ، توفي في حياة الرسول ﷺ فصلّى عليه بالناس صلاة الغائب حيث قال ــ عليه السلام ــ : « مات اليوم رجل صالح ، فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة » وهذا لفظ البخاري في كتاب المناقب في جامعه الصحيح ، ج ٤ ، ص ٢٤٦ . والمتقي الهندي : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال . تحقيق صفوت السقا حلب : سوريا ــ المطبعة العربية ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م) ج ١٤ ، ص ٣٣ .

٣ ــ في (ج) : الآية .

٤ ــ في (ب) : هذا .

٥ ــ هذه البئر نضب ماؤها ، وموقعها في بستان يبعد عن الحرم بخمسمائة متر تقريباً عند تقاطع شارع الستين مع شارع باب العوالي .

٦ ــ مجد الدين الفيروزبادي .

٧ ــ هذا يتفق مع ماأورد الفيروزبادي في القاموس المحيط (فصل الباء ، باب الصاد) وفي المغانم المطابة ص ٣٠ .

رأسه وصبّ غسالة رأسه ومراقة (١) شعره في البصة (٢) . وهذه البئر قريبة من البقيع على طريق قُباء في حديقة نخل على طريق بطحان وماؤها أخضر .

وهناك بئر صغير قال المطري : والناس يختلفون فيهما أيتهما بئر البصة والصغرى هي التي تلي أُطْم مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري (٣) . ورجح السيد أنها الصغرى حاكياً عن غيره في الأطم المذكور أنه الذي يقال لبئره البصة قال : والكبرى لاتنسب للأطم لبعدها منه . وقد ابتنى بقرب الصغرى مسجد واتخذ لها درج ينزل إليها منه (٤) . وقد شربنا من مائها مراراً ، وتوضأنا ، واغتسلنا ، والمنة لله وحده .

الثالثة : بئر بُضاعة (٥) بضم الموحدة على المشهور ، وحكي كسرها ، وفتح الضاد المهملة وأهملها بعضهم ، وبالعين المهملة ، ثم هاء ، غربي بيرحا (٦) إلى جهة الشمال . فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : قيل لرسول الله ، انه يُستقى لك من بئر بضاعة وهي يطرح فيها مايكره من النتن فقال : « الماء لاينجسه شيء » (٧) . وفي رواية : « إلا ماغلب على ريحه

---

١ ـــ مانتف من الشعر . ابن منظور : المصدر السابق .

٢ ـــ ورد في أخبار المدينة المنورة لابن النجار . مكة : مطابع دار الثقافة ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) ج ١ ، ص ٤٦ . وهو ضعيف بهذا السند لأن فيه : محمد بن الحسن بن زبالة : (قال أبو داود : كذاب . وقال يحيى : ليس بثقة . وقال النسائي والأزدي : متروك . الذهبي : ميزان الاعتدال ج ٣ ، ص ٥١٤ .

٣ ـــ هذا يتفق مع مقالة المطري : المصدر السابق ، ص ٥٨ .

٤ ـــ في الأصل : فيها إليها ، وكذا في (أ) و (ج) . وفي (ب) بها إليها ، والتصحيح من السمهودي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٩٥٥ .

٥ ـــ تقع هذه البئر في الحي المعروف ببضاعة حالياً داخل وقف الأشراف . وقد نضب ماؤها ، وتبعد عن الحرم بخمسمائة متر تقريباً .

٦ ـــ سيأتي ذكرها إن شاء الله .

٧ ـــ رواه النسائي في سننه ، ؟ ، القاهرة : المطبعة المصرية بالأزهر ، ؟ ، ج ١ ، ص ١٧٣ . وقال الترمذي في سننه : هذا حديث حسن ، ج ١ ، ص ٩٦ . ومعنى لاينجسه شيء أي مادام لايغيّره.
وقد ذكر حَمْد بن محمد الخطابي البستي (ت ٣٨٨ هـ ـــ ٩٩٨ م) في معالم السنن كلاماً جيداً عن حديث بضاعة : (قد يتوهم كثير من الناس إذا سمع هذا الحديث أنّ هذا كان منهم عادة ـــ يعني الصحابة ـــ وأنهم كانوا يأتون هذا الفعل قصداً وتعمداً . وهذا مالايجوز أن يظن بذمي ، بل بوثني فضلاً عن مسلم . ولم يزل من عادة الناس قديماً وحديثاً مسلمهم وكافرهم

وطعمه ولونه (١) . وعن سهل بن سعد (٢) : بصق النبي ﷺ في (٣) بُضاعة وسقيته بيدي منها (٤) . وعن سهل بن سعد أيضاً : بئر بُضاعة قد بصق النبي ﷺ فيها ، فهي ينتشر (٥) بها ويتيمّن (٦) . قال المجد في الخبر : انّ النبي ﷺ أتى بئر بُضاعة ، فتوضأ من الدلو وردّها إلى البئر ، وبصق فيها . وكان إذا مرض المريض في أيامه يقول : أغسلوني من بئر بُضاعة ، فيغسل كأنما أنشط من عقال (٧) . وقالت أسماء بنت أبي بكر : كنّا نغسل المرضى (٨) من بئر بضاعة ثلاثة أيام فيعافون (٩) .

← تنزيه المياه وصونها عن النجاسات ، فكيف يظن بأهل ذلك الزمان ، وهم أعلى طبقات أهل الدين وأفضل جماعة المسلمين ، والماء في بلادهم أعز والحاجة إليه أمس — أن يكون هذا من صنيعهم وامتهانهم له — وقد لعن رسول الله ﷺ من تغوط في موارد المياه ومشارعه ، فكيف من اتخذ عيون الماء ومنابعه رصداً للأنجاس ومطرحاً للأقذار . هذا مالايليق بحالهم ، وانّما كان هذا من أجل أن هذه البئر موضعها في جدور من الأرض ، وأنّ السيول كانت تكسح هذه الأقذار من الطرق والأفنية وتحملها فتلقيها فيها . وكان الماء لكثرته لايؤثر فيه وقوع هذه الأشياء ولايغيّره فسألوا رسول الله ﷺ عن شأنها ليعلموا حكمها في الطهارة والنجاسة ، فكان من جوابه : « أن الماء لاينجسه شيء » يريد الكثير منه الذي صفته صفة ماء هذه البئر في غزارته وكثرة جمامه — من جمّ الماء : اجتمع — لأن السؤال انما وقع عنها بعينها ، فخرج الجواب عليها) حلب : المطبعة العلمية ، ١٣٥١ هـ (١٩٣٢ م) ج ١ ، ص ٣٧ — ٣٨ .

١ — رواه البيهقي في السنن الكبرى في باب (نجاسة الماء الكثير إذا غيرته النجاسة) . ج ١ ، ص ٢٥٩ وكذلك أخرجه السيوطي في ضعيف الجامع الصغير . وقال المحقق : (ناصر الدين الألباني) حديث ضعيف ، ط ٢ ، ص بيروت : المكتب الاسلامي ، ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) ، ج ٢ ص ٢٩ .

٢ — من مشاهير الصحابة في المدينة . وقد روى مائة وثمانين حديثاً . توفي عام ٩١ هـ (٧٠٩ م) ترجم له : ابن عبد البر : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٦٤ . والسخاوي : التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، القاهرة : مطبعة السنّة المحمدية ، ١٣٧٩ هـ (١٩٥٧ م) ، ج ٢ ص ٢٥٠ .

٣ — في (ب) : كلمة زائدة : البئر .

٤ — أخرجه البيهقي في سننه ، وقال : (هذا الحديث إسناده حسن موصول) ج ١ ، ص ٢٥٧ .

٥ — من النّشرة وهي رقية يعالج بها المريض والمجنون . ابن منظور : المصدر السابق .

٦ — أخرجه الهيثمي في مجمعه وقال : (رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات) ج ٤ ، ص ١٣ .

٧ — في الأصل : كأنما نشط من عقال ، وكذا في النسخ ، وهو غير صحيح . ابن منظور : المصدر السابق . وكأنما أُنشط من عقال يطلق على المريض أو المغشي عليه إذا برأ . المصدر نفسه .

٨ — في (ج) : المرضا .

٩ — هذا يتفق مع ماأورد الفيروزبادي : المغانم المطابة ، ص ٣٢ .

قلت : وقد كنت أيام مرضي بالمدينة [١] أبعث إلى مائها فأغتسل به فأجد الراحة . والبئر في حديقة كبيرة ذات نخل أقرب أبواب المدينة إليها باب الشامي عن يمين الخارج منه قليلاً ، وحولها مسجد وبركة وماء .

الرابعة : بَيْرُحا [٢] بفتح الموحدة وكسرها ، وبفتح الراء وضمها ، وبالمد فيهما وبفتحهما ، والقصر فيعلى من البراح ، وهي الأرض المنكشفة . وقيل بئر أضيف إلى حاء من حروف الهجاء ، وهو اسم رجل أو امرأة أو مكان .

وخبرها في الصحيح ، وأنّها كانت مستقبلة المسجد ، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب [٣] . وهي اليوم في حديقة صغيرة قريباً [٤] من سور المدينة شماليه بينهما الطريق ، وأقرب أبواب المدينة إليها باب البقيع ، وهي بينه وبين باب الشامي . قال السيد : والظاهر أن بعضها اليوم داخل السور [٥] . وقد دخلتها والحمد لله مراراً ، واستصحبنا شيئاً من زرع تلك الحديقة المسقي بمائها .

الخامسة : بئر رومة [٦] بضم الراء ، وبالهمزة ودونه . وفي الحديث : « نعم القليب قليب المزني » [٧] ، فاشتراها عثمان ، فتصدق بها [٨] . وورد أيضاً : « نعم الحفيرة حفيرة المزني » [٩] يعني رومة . وعنه ﷺ : « من

---

١ ـــ في (أ) : بمدينة .
٢ ـــ تبعد عن الحرم النبوي مسافة أربع وثمانين متراً من جهة باب عثمان ، وقد نضب ماؤها ، وهي الآن تحت دكان تباع فيه المواد الغذائية .
٣ ـــ البخاري : الجامع الصحيح ، كتاب الوصايا ، ج ٣ ، ص ١٩٢ .
٤ ـــ سقط من (ب) : قريباً . وفي (ج) : قريب .
٥ ـــ هذا يتفق مع ماأورد السمهودي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٦٤ .
٦ ـــ تسمى بئر عثمان ، وتقع حالياً في بستان ينسب إليها من أوقاف المسجد النبوي . وقد أوشك ماؤها على النضوب بعد حفر بئرين أرتوازيتين قريباً منها . وتبعد عن الحرم بحوالي خمسة أكيال عن طريق سلطانة .
٧ ـــ أخرجه ابن شبة في أخبار المدينة ، ج ١ ، ص ١٥٤ . وهو ضعيف بهذا السند لأن فيه مجاهيل إذ جاء فيه قوله : (قال محمد بن يحيى ـــ الكتاني ـــ : (وأخبرني غير واحد من أهل البلد) بدون تعيين الراوي .
٨ ـــ هذا يتفق مع رواية ابن سعد : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٠٦ .
٩ ـــ الحديث السابق نفسه .

يشتري رومة فله مثلها في الجنة » (١) . وكان الناس لايشربون منها إلّا بثمن (٢) ، فاشتراها عثمان ، فجعلها لله / . وكانت لرجل من غفار (٣) أو مزينة (٤) أو ليهودي اسمه رومة ، فنسبت إليه . وهي بئر جاهلية روي أنّه استقى منها لتبّع (٥) لمّا نزل بقناة (٦) . وهي بأسفل العقيق قرب مجتمع الأسيال . ولم أزر هذه البئر إلا مرّة واحدة لبعدها . والطريق إليها على مساجد الفتح ، ثم يعدل يساراً إلى ناحية مسجد القبلتين ، ثم يمرّ تحته أسفل منه قاصداً العقيق . فهي هناك ، وبقربها مزارع . ولما خرجنا لزيارتها وكان ذلك عقب

١ ــ أخرجه البخاري بلفظ آخر : قال النبي ﷺ : « من يحفر بئر رومة فله الجنة » الجامع الصحيح كتاب مناقب أصحاب النبي ﷺ ، ج ٤ ، ص ٢٠٢ . وقال السمهودي : (قال ابن بطال في الكلام على رواية البخاري قوله : (فحفرها عثمان) وهم في بعض الروايات ، المعروف أن عثمان اشتراها لا أنه حفرها . قال الحافظ ابن حجر عقبه : المشهور في الروايات كما قال ، لكن يتعين الوهم ، فقد روى البغوي في الصحابة من طريق بشر بن بشير الأسلمي عن أبيه قال : لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء ، وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها رومة ، وكان يبيع القربة منها بمدّ ، فقال له رسول الله ﷺ : « بعنيها بعيون في الجنة » . فقال : يارسول الله ليس لي وعيالي غيرها ، ولاأستطيع ذلك . فبلغ ذلك عثمان فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم ثم أتى النبي ﷺ فقال : أتجعل لي مثل الذي له عيناً في الجنة ان اشتريتها ؟ فقال : « نعم » قال : قد اشتريتها وجعلتها للمسلمين ، قال الحافظ ابن حجر : وإذا كانت أولاً عيناً فلا مانع أن يحفر فيها عثمان بئراً . ولعلّ العين كانت إلى بئر فوسّعها وطوّلها فنسب حفرها إليه .
قلت : الاشكال ليس في ذكر وقوع حفر عثمان لها فقط ، بل في كون الترغيب فيها بلفظ : « من يحفر » إلى آخره . فطريق الجمع أن يكون ﷺ قال أولاً : « من يشتري بئر رومة » ، فاشتراها عثمان . ثم احتاجت إلى الحفر فقال : « من يحفر بئر رومة » فحفرها . المصدر السابق ج ٣ ، ص ٩٧٠ .

٢ ــ في (ج) : الثمن .

٣ ــ بطن من كنانة ، من العدنانية ، كانت ديارهم بوادي الصفراء بين مكة والمدينة . ابن الأثير : اللّباب في تهذيب الأنساب ، القاهرة : مكتبة القدس ، ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) ج ٢ ، ص ١٣٢ .

٤ ــ وهي بطن من مضر ، من العدنانية ، المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١٣٢ . والقلقشندي : المصدر السابق ، ص ٤٢٠ .

٥ ــ من التبابعة وهم ملوك حمير اليمنيين . حكموا اليمن من عام ٢٧٥ م إلى ٥٢٣ م . وكان يلقب الملك منهم بملك سبأ وريدان وحضرموت ويمنات . أنظر الهمداني : الاكليل . تحقيق محمد بن على الأكوع ؟ ، القاهرة : مطبعة السنة اليمنية ، ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦ م) ص ١١١ . وأحمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ ، ط ٣ ، الرياض : مطابع البادية للأوفس ، ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) ، ص ٩٤ .

٦ ــ واد بالمدينة . انظر ص ١٧٩ من هذه الرسالة . قال السمهودي في شأن هذا الخبر : (رواه ابن زبالة عن غير واحد من أهل العلم) . المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٩٧٠ . وقد وجدته ضعيفاً من ثلاثة أوجه :

مطر ، فوجدنا العقيق قد سال سيلاً عظيماً ، فحال طرف منه بيننا وبينها [1] فخضناه حتّى وصلنا إليها ، ومعظم سيل الوادي من غربيه .

السادسة : بئر اليسيرة [2] من اليسر ضد العسر . وتعرف الآن ببئر العهن بكسر فسكون ، وهو لغة : الصوف الملون . وهي معروفة بالعوالي [3] ، مليحة جدّاً ، منقورة في الجبل [4] ، وعندها سدرة . فقد روي أنّ رسول الله ﷺ جاء بني أميّة بن زيد [5] فوقف على بئر لهم فقال : « ماسمها ؟ » فقالوا : عسيرة [6] . فقال : « لا ، ولكن اسمها يسيرة » ، وبصق فيها وبرّك فيها [7] وروي ابن سعد في طبقاته عن عمر بن أبي سلمة [8] أن النبي ﷺ سمّاها اليسيرة ، وأنّ أباه أبا سلمة [9] غسل بعد موته بين قرنيها [10]. وقد زرتها والحمد لله ، وشربت من مائها وهي في عوالي المدينة قريباً [11] من مسجد بني قريظة ، وعلى بابها حديقة كبيرة حسنة ملك لبعض المغاربة .

← أ ــ ليس له سند تاريخي .
ب ــ رواه ابن زبالة ، وهو غير موثوق عند المحدثين ، ومتّهم بالكذب على رسول الله ﷺ ، فمن باب أولى أن يلفّق الأخبار والقصص التاريخي .
ج ــ فيه مجاهيل : (عن غير واحد من أهل العلم) .

١ ــ في (ج) : وبينه .

٢ ــ تسمى أيضاً بئر العهن نسبة إلى بستان يعرف الآن باسم العهن ، وتبعد عن مسجد قُباء بنحو كيل واحد .

٣ ــ موضع بالمدينة كان محفوفاً بالحدائق ذات النخيل والآبار العذبة الكثيرة المياه . ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ٧١ ــ ١٦٦ . وقد بلغه حالياً البنيان وصار حياً من أحياء المدينة .

٤ ــ الجبل هنا قصد به المؤلف الأرض الصلبة لا المرتفع من الأرض .

٥ ــ بطن من الأوس ، من الأزد القحطانية ، القلقشندي : المصدر السابق ، ص ٨٢ .

٦ ــ في الطبقات لابن سعد : العبيرة ، ج ١ ، ص ٥٠٣ . وقد صححته ليستقيم المعنى .

٧ ــ أي بارك عليها . ابن منظور المصدر السابق ، أما الحديث ففيه : إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى متهم بالوضع . أنظر ص ١١٣ من هذه الرسالة .

٨ ــ صحابي مدني من بني مخزوم . وهو ربيب النبي ﷺ ، تزوّج أمه . شهد مع علي وقعة الجمل وتوفي عام ٨٣ هـ (٧٠٢ م) ، ترجم له : الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ١ ، ص ٤٠٦ .

٩ ــ عبد الله بن عبد الأسد بن هلال المخزومي : من السابقين إلى الاسلام ، توفي بعد وقعة بدر . ترجم له : ابن سعد : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٣٩ . والرازي : الجرح والتعديل ، حيدر آباد : مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٧٢ هـ (١٩٥٣ م) ، ج ٥ ، ص ١٠٧ .

١٠ ــ هذا يتفق مع رواية ابن سعد : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٤٠ .

١١ ــ في النسخ : قريب .

السابعة : بئر غرس [١] بضم فسكون ، وقال المجد : بفتح فسكون . وضبطها [٢] بعضهم بالتحريك كشجر [٣] . وهي بئر شرقي قباء على نصف ميل من مسجدها إلى جهة الشمال [٤] قد ورد أن رباحاً [٥] غلاماً للنبي ﷺ كان يستقي من بئر غرس مرّة ، ومن بئر السقيا مرّة [٦] . ولابن حبان [٧] في الثقات [٨] عن أنس أنه قال : ايتوني بماء من بئر غرس ، فإنّي رأيت رسول الله ﷺ يشرب منها ويتوضأ [٩] . ولابن ماجه بسند جيد عن علي قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أنا متّ فاغسلوني بسبع قرب من بئر غَرس » [١٠] ، وكانت بقُباء ، وكان يشرب منها .

وفي رواية لم تحلل أَوْكِيَتُهُنَّ [١١]. وكانت البئر لسعد بن خيثمة [١٢] .

---

١ ـــ تقع هذه البئر شرقي مسجد قُباء على بعد ألف وخمسمائة متر منه في المكان المسمى الآن بقُربان داخل حديقة بها .

٢ ـــ في الأصل : وضبطه . وكذا في النسخ . وصححت ليستقيم المعنى .

٣ ـــ هذا يتفق مع ماأورد الفيروزبادي : المغانم ، ص ٤٦ .

٤ ـــ بل هي على أكثر من نصف ميلٍ من مسجد قباء كما سبق أن ذكر.

٥ ـــ ترجم له السخاوي في التحفة اللّطيفة ، ج ٢ ، ص ٥٠٦ .

٦ ـــ قال السمهودي :(رواه أبو داود بهذا اللفظ ، وسنده جيد وصححه الحاكم) ، المصدر السابق ج ٣ ، ص ٥٤ .

٧ ـــ محمد بن حبَّان بن أحمد البستي من بلاد سجستان : مؤرخ ، جغرافي ، ومحدث . وفي عام ٣٥٤ هـ (٩٦٥ م)ترجم له : الذهبي : ميزان الاعتدال ، ج ٣ ، ص ٥٠٦ . واليافعي : مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، حيدر آباد : مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، ٧ ١٣ـــ١٣٣٩ هـ (١٩١٨ـــ١٩٢٠) ، ج ٢ ، ص ٣٥٧ .

٨ ـــ في (أ) و (ب) : الثقة . والثقات كتاب في أسماء الرجال الثقات من رواة الحديث . حاجي خليفة : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٢١ . وهو مطبوع في حيدر آباد بالهند في مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، عام ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م) .

٩ ـــ لم أجده في الثقات لابن حبان .

١٠ ـــ رواه ابن ماجه في سننه ، ج ١ ، ص ٤٧١ . وهو ضعيف بهذا السند لأن فيه عبّاد بن يعقوب (قال ابن عدي : روي أحاديث في الفضائل أنكرت عليه) . الذهبي : ميزان الاعتدال ، ج ٢ ص ٣٧٩ .

١١ ـــ مفرده : وكاء ، أي ماتشدّ به القربة أو الكيس . ابن منظور : المصدر السابق .

١٢ ـــ هذا يتفق مع ماأورده ابن شبّة : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٦٢ .

وروي أنه ــ عليه السلام ــ[1] توضأ منها ، وأهرق بقية وضوءه فيها[2] . وروي أيضاً أنه قال : « رأيت الليلة اني أصبحت على بئر من الجنة » ، فأصبح على بئر غَرس ، فتوضأ منها ، وأهدي له عسل فصبه فيها »[3] . وقد جعل لها درج ينزل إليها منها وحولها حديقة ، وبجانبها مسجد ، وقد زرتها مرة والحمد لله .

فهذه الآبار السبعة هي المشهورة اليوم عند أهل المدينة ، وقد نظمها الزين المراغي فيما أنشد عنه السيد في بيتين وهما :

إذا رمت آبار النبـي بطيبــة فعدّتها سبع مقالا بلا وهـن
أريس وغَرس رومة وبُضاعــة كذا بُصَة قل بَيْرُحاء مع العِهن[4]

قلت : وبقي بئران آخران يتبرك بهما . أحدهما بئر السُّقيا[5] ، فقد ورد أنه ــ عليه السلام ــ كان يُستعذَب له الماء من بئر السقيا . والسقيا هذه في آخر منزلة النّقا[6] على[7] يسار السالك إلى بئر علي[8] ، وهي بالحرّة الغربية وحولها بركة عظيمة لورود الحاج[9] أيام نزولهم هناك . والثانية[10] بئر

١ ــ في (ب) : وسلم .
٢ ــ رواه ابن شبّة في أخبار المدينة ، ج ١ ، ص ١٦١ . واسناده ضعيف لأن فيه ابن أبي يحيى : متّهم في حديثه . أنظر ص ١٦٢ من هذه الرسالة .
٣ ــ أورده السمهودي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٩٨٠ . وهو ضعيف بهذا السند لأن فيه إبراهيم ابن إسماعيل بن مجمع: (ضعفه النسائي . وقال : ابن معين ليس بشيء . وقال البخاري : كثير الوهم) . الذهبي : ميزان الاعتدال ، ج ١ ، ص ١٩ .
٤ ــ هذا يتفق مع ماأورد السمهودي : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٩٨٣ .
٥ ــ تقع في الجنوب الشرقي لمحطة السكة الحديدية ، وتبعد الآن عن ميدان العنبرية بنحو مائة متر .
٦ ــ اسم لمكان مشهور بالمدينة غربي المصلّى ، ويفصل بينه وبين المصلّى وادي بُطحان . الفيروزبادي المغانم المطابة ، ص ٤١٤ . وموقعه حالياً يبتدىء من الشاطىء الغربي لوادي بطحان (المعروف حالياً بأبي جيدة) وينتهي عند بئر السقيا الواقعة جنوب محطة السكة الحديدية . الأنصاري : المرجع السابق ، ص ١٠٦ .
٧ ــ في (أ) : إلى .
٨ ــ أو آبار علي ، وتعرف كذلك بذي الحُلَيْفة ، والحسا ، والمحرم . انظر ص ١٣٥ من هذه الرسالة .
٩ ــ في (أ) : الحجاج .
١٠ ــ في الأصل : الثاني . وكذا في النسخ ، وصححت ليستقيم المعنى .

زمزم (١) . وهي قريبة من السقيا (٢) على يمين الطريق حتى زعم بعضهم أنها بئر السقيا وهي بئر مليحة في حديقة نخل حولها بركة وبناء .

وسميت زمزم تشبيهاً لها بزمزم في التبرّك / بها . وكانت إذ ذاك ملكاً لبعض المغاربة المجاورين ، فأطعمنا من تمر حديقته ، وسقانا من مائها .

وقد عدّ السيد ــ رحمه الله ــ آباراً متعددة سوى هذه ثم قال : فمن ذكر أنها سبعة فقط قصور منه . وقد اقتصرت أنا على ماشهدت(٣)منها وشربت من مائه .

ومن المواضع التي يتبرك بها بالمدينة تربة صعيب . فقد روي أن النبي ﷺ أتى بلحارث (٤) فإذا هم روبى (٥) فقال : « مالكم يابني الحارث روبى ؟ » قالوا أصابتنا يارسول الله هذه الحمى . قال : « فأين أنتم من صعيب » قالوا : يا رسول لله ما نصنع به ؟ قال : « تأخذون من ترابه ، فتجعلونه في ماء فيتفل عليه أحدكم ويقول : باسم الله ، تراب أرضنا بريق بعضنا شفاء لمريضنا بإذن ربنا » (٦) ففعلوا فتركتهم الحمى (٧) . قال طاهر بن يحيى العلوي (٨)

---

١ ــ قال السمهودي : (فالذي ترجّح عندي أن هذه البئر المعروفة بزمزم هي بئر اهاب) . المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٩٥٤ . وبئر اهاب أو زمزم لاتعرف اليوم عند أهل المدينة .

٢ ــ سقط من (أ) : عبارة على يمين الطريق حتى زعم بعضهم أنها بئر السقيا .

٣ ــ في (أ) : شهدنا .

٤ ــ بنو الحارث بن الخزرج : وهم بطن من الخزرج ، من الأزد القحطانية . ومنازلهم في السنح وهو موضع قرب المدينة . القلشندي ، المصدر السابق ، ص ٤٥ .

٥ ــ مفرده روبان ، أي خاثر البدن والنفس . ابن منظور : المصدر السابق .

٦ ــ أورد ابن النجار هذا الحديث مسنداً . المصدر السابق ، ص ٢٨ . وفي سنده ابن زبالة ، وهو ضعيف عند علماء الحديث . انظر ص ١٦٣ من هذه الرسالة . لكن ورد في صحيح مسلم : (روي عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ أنّ رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى أحد أو كانت به قرحة أو جرح قال النبي بأصبعه هكذا ــ ووضع سفيان سبّابته بالأرض ثم رفعها ــ : « بسم الله تربة أرضنا ، بريقة بعضنا ، يشفي به سقيمنا ، باذن ربنا » . كتاب الرّقي ، ج ٢ ، ص ١٧٢٤ .

٧ ــ في الأصل : الحما ، وكذا في (أ) وفي (ج) : الحمة . والتصحيح من (ب) .

٨ ــ هو الشريف أبو القاسم بن يحيى بن الحسن بن الحسين العلوي : أخذ العلم عن والده الذي يعتبر من أكبر مؤرخي المدينة . وقد عاش والده هذا في القرن الثالث الهجري . انظر : المطري : المصدر السابق ، ص ٥٢ .

عقب روايته ذلك عن أبيه صعيب ، وادي دون الماجشونية (١) ، وفيه حفرة ممّا يأخذ الناس منه ، وهو اليوم إذا وبى انسان أخذ منه . قال ابن النجار : وقد رأيت أنا هذه الحفرة والناس يأخذون منها ، وذكروا أنّهم قد جرّبوه فوجدوه صحيحاً (٢) ، قال : وأخذت منه أيضاً (٣) . قال السيد بعد ذكر ماتقدم : وهذه الحفرة موجودة يأثرها الخلف عن السلف ، وينقلون ترابها للتداوي (٥). وذكر المجد أن جماعة من العلماء ذكروا أنّهم جرّبوه للحمى (٦) فوجدوه صحيحاً (٧) . قال : وأنا سقيته غلاماً لي مريضاً من نحو سنة تواضبه الحمى فانقطعت عنه من يومه (٨) . وذكر هو كالمطري (٩) أنّ ترابه يجعل في الماء ويغتسل به من الحمى (١٠) .

قال السيد : فينبغي أن يفعل أولاً ماورد ، ثم يجمع (١١) بين الشرب والغسل

قلت : وقد وصلت أنا إلى موضع هذه الحفرة ، وأخذنا من ترابها واستصحبناه معنا لبلادنا بقصد التداوي . وقد نص غير واحد على جواز نقله للتداوي كماء زمزم للتبرّك ، ولم يزل عمل الناس على ذلك قديماً وحديثاً . وقد ذكر الاستشفاء أيضاً من الحمى بتراب مشهد حمزة . وقد استشفيت أنا

---

١ ــ حديقة بالمدينة المنورة . السمهودي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٨ .
٢ ــ سقط من (ج) : (قال : وأخذت منه أيضاً ، قال السيد بعد ذكر ماتقدم . وهذه الحفرة يأثرها الخلف عن السلف ، وينقلون ترابها للتداوي . وذكر المجد أن جماعة من العلماء ذكروا أنهم جربوه للحمى فوجدوه صحيحاً) .
٣ ــ هذا يتفق مع ماأورد ابن النجار : المصدر السابق ، ص ٢٨ .
٤ ــ في (ب) : يأثر .
٥ ــ هذا يتفق مع ماأورد السمهودي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٨ .
٦ ــ في الأصل : الحما . والتصحيح من (أ) و (ب) .
٧ ــ لم يكن المؤلف دقيقاً في نقله لهذا الخبر إذ أن الفيروزبادي لم يقل (جماعة العلماء) وإنما ذكر عالماً واحداً هو ابن النجار . انظر : المغانم المطابة ، ص ٢١٨ .
٨ ــ هذا وهم من المؤلف ؛ فان الفيروزبادي لم يذكر مانسب إليه في النص .
٩ ــ في (ب) : وهم الناسخ فكتب : المطرزي .
١٠ ــ هذا يتفق مع ماأورد المطري : المصدر السابق ، ص ٥٢ . والفيروزبادي في المغانم المطابة ، ص ٢١٨ .
١١ ــ هذا يتفق مع مقالة السمهودي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٩ .

أيام مرضي بالمدينة بتربة [1] صعيب ، فحصلت بركتها ولله الحمد .

١ — في (ج) : بتربية .

ذكر بعض أودية المدينة التي تسيل إذا كثرت الأمطار ، فيخرج أهل المدينة للتنزه بها .

فمنها وادي العقيق (١) ، وهو أيضاً من المواضع المباركة التي ينبغي زيارتها . ففي الصحيح عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول بوادي العقيق : « أتاني الليلة آت فقال : صلّ في هذا الوادي المبارك » (٢) . وروي أيضاً مرفوعاً : « العقيق واد مبارك » (٣) .

وروي أنّ عمر (٤) ــ رضي الله عنه ــ كان إذا انتهى إليه (٥) أن (٦) وادي العقيق قد سال ، قال : اذهبوا بنا إلى هذا الوادي المبارك ، وإلى الماء الذي لو جاءنامن حيث جاء لتمسحنا به (٧) . وقال فيه ــ عليه السلام ــ : « هذا الوادي يحبنا ونحبه » (٨) .

والعقيق واد كبير غربي المدينة وراء الحرة الغربية يأتي سيله من أماكن

---

١ ــ من أكبر وديان المدينة . قال السمهودي نقلاً عن كتاب جزيرة العرب لأبي عبيدة : (العقيق يشقّ من قبل الطائف ثم يمر بالمدينة ، ثم يلقى في إضم البحر) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٠٦٨ . وحالياً يأخذ العقيق أعلي مساقط مياهه من قرب وادي الفرع (من أطول أودية الحجاز) ثم ينحدر شمالاً بين الحرار شرقاً وسلسلة جبال قدس غرباً حيث ترفده أودية فيسمى هناك النقيع ولمّا يقرب من بئر الماشي يسمّى عقيق الحسا إلى أن يصل آبار علي (ذي الحليفة) فيسمى العقيق . وهناك جعل له سدّاً يمرّ فوقه الطريق من المدينة إلى مكة ، ثم يسير حتى يجتمع بوادي بطحان ثم قناة . وإذا اجتمعت الأودية الثلاثة تسمّى وادي الخليل ، فإذا تجاوز وادي محيط سمّى وادي الحمض (اضم قديماً) . البلادي : المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ١٢٨ ــ ١٢٩ .

٢ ــ رواه البخاري في الجامع الصحيح ، كتاب الحج ، ج ٢ ، ص ١٤٤ .

٣ ــ المصدر نفسه ، كتاب الحج ، (باب قول النبي ﷺ : العقيق واد مبارك) ، ج ٢ ، ص ١٤٤ .

٤ ــ في (أ) : وروى ابن عمر .

٥ ــ في (أ) : اليها .

٦ ــ سقط من (ب) : أن .

٧ ــ رواه ابن شبّة في أخبار المدينة ، ج ١ ، ص ١٦٧ . وهو ضعيف بهذا السند لأن فيه مجاهيل إذ جاء فيه قوله : (قال أبو غسان أخبرني غير واحد من ثقات أهل المدينة) .

٨ ــ قال السمهودي : (رواه أبو العباس العراقي في ذيله على ابن النجار) . المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٠٣٨ .

بعيدة ، وربما دام شهراً فأكثر . وأسفله ممّا يلي الجَرْف (١) ، وهو المسمى بالعرصة (٢) إلى غربي رومة (٣) . وما فوق ذلك إلى النقيع (٤) يسمى العقيق والمشتهر في زمننا بالعقيق من غربي رومْة إلى ذي الحُلَيْفة .

وفي العقيق بئر عروة (٥) التي أكثر (٦) الشعراء من ذكرها في تشببهم (٧) .

وفيها يقول السريّ بن عبد الرحمن الأنصاري (٨) :

كفنوني ان متّ في ذرع أروى(٩) واستقوا لي من بئر عُرْوَة مائي (١٠)
سخنة في الشتاء باردة (١١) الصيـ ـف ، سراج في الليلة الظلماء

وعُرْوَة المنسوبة إليه البئر عروة بن الزبير (١٢)ــ رضي الله عنه ــ ، فانّه هو الذي حفرها وبنى هنالك قصره بالعقيق . وهو منقسم إلى أصغر وأكبر .

---

١ ــ موضع على ثلاث أميال من المدينة نحو الشام كانت به أموال لأهل المدينة . ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ، ص ١٢٨ . والجرف حالياً أرض زراعية بالمدينة يُرى من سَلْع غرباً ، وقد بلغه البنيان .

٢ ــ موضع بعقيق المدينة ينقسم إلى العرصة الكبرى والعرصة الصغرى ، ويفصل بينهما وادي العقيق ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٠١ . وتعرف العرصة اليوم بسُلْطانة . البلادي : المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ٦٩ ــ ٧٠ .

٣ ــ أرض بالمدينة بين الجَرْف وزَغابة فيها بئر رومة السابق ذكرها . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ص ١٠٤ . وتسمى اليوم بالبركة . علي الحافظ : المرجع السابق ، ص ٢٠٨ .

٤ ــ موضع قرب المدينة على عشرين فرسخاً منها (مائة وعشرين كيلاً) بازاء وادي النقيع . ياقوت معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٣٠١ ، ويعرف النقيع اليوم بوادي النقى .

٥ ــ تقع بطرف حرّة الوبرة الغربي بالنسبة للمدينة عن يمين الطريق لمن يسافر إلى مكة ، وتبعد من باب العنبرية بنحو ثلاث أكيال تقريباً . ويقال أن ماء هذه البئر معدني من أجود مياه المدينة ، لكن مع الأسف لحقها الجفاف والاهمال .

٦ ــ في (أ) : أكثر .

٧ ــ في (أ) : تشبيههم . والتّشبيب في الشعر : ترقيق أوله ذكر النّساء . ابن منظور : المصدر السابق .

٨ ــ ورد اسمه في التحفة اللطيفة للسخاوي ، ج ٢ ، ص ١٤٢

٩ ــ ماء بقرب وادي العقيق لفزارة . ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٦٤ .
وتعرف اليوم ببئر القزاز في الطريق المتوجه إلى الحنّاكية . وهي بلدة حجازية عامرة تقع على طريق القصيم من المدينة المنورة على مائة كيل . البلادي : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٧ .

١٠ــ في (ب) : ماء .

١١ــ زاد المؤلف : في . أنظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٠١ .

١٢ــ عروة بن الزبير بن العوام : أحد الفقهاء السبعة في المدينة ، كان عالماً صالحاً ، لم يدخل في

قال عياض : النقيع [1] صدر العقيق ، وهما عقيقان : أدناهما / عقيق المدينة ، وهو أصغر وأكبر ، فالأصغر فيه بئر ورمة ، والأكبر فيه [2] بئر عروة .

العقيق الآخر على مقربة منه ، وهو من بلاد مزينة .

وسمي عقيقاً لأن سيله عقّ في الحرة أي شقّ وقطع . وقيل سمي بذلك لحمرة موضعه . وقد روي أن عمر ـــ رضي الله عنه ـــ لمّا أقطع الناس العقيق وقف في موضع بئر عروة بن الزبير التي عليها سقايته وهو يقطع الناس فقال : أين المستقطعون ؟ فنعم موضع الحفيرة فاستقطعه ذلك خوات [3] بن جبير الأنصاري[4]، فاقطعه تلك الناحية [5] . فاشترى عروة موضع قصره وآباره[6]. وقد صدقت فراسة عمر ـــ رضي الله عنه ـــ في هذه البئر كما هو شأنه في كل مايتفرس فيه . فهذه البئر من أغزر الابار ماء وأحلاها ، ولذلك أكثر الشعراء من ذكرها في أشعارهم . وفيها يقول بعضهم من جملة قصيدة :

ألا ليت شعري هل إلى الرمل عودة ... وهل لي بتلك البانتين[7] لمام
وهل نهلة من بئر عروة عذبة ... أداوي بها قلباً براه أرام [8]

ـــ شيء من الفتن ، توفي عام ٩٣ هـ (٧١١ م) بالمدينة ، ترجم له : ابن سعد : المصدر السابق ج ٥ ، ص ١٧٨ ـــ ١٨٢ . وابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٥٥ .

١ ـــ في (ب) : البقيع .

٢ ـــ في (ج) : فيها .

٣ ـــ في الأصل : حوات . وفي (أ) : خواب . وفي (ب) و (ج) : جوات . والتصحيح من ابن سعد : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٤٧٧ . وابن شبّة : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٥١ .

٤ ـــ كان أحد فرسان رسول الله ﷺ ومن الذين شهدوا بدراً ، توفي عام ٤٠ هـ (٦٦٠ م) . ترجم له : ابن الأثير : أسد الغابة ، ج ٢ ، ص ١٢٦ .

٥ ـــ أخرجه ابن شبّة في أخبار المدينة ، ج ١ ، ص ١٥١ . قلت : رجاله ثقات لأن في سنده : حِبّان بن هلال : (قال أحمد : إليه المنتهى في التثبت بالبصرة . وقال ابن معين والترمذي والنسائي وابن سعد : ثقة) . ابن حجر : تهذيب التهذيب ، ج ٢ ، ص ١٧٠ . وفيه : وهيب بن خالد الباهي : (قال ابن مهدي : كان من أبصرهم بالحديث والرجال . وقال أبو حاتم : ثقة) الذهبي الكاشف ، ج ٣ ، ص ٢٤٦ . وفيه هشام بن عروة : قال الذهبي عنه : (أحد الأعلام ، حجة) ميزان الاعتدال ، ج ٤ ، ص ٣٠١ ، وفيه عروة بن الزبير : (قال ابن سعد : كان فقيهاً عالماً كثير الحديث مأموناً) الذهبي : الكاشف ، ج ٢ ، ص ٢٦٢ .

٦ ـــ في الأصل : بياره ، وكذا في النسخ . وصححت ليستقيم المعنى .

٧ ـــ من البان وهو ضرب من الشجر طويل الأفنان ناعمها تشبه به قدود الحسان . ابن منظور : المصدر السابق .

٨ ـــ يعني الحرقة . ابن منظور : المصدر السابق .

وسيل العقيق عند أهل المدينة من أعظم المتنزهات من سالف الدهر . ولشعرائهم الأقدمين فيه أشعار كثيرة مذكورة في كتب الأدباء . وقد حضرت بالمدينة سيله ثلاث مرات ، فخرج الناس على طبقاتهم ، ونصبت الخيام والمضارب بحافّتيه ، وطبخت الأطعمة الكثيرة مع سرور ولهو وطرب ، وأقاموا به يوماً أو يومين . وقد سال مرة سيلاً عظيماً منع الرفاق الواردين من مكة للرجبية عن الوصول إليها إلّا بعد مدة . وقد حضرني أبيات ونحن على شطه [1] مع جملة من أصحابنا أولها :

جرى العقيق ودمعي كالعقيق جرى [2]
فلا تسل سائلي عما هناك جرى [3]

الوجد أوري زناداً في الحشا فصلى
به الفؤاد فسال الدمع مبتدرا

أذكرني جريه جري السوابق بي
بين الكتائب في الميدان معتجرا [4]

وظله والنسيم بجوانبه
أكربني فسرى [5] الأحزان حين سرى [6]

أذكرني زمناً عند الذين بهم
أفاخر الشهب في وسط الدجى[7]سمرا[8]

قومي وأهلي [9] ومن ألبست بينهم
شرخ الشباب نظيفاً طيباً عطرا

---

١ — في (ب) : شاطئه .
٢ — في (أ) : جرا .
٣ — في الأصل : جرا . وكذا في (أ) و (ج) . والتصحيح من (ب) .
٤ — من الاعتجار ، وهو ليّ الثوب على الرأس من غير ادارته تحت الحنك . ابن منظور : المصدر السابق .
٥ — في (أ) : سرا .
٦ — في الأصل : سرا . وكذا في (أ) و (ج) . والتصحيح من (ب) .
٧ — في الأصل الدجا . وكذا في (ب) وفي (أ) : الرحا .
٨ — في (أ) و (ج) : سحرا .
٩ — في (ج) : وآل .

ماﺍستبدلت منهم نفس المشوق سوى
طيب مجاورة المختار من حضرا
أكرم بذا بدلاً قد فاز آخذه
لو أنه في الشراء (١) يدفع العمرا

ومن جملتها هذه :

سال العقيق ودمعي سال كمثل العقيق
وسيله كالرحيق وأدمعي كالحريق
فلا تلم ياعذولي ولتستعدن يارفيقي / (٢)

ومنها وادي بُطحان (٣) ، وهو الوادي المتوسط بيوت المدينة ، ودور الأنصار غالبها على حافتيه شرقاً وغرباً . وهو يمّر من شرقي قباء ، ثم يمر كذلك إلى أن يمرّ غربي سور المدينة إلى طريق المصلّى حتى يخرج إلى غربي سلع وقرب مساجد الفتح ، ثم يمر كذلك إلى أن يلتقي مع العقيق بالغابة حيث مجتمع الأسيال . فقد روى البزّار (٤) عن عائشة مرفوعاً : « بُطحان على ترعة من ترع الجنة » (٥) . وقد سال مراراً ونحن بالمدينة ، فخرج الناس للتفرج فيه . وعلى حافتيه منازل كثيرة لأهل المدينة قد جعلت لها (٦) شبابيك (٧) ومجالس إلى ناحية الوادي ، وعليه قنطرة كبيرة قرب المصلى . وقلّ مايخلو أعلاه من ماء يسيل به نجلاً ، يقوي إذا كثرت الأمطار ، ويقلّ إذا قلّت .

---

١ ــ في (أ) : بالشراء .

٢ ــ مما يلاحظ أن بعض الأبيات مختلة الوزن . وهو على كل حال شعر ضعيف .

٣ ــ أحد أودية المدينة الكبيرة . ويأتي من ذي الجذر بالحرّة العليا . ابن شبة : المصدر السابق ج ١ ، ص ١٦٧ . أما مسلكه ومصبه فقد ذكرهما العياشي في المتن .
واليوم صار بُطحان يسمى بثلاثة أسماء : فأوله عندما ينقضّ من الحرة يسمى أم عشر ، ووسطه يسمى قربان على ثلاثة أكيال من المدينة ، وإذا مرّ بالمدينة سمي أبو جيدة . البلادي : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٣ .

٤ ــ أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزّار البصري : من علماء الحديث ، توفي عام ٢٩٢ هـ (٩٠٤ م) . ترجم له : الخطيب البغدادي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٣٣٤ . وابن كثير المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٨٤ .

٥ ــ أخرجه السيوطي في صحيح الجامع الصغير . قال المحقق (ناصر الدين الألباني) : حديث حسن ج ٣ ، ص ٧ .

٦ ــ في (ب) : لهم .   ٦ ــ في (ب) : بشبابيك .

ومنها وادي قَناة ، وهو أعظم أودية المدينة سيلاً . فانّ سيله يأتي من الأماكن البعيدة . يُروى أن تبّع نزله ، فلمّا شخص منه قال : هذه قناة الأرض فسمي به (١) ، ويسمّى أيضاً بالشظاة (٢) . وفي القاموس أنه عند المدينة يسمى قناة ، ومن أعلى منها عند سد نار الحرة يسمي بالشظاة . وقال المدائني : قناة وادي يأتي من الطائف (٣) ويصب في الأرحضية (٤) وقرقرة الكدر (٥) ثم يأتي بئر معونة (٦) ، ثم يمرّ على القدوم (٧) في أصول قبور الشهداء بأحد ، ثم ينتهي إلى مجتمع السيول بزغابة (٨) .

---

١ ـــ رواية ليس لها سند تاريخي .

٢ ـــ اسم لوادي قناة . السمهودي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٢٤٣ .

٣ ـــ لكن البلادي يعترض على ذلك بقوله : (قلت : وقوله : يأتي من الطائف حتى يصب في الأرحضية وهم وقع فيه حتى بعض المتأخرين لأن مياه الطائف لاتصل إلى هناك ولاتقرب المدينة كما بيّنا في العقيق . ولاشك أن الأقدمين كانوا غير قادرين على تتبع مثل هذا فظنوا ذلك . وقناة هو الوادي الذي يمر بين المدينة وأحد أعلاه الخنق ، والخنق يأخذ سيل الشعبة (واد يأتي من شرق نجد من جهات ضريّة) ... ومنه (أي الخنق) إلى سد العاقول ، ومن العاقول في قناة ، ثم في الغابة من اضم (وادي الحمض) مجتمعاً مع العقيق وبطحان ، وهي أودية المدينة الثلاثة (يعني أكبرها) المرجع السابق ، ج ٧ ، ص ١٦٥ . ويعرف قناة اليوم بسيل سيدنا حمزة ، عبد القدوس الأنصاري : المرجع السابق ، ص ١٥٧ .

٤ ـــ موضع بين مكة والمدينة قرب جبال أُبْلى وبئر معونة . الفيروزبادي : المغانم المطابة ، ص ٤٩ وهي اليوم قرية عامرة بها آبار وزرع كثير ونخيل على الطريق من المهد إلى المدينة ، وتعرف بالرّحضية . البلادي : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٤٢ .

٥ ـــ في الأصل : قرارة الكدر وكذا في النسخ . وهو موضع بينه وبين المدينة (في طريق مكة) ثمان برد (أي مائة واثنان وتسعون كيلاً) . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٢٦ . وموقعه حالياً قبيل خيبر مما يلي المدينة على ستة أكيال من خيبر يطؤه الطريق ويشرف عليه من الغرب جبل الصهبان ، وهما في سواء الحرّة ، حرة النار المعروفة اليوم بحرّة خيبر) . البلادي : المرجع السابق ، ج ٧ ، ص ١١٧ .

٦ ـــ بئر بين جبال أُبْلى في طريق المدينة ـــ مكة . الفيروزبادي . المغانم المطابة ، ص ٤٩ .

٧ ـــ جبل قرب المدينة . السمهودي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٢٨٧ .

٨ ـــ هناك خلاف بين القدماء حول هذا الموضع ، أهو زغابة أم الغابة ؟ وفي هذا الصدد يقول السمهودي : (زغابة كسحابة والغين معجمة : مجتمع السيول آخر العقيق غربي قبر حمزة ـــ رضي الله عنه ـــ ، وهي أعلى اضم كما سبق عن الهجري وغيره ، وأن ابن إسحاق قال : نزلت قريش بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف وزغابة . قال أبو عبيد البكري في ضبطه : زغابة بالضم واهمال العين . وقال محمد بن جرير (الطبري) : الرواية الجيدة بين الجرف والغابة لأن زغابة لاتعرف . قال ياقوت : ليس كذلك فانّ في الحديث أنه ﷺ قال : « ألا تعجبون

وقال ابن زبالة [١] : سيل قناة إذا استجمعت يأتي من الطائف [٢] .

وهو أحد فحول أودية العرب ، فيأتي من المشرق حتى يصل [٣] السد الذي أحدثته نار الحرة [٤] وانقطع هذا الوادي بسببه . ثم انخرق سنة تسعين وستمائة فجرى الوادي سنة على مابين الجبلين ، وسنة أخرى دون ذلك . ثم انخرق بعد السبعمائة فجرى سنة أو أزيد . ثم انخرق سنة أربع وثلاثين وسبعمائة بعد تواتر الأمطار فحفر وادياً آخر غيّر مجراه الذي على مشهد [٥] سيدنا حمزة قبليه وقبلي جبل عينين ، وبقي المشهد وعينين في وسط السيل نحو أربعة أشهر لايقدر أحد على الوصول إليهما إلا بمشقة . وكان أهل المدينة يقفون على التلّ الذي [٦] خارج باب البقيع فيشاهدونه ، ولو زاد مقدار ذراع في الارتفاع وصل إلى المدينة . ثم استقر في الوادي [٧] بين القبلي والشمالي من سنة [٨] .

قلت : وقد سال ونحن بالمدينة سيلاً عظيماً بقي مدّة يجري ، إلاّ أنّي لم يتّفق لي الخروج إليه لبعده مع عائق المرض ، إلاّ أنّا لمّا خرجنا لزيارة سيدنا حمزة في الرجبية أدركنا فيه بقية ماء . وهذا الوادي هو الذي ورد في الصحيح ــ في استسقائه عليه السلام ــ أنه سال شهراً [٩] .

← لهذا الأعرابي أهدى إليّ ناقتي أعرفها بعيني ذهبت منّي يوم زغابة ، وقد كافأته بست ــ أي بست بكرات ــ فسخط » ، وجاء ذكر زغابة في حديث آخر ، فكيف لايكون يعرف ؟) المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٢٢٧ ــ ١٢٢٨ .

١ ــ محمد بن الحسن بن زبالة : أخباري ، متهم في حديثه . كان حيّاً قبل ١٩٩ هـ (٨١٤ م) . من آثاره أخبار المدينة ، وهو مفقود . ترجم له : الذهبي : ميزان الاعتدال ، ج ٣ ، ص ٥١٤ . وابن حجر : تهذيب التهذيب ، ج ٩ ، ص ١١٥ ــ ١١٧ .

٢ ــ ينتهي هنا كلام ابن زبالة .

٣ ــ في (أ) : كلمة زائدة : الى .

٤ ــ بركان ثار بضاحية المدينة عام أربع وخمسين وستمائة هـ (١٢٥٦ م) . السمهودي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٤٢ ، و ج ٣ ، ص ١٠٧٤ .

٥ ــ في (أ) : مسجد .

٦ ــ في (أ) : كلمة زائدة : هو .

٧ ــ في الأصل : الواد وكذا في (أ) . والتصحيح من (ب) و (ج) .

٨ ــ هذا يتفق مع ماأورد المطري : المصدر السابق ، ص ٦٤ .

٩ ــ ورد عند مسلم في صحيحه ، كتاب الاستسقاء ، ج ١ ، ص ٦١٤ .

وأهل المدينة يخرجون[1] إلى موضع أعلاه من ناحية المشرق وراء الحرة فيقيمون فيه الأسبوع أو أكثر .

وقد ذكر السيد ــ رحمه الله ــ من جملة أودية المدينة : وادي رانوناء[2] ووادي مُذَيْنِبْ[3] ، ووادي مَهْزور[4] . وهذه الأودية ترجع كلها إلى بُطحان أو إلى قناة ، بل إلى بُطحان على مايظهر من كلام السيد[5] . قال الزبير بن بكار[6] : ثم يلتقي سيل العقيق ورانوناء وأذاخر[7] وذي صلب[8] وذي ريش[9] وبطحان ومعجب[10] ومهزور وقناة بزغابة / . وسيول العوالي هذه يلتقي بعضها بعضاً قبل أن تلقى[11] العقيق ، ثم تجتمع فتلقى العقيق بزغابة

---

١ ــ في (أ) : يرجون .

٢ ــ من وديان المدينة . ويسيل من ناحية عير وشرقي الحرة ، ثم يلتقي بوادي بطحان . ابن شبّة : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٦٨ . وموقعه حالياً في الضاحية الجنوبية الغربية للمدينة . عبد القدوس الأنصاري : المرجع السابق ، ص ١٥٢ .

٣ ــ من وديان المدينة . مصدره من الحلائين حلائي صعيب (جبلان كبيران . الفيروزبادي : المغانم المطابة ، ص ١١٨ . وفي وفاء الوفا للسمهودي ورد اسم هذا المكان محرّفاً : الحلابين حلابي مصعب ، ج ٣ ، ص ١٠٨٥) على نحو سبعة أميال من المدينة ، ومصبّه في زغابة حيث ملتقى السيول .

ويقول عبد القدوس الأنصاري : بأنه تتبع مجراه فإذا هو آت من شرق حصن كعب بن الأشرف حتى يختلط بوادي بطحان في مبدئه . المرجع السابق ، ص ١٥٤ .

٤ ــ من وديان المدينة ، مصدره من الحرّة الشرقية أو حرّة واقم ، ومصبّه في وادي قناة . ابن شبة : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٧٠ . ويعرف في الوقت الحاضر باسم الغاوي . عبد القدوس الأنصاري : المرجع السابق ، ص ١٥٥ .

٥ ــ هذا يتفق مع ماأورد السمهودي ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٠٧٢ ــ ١٠٧٩ .

٦ ــ من أحفاد الزبير بن العوام ، وهو عالم بالأنساب وأخبار العرب ، ولّي قضاء مكة ، وبها توفي عام ٢٥٦ هـ (٨٧٠ م) . له تضانيف منها : أخبار العرب ، نسب قريش وأخبارها ، الأوس والخزرج ، وله مجموع في الأخبار ونوادر التاريخ سمّاه الموفقيات ألفه للموفق بن المتوكل العباسي ترجم له : الخطيب البغدادي : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٤٦٧ . وابن خلكان : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣١١ .

٧ ــ من أودية المدينة . المسهودي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١١٢٣ .

٨ ــ من أودية المدينة . مصدره من وادي رانوناء ، ومصبه في وادي بطحان . المراغي : المصدر السابق ، ص ١٨٦ .

٩ ــ من أودية المدينة ، يأتي من جوف الحرّة . السمهودي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٠٧٢ .

١٠ ــ أحد أودية المدينة . المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ١٣٠٩ .

١١ ــ في الأصل : يلقى . وكذا في النسخ .

عند أرض سعد بن أبي واقص ، وذلك أعلى وادي اضم(١) ، سمي به لانضمام السيول واجتماعها به . قال الزبير : ثم تمضي هذه السيول ، فذكر الأماكن التي تمرّ بها من بلاد العرب إلى أن تصبّ في البحر عند جبل يقال له أراك (٢) وقال المطري : ان مصبّه في البحر من ناحية (٣) أكرى (٤) في طريق مصر(٥).

قلت : وهو الوادي المسمى اليوم بالأكره بينه وبين الوجه (٦) مرحلة .

---

١ — يسمى عند المدينة قناة ، ومن أعلى منها عند السدّ الشّظاة ، ثم ماكان أسفل من ذلك يسمى اضما . ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢١٤ — ٢١٥ . ويعرف اضم اليوم بوادي الحمض ويسيل على مسافة تقرب من أربعمائة كيل . ومن أهم روافده : وادي النقيع ، والعقيق الشرقي وأودية خيبر ، ووادي القرى ، الخ ... البلادي : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١١٣ .

٢ — جبل لهذيل — بطن من خندق من مصر . القلقشندي : المصدر السابق ، ص ٤٣٥ — تصبّ عنده سيول وادي اضم في البحر . السمهودي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١١٢٤ . ويشرف هذا الجبل — آراك — على نخلة الشامية من الشمال . البلادي : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٨١ . ونخلة الشامية هذه واد من أودية الحجاز في نواحي مكة . المرجع نفسه ، ج ٨ ، ص ٧٠ .

٣ — سقط من (أ) : من ناحية .

٤ — في (ب) : زكره ، وهو تصحيف لأكرى . وأكرى جبل شاهق من ناحية مكة يصعد منه إلى الطائف . أبو سالم العياشي . ماء الموائد ، (نسخة فاس الحجرية) ج ٢ ، ص ١٠٣ . وهذا وهم من المؤلف لأنّ أكرى كما ذكر هو بنفسه تقع في طريق مصر . وفي هذا الصدد يقول البلادي : (ذكرها الجزيري فقال : فضاء واسع ومرعى ، وماؤها حفائر مختلفة ، منها ماهو مالح جداً ، ومنها ماهو دونه . وأكرى هي الحدّ بين بُلَيّ وجهينة جنوب الوجه) . ج ١ ، ص ١٣١ وحالياً هي مجموعة آبار سقي في الخبت أسفل وادي الحمض (اضم) على قرابة سبعين كيلاً من الوجه . البلادي : المرجع نفسه ، ج ١ ، ص ١٣١ .

٥ — هذا يتفق مع مأأورد المطري : المصدر السابق ، ص ٦٤ .

٦ — مدينة على ساحل البحر الأحمر تبعد عن المدينة المنورة بخمسمائة وستة عشر كيلاً . خريطة المملكة العربية السعودية ، ادارة المواصلات بالمدينة المنورة .

ذكر مواضع نزولنا بالمدينة ، واقامتنا بها ، وتنقلات الأحوال بنا (١) إلى خروجنا منها إلى مكة (٢) .

كانت مدة اقامتنا بالمدينة المشرفة سبعة أشهر ونصف (٣) ، لأنّا دخلناها كما تقدم في الليلة الثانية من محرم (٤) ، وكان خروجنا منها إلى مكة في السابع عشر من شعبان (٥) . وكنا نسكن أولاً في محلّ نزولنا بجوار مشهد السيد إسماعيل كما تقدّم . وكان أفسح الأمكنة وأوسعها وأبعدها عن زحام الناس به أخلية الوضوء وبئران كما تقدم . وكان قيّم المشهد أحد أصحابنا المغاربة المجاورين ، وهو الذي أنزلنا به . وكان يتولى اصباحه وكنسه واغلاق أبوابه ، ويقبض مايؤتى به من الصدقة إليه ، ولّاه ذلك مفتى المالكية بالمدينة صاحبنا الخطيب أحمد وأخوه الخطيب عبد الرحمن لأن ولاية المشهد لهما.

فإذا اجتمع من الصدقات ماله بال دفع لهما حصّة منه وانتفع بالباقي كما هو شأن سائر المشاهد بالمدينة ، بل وبغيرها صارت أماكن جباية يولى عليها من قبل القاضي . وكنّا مدّة نزولنا به في أرغد عيش وألّذه لايزاحمنا فيه غيرنا لولا بعده (٦) من المسجد . فكنّا إذا خرجنا لصلاة الظّهر في أيّام الحرّ تكاد الرمضاء تحرقنا ، إنّما نتّقي ببقايا الظلال ومبادىء الفيء تحت الجدران . ومع ذلك يلفحنا الحرّ لفحاً ، فلا نصل (٧) إلى المسجد إلا بعد مشقة (٨) . ولكنّا نحتسب في ذلك خطانا ونغتفر ذلك لمّا اغبطتنا به من السّعة وجوار أهل البقيع ، فنمّر كل يوم مراراً على باب البقيع ونسلّم على أهله وندعو. ومن طلع منّا على سطح المشهد أشرف على البقيع كلّه وما والاه من الأجنّة

---

١ ــ في (أ) : وتنقلاتنا لأحوبنا . وفي (ب) : وتنقلاتنا لأحوالنا .

٢ ــ في (ب) : عبارة زائدة : نفعنا الله بمحل سكناها .

٣ ــ في (أ) : ونصفا .

٤ ــ عام ١٠٧٣ الموافق ١٧ آب (أغسطس) ١٦٦٢ م .

٥ ــ عام ١٠٧٣ الموافق ٢٧ آذار (مارس) ١٦٦٢ م .

٦ ــ في (ب) : بعدنا .

٧ ــ في (أ) : يصل .

٨ ــ انّ تشكّى العياشي من بعد المسافة بين المشهد الذي كان نازلاً فيه ــ وهو بجوار مشهد إسماعيل ــ وبين الحرم النبوي أمر يدعو إلى الاستغراب لأن المسافة بينهما متقاربة جدّاً . ولعل الأمر اختلط عليه لكثرة تنقله من مشهد إلى آخر .

وحدائق النخيل ، ويكون جبل أحد الذّي هو من جبال الجنّة قبالة وجهه . وماكان ينغّص علينا فيه إلا كثرة ترداد (١) النخاولة إلى ذلك المحلّ ، وهم الروافض الساكنون خارج المدينة في العوالي وغيرها من الجهات ، فانّ جلّ من يسكن هناك ويتولّى العمل في البساتين والفلاحة فيها روافض ، ويسميهم أهل المدينة النخاولة (٢) ، ولاأدري مامعنى هذا الاسم . ولهم عادة في كل يوم خميس (٣) غالباً يأتون إلى المشهد من أول النهار ، ويطبخون هناك طعاماً كثيراً ، ويجتمعون رجالاً ونساءً بأولادهم . وفي الغالب يأتون لختان أولادهم ، فانّ من له ولد يريد ختانه (٤) لايختتنونه إلّا في ذلك اليوم في ذلك المكان (٥) . وربما جاءوا لغير ختان بل لمجرد الزيارة واطعام الطعام ، ولايحضر معهم غيرهم . وغالب مايطبخون هناك الأرز أو الهريسة باللحم / . وصفة طبخ الهريسة أن يجعل اللحم في المطبخ ، ويجعل معه القمح ، ويطبخ حتى يفارق اللحم العظم ، فتزال العظام ويبالغ في طبخ اللحم مع القمح حتى يطيب القمح ويزلع (٦) ، فيأخذون عصيّاً شبه المغارف عراض الرؤوس ، فيلوّكون ذلك به حتى يختلط اللحم مع القمح ويصير مثل العجين ، فيأخذونه في الأواني ، ويصبّون عليه السمن . وهي عند أهل الحجاز من أشهى الأطعمة ، وهي قوية إذا شبع منها الانسان قد لايشتهي الطعام يوماً وليلة .

ولم نزل ساكنين في المشهد المذكور إلى أواسط ربيع الأول (٨) . ومرضت فيه بالحمّى (٧) الصفراوية ، ومرض الجلّ من أصحابنا ، وضعفنا عن الوصول إلى المسجد من المرض . وكان ابتداء مرضي ليلة المولد الشريف . وكان الناس يَسِمُون ذلك المحلّ الذي سكنّا فيه مع كونه أفسح المحال بثقل

---

١ ــ سقط من (ب) : ترداد .

٢ ــ طائفة من فقراء المدينة يعملون في النخل ، وهم شيعة . ولعلّ تسميتهم بالنخاولة مشتقة من اشتغالهم بالنخل .

٣ ــ في (ج) : كلمة زائدة : غالب .

٤ ــ في (أ) : لايختتن .

٥ ــ سقط من (أ) : في ذلك المكان .

٦ ــ يتفتّت . ابن منظور : المصدر السابق .

٧ ــ من عام ١٠٧٣ هـ الموافق ٢٨ تشرين الأول (أكتوبر) ١٦٦٢ م .

٨ ــ في (ج) : الحما .

السكنى وكثرة الأمراض . ولذلك شاهد ، فانّ هذا المحل قريب من ذنب مشعط (١) الذي قال فيه ﷺ : « اللهم حبب إلينا المدينة ، وانقل وباها إلى معيهة (٢) ، ومابقي منه فاجعله تحت ذنب مشعط » (٣) . وقال أيضاً : « إن كان الوباء في شيء من المدينة فهو في ظلّ مشعط » (٤) .

قال السيد : ومشعط بالشين المعجمة كمرفق أُطْم لبني جديلة (٥) كان في غربي مسجدهم قرب البقيع (٦) . وقال في موضع آخر : كان غربي مسجد أبيّ .

ومسجد أُبيّ قريب من مشهد العباس . فهذا المحل أقرب الأماكن بالمدينة إليه . وكنّا نزولاً هنالك بخمسة من أصحابنا . فمرض الكلّ ولم يصحّ إلّا واحد فخرجنا منه واكترينا رباطاً آخر قبلي العين التي في شرقي المسجد ، وبقينا فيه نحو الخمسة عشر يوماً . واشتد عليّ المرض فيه ، ولم يوافقنا أيضاً لضيقه وبعده عن المسجد إلّا أنّه دون الأول من البعد ، فخرجنا منه إلى الرباط المنسوب لقطب (٧) الأولياء مولاي عبد القادر (٨) — رضي الله عنه — . وهو قريب جداً

---

١ — أُطْم لبني جُديْلة غربي مسجد أبيّ بن كعب . السمهودي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٣٠٤ .

٢ — وتسمى بالجحفة . كانت قرية جامعة بينها وبين البحر ستة أميال ، وبينها وبين مكة المكرمة نحو ستة وسبعين ميلاً . وهي ميقات أهل الشام ومصر والمغرب . الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق احسان عباس بيروت : دار القلم للطباعة ، ١٣٩٥ هـ (١٩٨٥ م) ، ص ١٥٦ .
أمّا الآن فهي خراب ، لكن بها آثار باقية يزورها السيّاح شرق رابغ مع ميل إلى الجنوب على بعد اثنين وعشرون كيلاً . البلادي : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٢٢ .

٣ — في الجامع الصحيح للبخاري : « اللهم حبب إلينا المدينة كحبّنا مكة أو أشد ، اللهم بارك لنا في صاعنا ومدّنا وصحّحها لنا ، وأنقلْ حمّاها إلى الجحفة (وهي مهيعة) » ، كتاب فضائل المدينة ج ٢ ، ص ٢٢٥ .

٤ — لم أجده في كتب الحديث التي تيّسر لي الرجوع إليها .

٥ — هم بنو معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار ، بطن من الأنصار ، من الأوس ، وجديلة أمهم. ابن الأثير : اللّباب ، ج ٣ ، ص ١٥٤ .

٦ — بل قال ذلك في نفس الموضع . السمهودي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٣٠٧ .

٧ — القطب : كل من دار عليه أمر من أمور الدين أو الدنيا . ابن تيمية : مجموع فتاوي ابن تيمية جمع وترتيب عبد الرحمن العاصمي ، ط ٢ ، بيروت : دار العربية للطباعة ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م) ج ١١ ، ص ٤٤ .

٨ — هو عبد القادر بن موسى بن عبد الله الجيلاني أو الجيلي من طبرستان : يعتبر من كبار الزهّاد ←

ليس بين بابه وبين باب المسجد المسمّى باب النساء إلّا نحو ثلاث خطوات واغتبطنا بسكناه من قرب المسجد ، وسكنّا في البيت الذي على [1] يمين الداخل . وكان بيد شيخنا سيدي أبي مهدي عيسى الثعالبي . فلمّا انتقل إلى مكة تركه بيد بعض أصحابه ، فكلمه أحد أكابر خدام الحجرة الشريفة فدفع لنا مفتاحه . وكان في وسط البيت قبر أُخبرت أنه لبعض الأعجام ممن تولّى عمارة ذلك الرباط .

وزادني غبطة في سكني ذلك الرباط مجاورة شيخنا جمال الدين الهندي النقشبندي [2] ، فإنّ سكناه فيه في البيت الذي على يسار الداخل ، وكنت أدخل إليه وأجلس معه للمراقبة [3] حتى منعت بشدة المرض . وبقينا في ذلك الرباط نحواً من شهر ، فثقل علينا من مجاورة القبر الذي في البيت وعدم وجود [4] محلّ فيه للطبخ ، وانّما كنا نطبخ في محلّ آخر بعيد . فشقّ ذلك علينا فانتقلنا منه إلى رباط النخلة المجاور لرباط النّساء ، وهو تحت السليمانية [5]/ ، فوافقنا في السكنى ، واكترينا فيه محلاً واسعاً ذا منافع ومرافق [6] ، وأمكنة للخلاء ، وبئر للوضوء ، وماء للشرب يأتينا عفواً بلا ثمن من أحباس على ماء لذلك المحلّ . فانبسطنا واستوطنا واغتبطنا بتيّسر المرافق مع قرب المسجد ، وان كان دون رباط الشيخ عبد القادر في القرب . ولم يزل سكنانا في ذلك المحل إلى أن خرجنا لمكة .

= المتصوفين ، انتقل إلى بغداد واتصل بشيوخ العلم والتصوف فبرع في أساليب الوعظ ، وسمع الحديث وتفقه ، وكان يأكل من عمل يده ، توفي عام ٥٦١ هـ (١١٦٥ م) ، ترجم له : علي ابن يوسف الشطنوفي : كبار المتصوفين ، القاهرة : المطبعة الميمنية ، ١٣٠٤ هـ (١٨٨٦ م) ص ٨٨ . وابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، تحقيق نصر أبو الوفا ، ط ١ ، القاهرة : بولاق ١٢٩٩ هـ (١٨٨١ م) ، ج ٢ ، ص ٢ .

١ — في (ب) : عن .

٢ — صوفي ينتمي إلى الطريقة النقشبندية ، وهي طريقة صوفية ظهرت في الهند ، ثم انتقلت إلى الحجاز وبالأخص مكة المكرمة . وجمال الدين هذا من شيوخ العياشي الذي أخذ عنه الطريقة المذكورة بمكة . ترجم له أبو سالم العياشي : ماء الموائد (طبعة الحجر بفاس) ، ج ١ ص ٢٠٥ — ٤٥٣ .

٣ — استدامة علم العبد باطلاع الربّ عليه في جميع الأحوال ، بنعبد الله : المعجم الصوفي ، ص ٣٢ .

٤ — سقط من (ج) : وجود .

٥ — احدى مآذن الحرم النبوي نسبة إلى السلطان العثماني سليمان القانوني . انظر ص ٢٠١ من هذه الرسالة .

٦ — كل مكان ذي منفعة في المنزل من مطبخ وكنيف ومصب الماء ، ونحو ذلك . أحمد رضا : المصدر السابق .

لطيفة :

كان في رباط الشيخ عبد القادر بئر حلوة (١) على خلاف المعتاد من آبار المدينة فانّها مالحة (٢) فبينما أنا ذات يوم اتحدّث مع نقيب الرباط حتى جرى ذكر ذلك ، فقال لي : انما حدثت فيها (٣) الحلاوة منذ أعوام قريبة . وكانت كغيرها من الآبار فأصبحت ذات ليلة وهي حلوة ، ولايعلمون السبب في ذلك فقلت : لعلّ مجرى العين قد انحرف إليها . فقال لي : ليس بالقرب منها مجرى للعين . والله أعلم بحقيقة ذلك .

١ ــ في الأصل : حلو : وكذا في النسخ .
٢ ــ في (أ) : مليحة .
٣ ــ في الأصل : فيه ، وكذا في النسخ .

ذكر ماأقرأته بالمدينة المشرفة أيام إقامتنا بها :

ولما كان أول شهر من صفر (١) ألجأني أصحابنا المالكية بالمدينة المنورة أن أقرأ لهم مختصر الشيخ خليل في فقه مالك (٢) . فتعللت لهم بقلّة الممارسة له ، وشغل البال ، وعدم مايستعين به الانسان من الشروح والحواشي . فلم يجد تعلّلي لديهم ، بل زادهم اغراء . فابتدأنا قراءته في مؤخر المسجد بالجانب الغربي منه . وكانت قراءتنا من بعد صلاة العصر إلى قرب المغرب . فقرأنا لهم قراءة لابأس بها زعموا أنهم لم يروا مثلها منذ أزمان . ولابدع في ذلك ، فانّ البلد شاغر من محققي العلوم ، سيما فقه المالكية ، فلم نر هناك من يحقق أدنى مسائله . وقرأنا فيه إلى فصل الأذان في أزيد من شهر ، فجاء الله تبارك وتعالى بما نرجو به المغفرة ورفع الدرجات من المرض . فطال بي المرض ومنعني من الوصول إلى المسجد في غالب الأوقات ، بل آل بي إلى أن عجزت عن الخروج للجمعة فضلاً عن غيرها من الصلوات . وفي أثناء المرض كانت تنقلاتنا في المحال المذكورة ، وقام بشؤوننا أصحابنا المغاربة في مانحتاج إليه من أدوية وشراء الأطعمة . فجزاهم الله عنا أفضل المجازات ، خصوصاً صاحبنا الشيخ عبد المؤمن التُّنْجِري (٣) فقد قام معنا أتم القيام ولانسب بيننا وبينه ولاسبب إلاّ ماجبله الله عليه من محاسن الأخلاق وكرم الأعراق ، وإلاّ فأي مناسبة بين أقصى (٤) المغرب وأقصى السودان ؟ فكافأه الله عنّا أحسن المكافآت .

وماقدرت على شهود الصلوات كلّها في المسجد إلا في أواخر جمادي (٥) الثانية . ولما استهل شهر ربيع الأول طلب مني أصحابنا أيضاً قراءة الشمائل (٦) فشرعنا فيها بعد صلاة الحنفي الصبح بباب النساء ، وعاق المرض

١ ـــ من عام ١٠٧٣ هـ الموافق ١٥ أيلول (سبتمبر) ١٦٦٢ م .

٢ ـــ كتاب في فروع الفقه المالكي . حاجي خليفة : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٦٢٨ .

٣ ـــ في (ب) : التحري . والتُّنْجري هذا لم أجد له ترجمة في كتب التراجم التي تيسر لي الرجوع إليها .

٤ ـــ في (ب) و (ج) : أقصا .

٥ ـــ في (ج) : جماد .

٦ ـــ سبق ذكره في ص ٥٢ من هذه الرسالة .

عن ختمها إلى جمادي الثانية . واستعرت من شيخنا ياسين [١] شرح المناوي [٢] على الشمائل [٣] للنظر فيه أيام القراءة ، فأعاره . وهو من أحسن مارأيت من الشروح عليها يباحث ابن حجر الهيثمي [٤] كثيراً ، ويحلّ اشكالات الملاّ عصام [٥] وينتصر له أحياناً فيما ردّه عليه ابن حجر . وممّا استفدته من هذا الشرح نقلاً عن الملاّ عصام في حديث رؤيا النبي ﷺ في النوم ، وأن [٦] الشيطان لايتمثل به [٧] مانصّه : قال الشيخ محي الدين [٨] في شرح السنّة [٩] بعد كلام يتعلق برؤية الله تعالى : ولايتمثل الشيطان بنبي من الأنبياء ، ولابملك من الملائكة ، ولا بالشمس ، والقمر ، والنجوم المضيئة والسحاب الذي فيه الغيث / .

---

١ ـــ ياسين بن محمد الخليلي ، ويعرف بابن غرس الدين أصله من فلسطين ، لكنه عاش بالمدينة وتولى التدريس والخطابة والامامة بحرمها ، توفي عام ١٠٨٦ هـ (١٦٧٥ م) ، ترجم له المحبي : المصدرالسابق ، ج ٤ ، ص ٤٩٣ .

٢ ـــ محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي القاهري : من كبار العلماء ، صنف في علوم كثيرة توفي عام ١٠٣٩ هـ (١٦٢٩ م) . ترجم له المحبي : المصدر السابق . وعبد الحي الكتاني : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢ .

٣ ـــ هذا الكتاب ذكره حاجي خليفة ، وهو شرح لشمائل الترمذي المسمى : الشمائل النبوية والخصائل المصطفوية . المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٠٤١ .

٤ ـــ يقصد المؤلف هنا حفيد ابن حجر الهيثمي ، وهو رضي الدين بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد ابن محمد بن علي بن حجر الهيثمي : عالم مصري تصوّف واختصر عدّة كتب ، من شيوخه الملاّ عصام المذكور في النص . وكانت وفاته بمكة عام ١٠٤٠ هـ (١٦٣١ م) ، ترجم له المحبي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٦٦ .

٥ ـــ عبد الملك بن جمال الدين العصامي الأسفراييني المعروف بالملاّ عصام : عالم باللغة أكثر كتبه شروح وحواشي ، مولده بمكة ووفاته بالمدينة عام ١٠٣٧ هـ (١٦٢٧ م) ، ترجم له المحبي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٨٧ . وابن معصوم : سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر القاهرة : مطبعة الخانجي ، ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) ، ص ١٢٢ .

٦ ـــ في (أ) : ومن كون .

٧ ـــ أخرجه البخاري في الجامع الصحيح ، كتاب العلم ، ج ١ ، ص ٣٦ .

٨ ـــ الأرجح أنه محي السنة ، وهو الحسين بن مسعود الفرّاء البغوي المتوفي عام ٥١٠ هـ (١١٧ م) له مصنفات كثيرة في السنة النبوية . ترجم له : ابن خلّكان : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٣٦ ـــ ١٣٧ .

٩ ـــ كتاب في علم الحديث . أنظر : حاجي خليفة : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٠٤٠ .

لطيفة :

كنت رأيت في النوم عند ابتدائنا لقراءة الشمائل أن صاحبنا الشيخ المسن عبد الكريم التّمام(١) أتاني بسبحة من جواهر ويواقيت ثمينة فجعل يظهر لي محاسنها ، واغتبطت بها كثيراً . فلمّا كان الغد بعد فراغنا من الدرس ابتدأ الشيخ عبد الكريم المذكور الصلاة على النبي ﷺ التي جرت العادة بختم المشايخ بها (٢) الدروس في البلاد المشرقية كلها مصراً وشاماً وحجازاً ، وهي : اللهم صل أفضل صِلاة على أشرف مخلوقاتك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، وسلّم عدد معلوماتك ومداد كلماتك كلّما ذكرك وذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون ، يكررونها ثلاثاً في آخر كل درس ، خصوصاً الدروس الحديثية ولم نزل نقرأها عند الفراغ من القراءة إلى ختم الكتاب ، فتأولتها الرؤيا التي رأيت .

ولعمري انها لرؤية صادقة . فإذا لم تكن الصلاة على النبي ﷺ في العبادات بمنزلة الجواهر واليواقيت في الأموال ، فلا شيء غيرها في العبادات أحق بهذا الوصف .

أخرى مثلها :

أخبرني صاحبنا الشِيخ محمد الفزاري ، وكان أوحد زمانه نسكاً وعبادة وملازمة للحرم الشريف ، وهو الذي ألحّ كثيراً قراءتنا للمختصر أنه رأى في نومه (٣) عند ابتدائنا لقراءة المختصر أنّ ساقية كبيرة كثيرة الماء صافيته أخرجت من البحر ، واغتبط الناس بها للشرب والسقي ، فجرت قليلاً ، ثم وقفت ، ولم تزد . فتأوّلها (٤) قراءتنا للمختصر ، والبحر هو ﷺ ، فمنه المدد

١ ـــ لم أجد له ترجمة في مصادر القرن الحادي عشر الهجري (١٧ م) .
٢ ـــ سقط من (أ) : بها .
٣ ـــ في (ب) : منامه .
٤ ـــ في (أ) : فتأولتها .

لكل معلم خير ومرشد إليه من أمته والوقوف على [1] ماحصل لنا من المرض المكفر ان شاء الله لذنوبنا .

لطيفة :

ويوم [2] قدومنا للمدينة كلّ من تكلمنا معه من أصحابنا المجاورين يقول لنا : استعدوا لحمّى المدينة فلابد لكم منها ، فانها تحفة النبي ﷺ وكرامته لجيرانه لتمحيص ذنوبهم .

وكان بعض أصحابنا يتمعّص [3] من ذلك ، وشق عليه سماعه منهم فيقول : نحن نرجو أن تكون كرامة النبي ﷺ لنا بغير ذلك . فكان أولنا وقوعاً في المرض [4] ، وأطولنا اقامة فيه . والله يغفر له ، ويكفر به زلله .

قلت : ولابعد ولانكر في تسمية الحمّى [5] بتحفته ﷺ فلذلك أصل في السنة . فقد ورد في بعض الأحاديث أن الحمّى [6] استأذنت على النبي ﷺ فقال لها : « اذهبي إلى الأنصار ، فان لهم علينا يدا » [7] أو كما قال ـــ عليه السلام ـــ . وروى الامام أحمد وغيره برجال الصحيح عن جابر : استأذنت الحمى [8] على رسول الله ﷺ فقال : « من هذه ؟ » فقالت : أم ملذم . فأمر بها إلى أهل قباء ، فلقوا مالايعلمه إلا الله ، فأتوه فشكوا ذلك إليه ، فقال : « ماشئتم ؟ إن شئتم دعوت الله ليكشفها عنكم ، وان شئتم تكون لكم طهوراً »

---

١ ـــ سقط من الأصل : على ، وكذا في النسخ . وصححت ليستقيم المعنى .
٢ ـــ في النسخ : من نوم .
٣ ـــ في (أ) : يتقمص .
٤ ـــ في (ب) : كلمة زائدة : آخرنا .
٥ ـــ في الأصل : الحما ، وكذا في (ج) ، والتصحيح من (أ) و (ب) .
٦ ـــ في الأصل : الحما ، وكذا في (ج) . والتصحيح من (أ) و (ب) .
٧ ـــ غير موجود في كتب الحديث التي رجعت إليها ، وسيأتي الكلام عن الحديث المشابه له معنًى بعد ذلك .
٨ ـــ في (ج) : الحما .

قالوا : أو تفعل ؟ قال : « نعم » قالوا : فدعها [١] . وفي رواية : « وإن شئتم تركتموها وأسقطت بقية ذنوبكم » .

ولاتحفة ولاكرامة لزائريه ﷺ أعظم ممّا يطهرهم من الآثام . وهل فارقوا الأهل والأولاد ، وقطعوا الأغوار والأنجاد [٢] ، وامتطوا ظهور النجائب وفلوا بأرجلها ناصية السباسب [٣] إليه ﷺ إلّا لتحط عنهم أوزارهم وتغسل أدرانهم ؟ فجزاه الله عن أمته أفضل ماجزى به نبياً عن قومه .

وقد حقق العارف ابن أبي جمرة [٤] — رضي الله عنه — أن المغفرة أعلى [٥] مايناله العبد من الله قائلاً : ان الرحمة وان نال منها الانسان ماعسى يمكن [٦] أن يبقى معها بقية ذنب يؤاخذ به [٧] بخلاف المغفرة ، ولذلك أمتنّ الله بها على نبيه ﷺ .

ومما أقرأته بالمدينة أيضاً مقدّمات [٨] الشيخ السنوسي [٩] ونقاية [١٠]

---

١ — رواه أحمد في مسنده باسناد ضعيف ، ج ٣ ، ص ٣١٦ ، (طبعة المكتب الاسلامي للطباعة والنشر) . في سنده أبو سفيان ، طلحة بن نافع : (قال أحمد بن زهير : سئل عنه ابن معين فقال : لاشيء . وقال ابن المديني: كانوا يضعفونه في حديثه) . الذهبي : ميزان الاعتدال ج ٢ ، ص ٣٤٢ . ثم انه وردت أحاديث صحيحه تتنافى مع مضمون هذا الحديث المنسوب لرسول الله ﷺ : « اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، وصححها لنا وأنقل حمّاها إلى الجحفة » البخاري : الجامع الصحيح ، كتاب فضائل المدينة ، ج ٣ ، ص ٢٢٥ .

٢ — في (ب) : الأمجاد .

٣ — الأراضي البعيدة المقفرة . ابن منظور : المصدر السابق .

٤ — محمد بن أحمد ، ابن أبي جمرة : فقيه مالكي من أعيان الأندلس ، تقلّد القضاء في عدد من مدنها ، توفي عام ٥٥٩ هـ (١١٦٣ م) ، ترجم له ابن العماد : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٣٤٢ .

٥ — في (أ) و (ج) : أعلا .

٦ — في (أ) : فيمكن .

٧ — في الأصل : بها . وكذا في (أ) و (ج) .. والتصحيح من (ب) .

٨ — ذكره سركيس في معجم المطبوعات ، ج ٢ ، ص ١٠٥٨ .

٩ — محمد بن يوسف بن عمر : عالم تلمسان في عصره وصالحها ، توفي عام ٨٩٥ هـ (١٤٨٩ م) ترجم له : المليتي التلمساني : المصدر السابق ، ص ٢٣٧ ، وسركيس : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠٥٧ .

١٠ — اسمه (النقاية) ، وهو مختصر في أربعة عشر علماً مع زبدة مسائلها . حاجي خليفة : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٩٧٠ .

السيوطي ، كلّفني بعض أصحابنا المحبين من أهل السودان بقرائتها [١] وماكنت قرأتها قبل وأقرأتها ، إلّا أنها لمّا كانت مبادىء علوم قد قرأنا فيها ماتيسر وحصلنا منها النصيب الذي قدر جسرنا على قراءتها إلّا فنين منها لم أقرأهما ولم أقرئهما ، وهما فنّ التشريح والطب ، فقد امتنعت من اقرائهما حين الوصول إليهما ، فألحّ [٢] عليّ فيهما وقال : اني أقنع بما فهمت من كلام المصنف

فقلت : انّ الله / يقول : ﴿ ولاتقف ماليس لك به علم ﴾ [٣] ، وأنا لاعلم لي بهذين العلمين ، ولم يتقدم لي فيهما قراءة على شيخ ، ومايظهر من العبارة لايكفي في تفسير العلم إذ لكلّ علم اصطلاحات لايعلمها إلا أربابه . وأنا أكره ان تعاطيت ذلك الكذب خصوصاً في حرم الرسول ﷺ وحول قبره بمرأى منه ومسمع [٤] فلا يبالي ، وأعفاني [٥] من ذلك . وأقرأت أيضاً القرطبية في فقه مالك [٦] ، وأقرأت أيضاً نحو ربع الألفية [٧] ، وبعض مختصر العصامي (٨) في الاستعارة ، كلّ ذلك في محل جلوسنا تحت الأسطوانة التي عن يسار السرير الذي يقوم عليه المؤذنون في الصف الذي يلي صحن المسجد،

وكان عامة جلوسنا هناك . وبعدما خرجت من المدينة كتبت لأصحابنا بأبيات ثلاثة في رقّ ، وأمرتهم بالصاقها في الأسطوانة التي كنت أجلس اليها تذكرة بي لأنال من دعائهم ، وهي هذه :

أجيران خير الخلق (٩) منوا بدعوة ... لمن ناب عنه في الخطاب بنانه
لئن غاب عنكم شخصه ففؤاده ... لديكم رهين لاتفك(١٠) رهانه

١ ـــ في الأصل قراءتها ، وكذا في النسخ . وصححت ليستقيم المعنى .

٢ ـــ أي الرجل السوداني الوارد ذكره في ص ١٩٦ .

٣ ـــ الآية بالتمام : ﴿ ولاتقف ماليس لك به علم . ان السّمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا ﴾ . الآية ٣٦ من سورة الأسراء .

٤ ـــ لايوجد في منقول الشريعة الاسلامية ولامعقولها سند لمثل هذه الأقوال المتعلقة برؤية النبي ﷺ وسماعه وهو في قبره . وهي بلا شك من شطحات الصوفية .

٥ ـــ في الأصل : ماأعفاني ، وكذا في (أ) و (ج) . والتصحيح من (ب) .

٦ ـــ لم أجد هذا الكتاب في فهارس الكتب التي رجعت إليها .

٧ ـــ لابن مالك في النحو ، وسميت بالألفية لأنها ألف بيت في الرجز . حاجي خليفة : المصدر السابق ج ١ ، ص ١٥١ .

٨ ـــ تقدّمت ترجمته في ص ١٩٢ من هذه الرسالة .

٩ ـــ في (أ) : خلق الله .

١٠ ـــ في (أ) : لايفك .

فـان خفتـم نسيانــه فكتابــه يذكّركـم بــه وهــذا مكانــه

وأما ماقرأته بالمدينة على المشايخ القاطنين بها والواردين عليها[1] فسيأتي ذكره عند ذكر من لقيته بالمدينة من المشايخ والأصحاب الذين ينبغي أن يشاد بذكرهم .

ولما كان منتصف صفر[2] دخل الركب العراقي المدينة المشرفة[3] ونزلوا بركبهم شامي سَلْع من غربي ذباب إلى قريب من مساجد الفتح . وكنا نخرج في بعض الأيام إلى مخيّمهم قصد التفرج . وتأخر في هذه السنة قدومهم إلى المدينة لبطئهم في الطريق كثيراً . ذكر لي بعضهم أنهم أخذوا في مابين مكة والمدينة نحواً من خمسة وأربعين[4] يوماً بسبب أداء المكوس الموظفة عليهم من قبل الأمراء ، فقد أدّوا من ذلك كثيراً . وأخبرني بعضهم أنّ جملة ماأدّوا من المكوس من يوم خروجهم من بلادهم بأصفهان يزيد على خمسين ديناراً ذهباً لكل رأس ، والخمسون عندهم معدّة لهذا يعدّونها من بلادهم . كلّ من خرج للحج منهم يخرج زيادة على مايحتاج من النفقة والكراء خمسين ديناراً للمكوس التي تؤخذ منهم في الطريق . فان كانت المكوس التي تنوبهم[5] الخمسين فأقلّ لم يتضرّروا بذلك لاستعدادهم لها وإخراجهم بها مخرج الصدقة ، ومازاد على الخمسين استضروا به . وقد أخذ منهم في هذه السنة عامل البصرة لما مرّوا بها ثلاثين ديناراً ، وذلك بأنّهم لايأتي معهم من بلادهم عسكر يحميهم في الطريق من أعرابها ومحاربيها . فإذا وصلوا إلى البصرة أشخص معهم عامل البصرة عسكراً من ناحيته وأميراً من قبله حتى يردّهم إلى البصرة ، فيأخذ منهم ذلك لأجل هذا متعللاً بأنهم ليسوا في ولاية سلطانه فلاتجب عليه نصرتهم ولا حمايتهم إلا باتاوة يأخذها منهم .

---

١ ــ في (أ) : بها .

٢ ــ عام ١٠٧٣ هـ الموافق أيلول (سبتمبر) ١٦٦٢ م .

٣ ــ يقصد المؤلف بالركب العراقي أهل عراق العجم . وهو مايسمى بإيران حالياً .

٤ ــ في الأصل : من خمس وأربعين ، وكذا في (أ) و (ج) . والتصحيح من (ب) .

٥ ــ تفرض عليهم ، من النايبة أي الضريبة عند أهل المغرب .

وأما سلطانهم فهو الشاه ملك أصفهان وما والاها من عراق العجم [1] ممّا وراء النهر[2] ، وعساكره لاتقدر على الوصول إلى عراق العرب الذي هو من أعمال مملكة صاحب الروم [3] . ولأجل ذلك لايدفع هذا المكس أهل بغداد ولأهل الكوفة والبصرة وان قدموا معهم في الركب لأنهم [4] في طاعة ملك الروم وايالته . وأمراء هذه البلاد عماله ، فيلزمون بحماية الرعيّة [5] والذب عنها في مقابلة الخراج المأخوذ منهم في كل سنة / . ومن لايصل خراجه إلى بيت مال السلطان فيذبّ عنه سلطانه الآخذ لخراج بلده ، وإلّا فلاحماية له إلّا بما يدفعه .

وهذه سياسة كسروية ومقاصد دنيوية ماأنزل الله بها من سلطان ، ولا جاء بها في سنّة نبيّه من بيان . فكلّ المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه ونصرته وحمايته على القادر واجبة ولو كان أحدهما من أقصى المشرق والآخر من أقصى المغرب . فمابالك بوفد الله ووفد رسوله ، فالذب عنهم والدفاع واجب على كل أمير ومأمور رعاية لجانب الله ورسوله . واهتضامهم واذلالهم بأخذ الخراج الزائد على الجزية أضعافاً مضاعفة [6] هضم لجانب الدّين وسيرة الأئمة المعتدين لا المهتدين . بيد أن هؤلاء المأخوذ منهم المكوس روافض فسّاق في الاعتقاد ، فهم جديرون بأكثر من ذلك من الاهانة . إلّا أن انتظامهم في سلك الحجاج الوافدين على الله ورسوله ، واتسامهم بسمة الاسلام يوجب لهم حرمة ماداموا في طريق الحج . على أن الآخذين منهم لم يقصدوا بذلك اهانتهم على فسقهم وسوء معتقدهم ، بل طلباً لحطام الدنيا واتباعاً للسياسة الكسروية كما قدّمنا :

---

١ ــ منطقة في غرب ايران أطلق عليها العرب عراق العجم . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٩٣ . وهذا دليل على ماسبق قوله من أن العراقيين في نظر المؤلف هم أهل عراق العجم .

٢ ــ يراد به ماوراء نهر جيحون بخراسان . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١٤٥ . وهذا ولاشك وهم من المؤلف لأن بلاد ماوراء النهر ليست من عراق العجم .

٣ ــ السلطان العثماني .

٤ ــ سقط من (أ) : لأنهم .

٥ ــ في (ب) : الرعاية .

٦ ــ ذكر العيّاشي هنا مايُستوفى من الحجاج بدون وجه حقّ ، وعبّر عنه بقوله : (أخْذِ الخراج الزائد على الجزية أضعافاً مضاعفة ..) وهذا تعبير خاطىء لأن ماكان يُستوفى من الحجاج من رسوم لايصح تسميتها خراجاً أو جزية لأن لهذين الاصطلاحين حدوداً وأوصافاً شرعية معروفة ذكرها الفقهاء .

فلو فرض أنهم أهل سنة وجماعة مااحترموهم لأجلها ، ولعاملوهم بمثل ذلك أيضاً . وحينئذ فمدار أمورهم ومقاصدهم على مايصلحون به أمور دنياهم وان أضر بآخرتهم ، والله المستعان .

وناهيك بما يقع لحجّاج المغاربة عند دخولهم مصر وخروجهم منها ، إلا أنهم لايأخذون إلّا ممّن معه تجارة . وعند الخروج من مصر لايأخذون إلّا من أهل المغرب الأقصى وأهل السودان متعلّلين بما ذكرنا .

أولاً : انهم ليسوا من رعية السلطان ، فلا يخرجون السلع من بلد السلطان إلا بلاد سواها إلا بجعل وخراج ، قاتلهم الله أنّى يؤفكون . وقد ذكر بعض المؤرخين أن مثل هذا كان يقع قبل هذا الزمان من أمراء مكة للحجّاج المغاربة فيأخذون منهم قدراً معلوماً من المال على كل غني وفقير . ومن لم يكن له مال يدفع منه ذلك المقدار حبس حتى يفوته الحجّ إلى أن قيّض الله لذلك بعض صالحي ملوك مصر [١] ، فبعث إلي أمير مكة في اسقاط ذلك عن الحاج وجعل له قدراً [٢] عظيماً من الأموال يأتيه في كل سنة من مصر ، فانقطعت تلك المحنة بسبب ذلك [٣] ، فجزاه الله عن المسلمين خيراً . فهكذا ينبغي أن تكون همم الملوك في النظر في مصالح المسلمين ، ودفع الضرر عنهم بأنفسهم وأموالهم ان لم يكن إلا ذلك .

وعلّة أمراء مكة في أخذ ذلك كالذين أسلفنا ذكرهم ، فيقولون : نحن حماة الحرم والذّابين عنه وعن الوافدين عليه ، ولولا ذلك لاختطفتهم ذئاب الأعراب [٤] ، ولايقوم ذلك إلا بعساكر وحماة ، ولاقيام لهم إلا باموال، وبلاد الحجاز ضعيفة لايفي مايتجصل من خراجها بذلك ، فلابدّ لنا من أموال نستعين بها على ذلك امّا من سلاطين الأقطار [٥] أو من رعاياهم إذا وصلت

---

١ ــ صلاح الدين الأيوبي .
٢ ــ في (ب) : كلمة زائدة : معلوماً .
٣ ــ هذا يتفق مع مأأورد ابن جبير في رحلته ، ط ٢ ، بيروت : دار صادر للطباعة ، ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م ، ص ٥٤ .
٤ ــ في (ج) : لاختطفهم دبان الأعراب .
٥ ــ في (أ) : الأقدار .

إلينا . فلهذا (١) لايأخذ سلطان مكة شيئاً (٢) من كل من يرد من الشام ومصر والمغرب لأنه وان كان مستقلاً في مملكته هو (٣) في الحقيقة عامل من عمّال الخاقان الأعظم صاحب الروم يأتيه من مصر من الأموال والأطعمة مايقوم بكفايته وكفاية عساكره (٤) .

وأما أهل اليمن فأمراؤه من الامامية (٥) أقاربه في النسب بل والمذهب ، وبينهم مواصلات كثيرة ومحاماة (٦) .

وأما أهل (٧) الهند فلايقدمون إلّا في البحر وغالبهم تجار ، فيدفعون العشر ــ بجدّة . وان قدم بعض كبرائهم قاصداً / الحج فقط فانّه يستصحب من الهدايا والتحف مايجلّ وصفه .

وأخذ أمير مكة في هذه السنة من هؤلاء الأعاجم أهل العراق أحد عشر ديناراً ذهباً لكل نفس ، ستة لدخول مكة وخمسة لدخول المدينة . وقد حبسهم عن المشي بعد الخروج من مكة إلى مرّ الظهران حتى أقاموا هناك (٨) نحواً من اثني عشر يوماً بسبب بقيّة بقيت عليهم من الخراج المؤدى . فلمّا وصلوا إلى بدر حبسهم أميرهم هناك أسبوعاً حتى أعطوا ثمانية دنانير أخر (٩) لكل نفس متعللاً بانقضاء الزاد والعلوفة بسبب التعطيل المذكور . وهذا كله سوى مايعطونه الأعراب من يوم خروجهم من المدينة . وقد قدموا في هذه السنة بركب عظيم فيه داية (١٠) الشاه وطبيبه وحاجبه أو وزيره . وعدّة الذين

---

١ ــ في (ب) : ولهذا .
٢ ــ في الأصل : شيا .
٣ ــ في (أ) : لأنه .
٤ ــ والخاقان عند العرب علم جنس لملوك التتر والترك والصين . ابن منظور : المصدر السابق . ويفهم من كلام المؤلف أن المقصود بالمغرب هنا الجزائر وتونس لأنه سمى المغرب بالمغرب الأقصى أنظر ص ٢٠٠ .
٥ ــ فرقة من فرق الشيعة . أنظر : محمد بن عبد الكريم الشهرستاني : الملل والنحل ، تحقيق كيلاني القاهرة : مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٨١ هـ (١٩٦١ م) ، ج ١ ، ص ١٦٢ .
٦ ــ في الأصل : محامات . وكذا في النسخ .
٧ ــ سقط من (ب) : أهل .
٨ ــ في (ب) : هنالك .
٩ ــ في (ج) : آخر .
١٠ ــ الحاضنة بالفارسية ، أحمد رضا : المصدر السابق .

أعطوا المكس من الأعجام سوى الأعراب والخدام ثمانية عشر مائة . وطالت اقامتهم في المدينة قريباً من شهر . ولم يكن فيهم نفع لأهل المدينة من بيع ولاشراء ولاصدقة إذ جلّهم روافض . ويقصدون بصدقاتهم من هو على مذهبهم ولايزورون من مزارات البقيع إلّا مشاهد أهل البيت فلهم عليها ازدحام . وعند زيارة الرسول ﷺ لايقفون للسلام على أبي بكر وعمر — رضي الله عنهما — ، بل كثير منهم لايمرّون بالناحية التي هما فيها .

وقد مرض واحد من [1] أصحابنا ونحن إذ ذاك بمشهد السيد إسماعيل وكان يضطجع بباب المشهد وعليه ثوب أحمر ، والأعجام يلبسون الأحمر في الغالب ، فإذا رأوه على باب [2] المشهد وعليه زيّهم مع ملازمته لمشهد السيد إسماعيل ظنوه على مذهبهم فتيمّموه بصدقاتهم [3] . ولم يرتحل هؤلاء اللئام من المدينة حتى سئم أهل المدينة مقامهم وملّوا جوارهم لِمَا أفسدوا بسرحهم من النخيل والبساتين . وكانت ابلهم ترعى بناحية الحرّة الشرقية إلى قريب من أحد وإلى الغابة ، فأفسدت [4] من صغار النخيل وضعيف الشجر كثيراً . وأغلوا الأسعار بالمدينة لنفاذ زوادهم وعلوفاتهم [5] ، فارتحلوا في التاسع أو الثامن من ربيع الأول [6] .

غريبة :

بينما أنا ذات يوم بالحرم الشريف ومعي رجل من شرفاء [7] بلاد المغرب له رواء [8] ، وبين أيدينا كتب منها سفر من الفتوحات المكية [9] ، وسفر

١ — في (أ) : بعض .
٢ — في (أ) : بباب .
٣ — هذا غريب أيضاً لأن اللون الأحمر مكروه عند الشيعة ويعدّونه شعار الأمويين ! .
٤ — في (ب) : فأفسدوا .
٥ — ومعنى ذلك أنهم كانوا يشترون الطعام والعلف من أهل المدينة .
٦ — عام ١٠٧٣ هـ الموافق ٢٠ و ٢٢ تشرين الأول (أكتوبر) ١٦٦٢ م .
٧ — في (ب) : الشرفاء .
٨ — مظهره حسن . ابن منظور : المصدر السابق .
٩ — اسمه بالكامل الفتوحات المكية في معرفة أسرار المالكية والملكية ، وهو في التصوف . حاجي خليفة : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٢٣٨ .

من المحاضرات والمسامرات [١] كلاهما للشيخ محي الدين إذ جلس الينا رجل من أصفهان زعم أنه شريف ــ أظنه سنّي ــ ممّن قدم في ذلك الركب . فقال لصحابي : أنت من طلبة العلم ؟ لما يرى من حسن سمته وبذاذة ملبسي ، فأشار له صاحبي إليّ . فأخذ يسألني عن الكتب التي بين يديّ ، وأنست إليه حين زعم أنه شريف ، وزعم أنه مالكي المذهب . فسألته عمّا يقرأ بناحيتهم من كتب المذهب فتبيّن لي كذبه . ثم أخذ يسألني ولم أعرف سوء معتقده فكان ممّا قال لي أن قال : مامعنى الله ؟ ولم أفهم سؤاله فقلت : علم على الذات الواجب الوجود ... الخ ما [٢] يقال [٣] في ذلك . فقال : مامعنى العلم ؟ فأجبته . وكانت في كلامه لكنه أعجمية ، وكان يريد غير ماأجيبه به ثم تأملت كلامه فإذا هو يريد البحث في مسألة الاسم ، هل هو عين المسمى أو غيره ، فتكلّمت معه في ذلك بما لأئمتنا من التفرقة بين معنى [٤] الاسم والمسمى والتسمية ، وأنّ الخلاف في ذلك عند المحققين يرجع إلى وفاق . ثم انتقل إلى الكلام في مسألة اثبات الصفات ، فشممت منه رائحة انكارها بل صرح بذلك إلاّ أنه يوري فيقول : هم يزعمون كذا ، وأن معنى الوارد في اثباتها كذا ، وأنّ اثباتها يؤدي إلى كذا . وكلّما أقمت / عليه حجّة في اثباتها أورد [٥] ماستدلوا به على نفيها يقول : لو كنت تفهم العجمية لأجبتك . وكان لسانه بالعربية فيه بعض ثقل ، وعلى كل حال له مشاركة حسنة وقوة بحث في المعقولات على مذهب [٦] الاعتزال ، إلاّ أني بحمد الله لم يورد علي إشكالاً في معتقد أهل السنة إلاّ نقضته وأزلته ، فلايكون له جواب إلاّ ماتقدم من التعلل بعدم معرفتي بلسانه . فكان آخر ماقلت له : نحن معاشر أهل السنة والجماعة نجعل معتمدنا [٧] في العقائد الدينية والأدلة النقلية من الكتاب والسنة الصحيحة الموافقة للأدلّة العقلية ، ونردّ ماخالف الكتاب والسنة من مقتضيات

---

١ ــ اسمه محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار : يتضمن ضروباً من الآداب والمواعظ والأمثال والحكايات وأخبار الأوائل . المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٦١٠ .

٢ ــ سقط من (أ) : ما .

٣ ــ في (أ) : ما يقال .

٤ ــ في (أ) : مسمى .

٥ ــ في الأصل : ورد . وكذا في النسخ .

٦ ــ في (أ) : مذاهب .

٧ ــ في (أ) : معتقدنا .

الفهوم والآراء ، ونقدّم رأي صاحب الشريعة ﷺ وفهمه ، ورأي السلف الصالح وفهمهم على آرائنا وأفهامنا ولانتهمهم (١) في ذلك . وأنتم بالعكس تحكّمون عقولكم (٢) وأوهامكم ، فتحمّلون الأدلّة الشرعية كلها المقطوع بها على مايوافق أهواءكم وآرائكم ، فتصيرون المتبوع تابعاً والتابع متبوعاً . فشتان بين من يحكّم الكتاب والسنة على عقله ورأيه ويردّ ماخالفهما اليهما بتأول تشهد له اللّغة ولاينفيه العقل ، وبين من يحكّم عقله ورأيه فيحمل عليهما الكتاب والسنة بتكلّف وتعسّف ، ويتخذ الهه هواه ومعبوده موهومه . فكادت أصواتنا أن ترتفع حتى اجتمع إلينا ناس ممن بالمسجد . ويمنعني من الوقوع به والاغلاظ عليه بعد تحقق مذهبه وسوء معتقده انتسابه إلى أهل البيت (٣) . ثم تكلّم في مسألة الكلام ، فأقيمت صلاة العصر ، فقمنا إلى الصلاة ، وافترق المجلس ، ولم ألقه بعد ذك . وقد أخبرت بعد ذلك أنه اجتمع بشيخنا بدر الدين الهندي (٤) وهو من هو في تحقيق العلوم النظرية . وكان ذلك بمجلس صاحبنا أحمد بن التاج (٥) رئيس المؤقتين (٦) بالحرم الشريف . فدار الكلام بين الأعجمي وبين شيخنا ، فألقى عليه الشيخ سؤالاً . فقال العجمي : لا أجيبك عن هذا إلّا لو كنت في بلدي (٧) ، إذا أقمت عليك الحجّة أمرت بإحراقك بالنار ، فينفذ أمري .

---

١ ــ في الأصل : ونتهمها . وكذا في النسخ . وصححت ليستقيم المعنى .

٢ ــ في (أ) : بقولكم .

٣ ــ والواقع أن انتساب أهل الباطل والضلال إلى آل البيت لايمنع من قول الحق والقدح فيهم والنيل منهم حتى لو كانوا من قرابة رسول الله ﷺ . كلاّ ، ان الانتساب إلى آل البيت لاقيمة له في ميزان الاسلام مالم يتربط بالمنهج الصحيح الذي ارتضاه الله لنا في مختلف أوجه الحياة . وهل نفع أبا لهب نسبه وقرابته من رسول الله ﷺ وقد نزلت فيه : ﴿ تبت يدا أبي لهب وتبّ ﴾
ومع الأسف الشديد لازالت هذه الفكرة ــ وهي من بقايا الفاطميين ــ تسيطر على أذهان كثير من الناس ، ويتخذها البعض وسيلة يخدّر بها العقول ، ويدعّم بها منسوبيته إلى الاسلام ، وان كان في الواقع يجثم على صدر الاسلام .

٤ ــ لم أعثر له على ترجمته فيما رجعت إليه من مصادر .

٥ ــ أحمد بن التاج الدين الأنصاري : عالم مالكي من أهل المدينة ، توفي عام ١٠٧٣ هـ (١٦٦٢ م) ترجم له المحبي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٧٨ .

٦ ــ مفرده المؤقت أي من يراعي الأوقات والأهلّة . ابن منظور : المصدر السابق .

٧ ــ في الأصل : بلد . وكذا في (ب) و (ج) . وفي (أ) : بلاد . وصححت ليستقيم المعنى .

قلت : وهذه جرأة عظيمة منه قاتله الله وتساهل ممّن حضر ذلك ، إذ كان حقهم أن يذيقوه على هذه الجرأة على أهل السنة في بلاد السنة مايستحقه من النكال وعظيم الوبال أو يرفع أمره إلى الولاة (١) ويعرّفون بما يستحقه على ذلك . إلا أن الاهتمام بمثل هذا في هذه الأوطان أغرب من غريب ، ولو رفع إليهم مارفعوا رأساً . وقد نقل صاحبنا عبد الغني الحلبي (٢) صورة المجلس بيني وبينه إلى شيخنا الملاّ إبراهيم بن حسن الكوراني (٣) . وكانت له قوة نظر وادراك ، وحسن تصرف ، ومعرفة بلسانهم . فقال لي لمّا لقيته : لولا أنّا نهينا عن مفاتحتهم (٤) لبعثت إليه ، ولأخذت عليه بآفاق السماء حتى أكبّه على وجهه .

ولقد صدق انّه لجدير بذلك ، فإنّه والله اليوم الذي لايتعيّن لمناظرة أهل الأهواء سواه لما أتاه الله من العلم والحكمة ونورانية الظاهر والباطن وعلم باصطلاحات أهل كل علم ممّا يتوقف عليه إثبات العقائد الدينية بأدلتها القاطعة فنسأل الله تعالى أن يمدّ الوجود باطالة بقائه ، وأن يفيض الجود من مدده علينا . آمين / .

ولما استهلّ ربيع النبوي (٥) نظّف الحرم الشريف وفرش بفرشه المعهودة من الزرابي المبثوثة الحسان التي لايوجد لها نظير إلّا في بيوت الملوك ، وغالبها يأتي من أراضي الهند من عند ملكها (٦) . وقد رأيت سُدى بعضها حريراً خالصاً ، وكنت أتوقى الصلاة فيها . وطعمها (٧) من جيّد الصوف الملون الذي لايكاد يفرق بينه وبين الحرير إلا ذو بصيرة ، يفرش بها المسجد النبوي أعني

---

١ ـــ في الأصل : الولات . وكذا في (أ) و (ج) . والتصحيح من (ب) .
٢ ـــ في (أ) : الحالبي . والحلبي هذا لم أهتد إلى ترجمته .
٣ ـــ سبقت ترجمته في ص ١٣١ .
٤ ـــ في (ب) : مباحثهم .
٥ ـــ يقصد المؤلف هنا ربيع الأول كما سيتضح فيما بعد من تنظيف الحرم وفرشه وتزيينه استعداداً لذكرى المولد النبوي .
٦ ـــ في (ب) : ملوكها .
٧ ـــ الخيوط التي تنسج بواسطتها الزرابي باللهجة المغربية ، وهي : (اللحمة) .

القديم المسقف كله . وأخرجت الربائع [1] التي فيها المصاحف العتيقة والأجزاء الحسان من وقف الملوك والكبراء وصفّت [2] في قبلي المسجد ، وفتحت خزائن الكتب العلمية الموقوفة بالحرم الشريف يستعير منها الناس للقراءة وشرع الأئمة في القراءة والتدريس .

١ — في لهجة أهل المغرب الصناديق الصغيرة .
٢ — في (أ) و (ب) : صففت .

ذكر عادات أهل المدينة :

وكانت عادتهم إذا كان اليوم السابع عشر من ذي القعدة ويسمّونه الكنيس جمعت بسط الحرم الشريف كلّها وأدخلت إلى المخازن فلايبقى [١] في المسجد إلا الحصر ، وأدخلت المصاحف التي في المسجد والسبحات إلى الروضة ، وردّ كل من استعار كتاباً إلى صاحبه أو إلى ناظر الخزانة التي أخذه منها ، واقتضي غالب الديون ، وتفاصل الشركاء ، وانتهى أمد غالب الأكرية يتهيأون بذلك للموسم لأنّه في غالب الأمر مظنّة ارتحال قاطن وقدوم غائب واجتماع الناس من الآفاق واشتغال أهل المدينة بقبض الأوقاف والجرايات التي تأتيهم من الآفاق ، وذهاب من يرد النّسك إلى مكّة أو من يريد التجارة ، فلايبقى [٢] بالمدينة إلّا قليل من الناس . ويكنس الحرم الشريف في ذلك اليوم وفيه يكنس البيت العتيق بمكة أيضاً ، ويفعل فيها مثل ذلك .

وأيام الموسم عند أهل الحرمين الشريفين فيها يجمعون غالب أمور معاشهم فلايتفرغ أحد لتدريس ولاعبادة إلّا ما لابد منه . فإذا انقضت أيام الموسم ، وذهبت الركبان الواردة من الآفاق ، ولم يبق بالحرمين إلا أهلهما رجعوا إلى معتاد حالهما في الأمور الدينية من القراءة والتدريس وأنواع العبادات ، الدنيوية من الفلاحة والتسعير في الأسواق وتصحيح المكاييل والموازين . وأمّا الموسم فلاسعر معلوماً ، ولا مكيال وافياً ، ولاميزان صحيحاً [٣] ، كلّ يفعل ماشاء ولايتكلم الولاة [٤] في شيء من ذلك إلّا أن يقع أمر مهم .

ولمّا تأخر ارتحال الأركاب في هذه السنة تأخر فرش الحرم الشريف إلى أول ربيع [٥] ، وتنافس الناس في الخدمة في ذلك اليوم بنقل البسط وغيرها وعمل في ذلك الأمراء العظام فمن دونهم . وناهيك بشرف مقام يتشرف أعظم

---

١ — في (ج) : يبقا .
٢ — في (ج) : يبقا .
٣ — في (أ) : صحيح .
٤ — في الأصل : الولات ، وكذا في (أ) و (ج) . والتصحيح من (ب) .
٥ — فاتح ربيع الأول من عام ١٠٧٣ هـ الموافق ١٤ تشرين الأول (اكتوبر) ١٦٦٢ م .

الملوك بتولّي خدمته ، ويجعل بسطه التي تداس (١) بالأرجل على رقبته ، ويعفر مصون شيبه في قتير حصره ، ويكمل بتراب أرضه انسان عين بصره (٢) . ولقد رأيت الأمير إبراهيم الذي كان أمير الحاج المصري ، وهو من الأمراء الكبار مشمّراً عن ساقه قد جمع عليه ثيابه ، وقد كاد الغبار أن يواري بشرة وجهه وهم يخرجون صناديق الكتب من الحجرة الشريفة . وماكان يتولى الخدمة هناك إلّا من ومن . ولقد جهدت أن أتشرف بشيء من تلك الخدمة فلم أقدر إلّا على بسط الفرش في محلّها بعد وصولها إليها . وفي ذلك والحمد لله كفاية ينال بها محصّلها أكبر غاية / .

ولما قربت ليلة المولد الشريف وهي الثانية عشر (٣) بولغ في تنظيف الحرم وتزيينه ، وغسلت مصابيحه ، وجعل فيها مائع شديد الحمرة لاأدري ماهو وألقي فوقه قليل زيت طيّب أخضر . فإذا توقد المصباح ظهر اشراقه (٤) لشدة صفائه وملاقاته لضوء النار ، وأشرقت حمرة ذلك المائع لكونها ملاقية لصفاء الزجاج ، فتصير حمرته كحمرة الياقوت ، وذلك الخطّ من الزيت فوقه أخضر كالزمرد ، وفوقه صفاء الزجاج يتموّج فيه ضوء النهار ، وينعكس فيما زجّ اشراقه صفاء الزيت وخضرته ، وصفاء المائع الأحمر وحمرته ، فلاتسل عن حسن ذلك المنظر وبهائه . وقد رتّبت المصابيح في تعليقها ترتيباً حسناً لائقاً ، وشكلت تشكيلاً بديعاً بين تربيع وتدوير ، فياله من منظر (٥) ماأبهجه ، وليل ماأسرجه ونور النبوة مشرق على كل ذلك ، مبرز (٦) على جميع (٧) ماهنالك .

فقد اتفق أرباب الأذواق السليمة أنّ كل شيء مستحسن في الدنيا من ملابسها وجواهرها ويواقيتها وطيبها يزداد حسناً في المدينة على حسنه الذي كان قبل ذلك ، وذلك لسرّ يدركه أهل البصائر بصفاء السرائر . وكيف لا وتلك

---

١ ــــ في (ب) : تدرس .
٢ ــــ أي بؤبؤ عينه .
٣ ــــ من ربيع الأول عام ١٠٧٣ هـ الموافق ٢٥ تشرين الأول (اكتوبر) ١٦٦٢ م .
٤ ــــ في الأصل : فإذا توقد ظهر إشراق المصباح . وكذا في النسخ . تركيب العبارة ركيك ، وصححتها لتلافي التكرار .
٥ ــــ في (ج) : فيا لك من منضر .
٦ ــــ في (ب) : برز .
٧ ــــ في (أ) : بجميع .

حضرة مظهر أصل [1] الجمال ومنبع الكمال فما من جمال في الدنيا والآخرة إلّا وهو مستمد من ذلك الجمال ، فكيف لايزداد حسناً عند حصوله بمحلّ أصل الجمال لقربه من منبعه وقرب استمداده من مجمعه .

فإذا كان بعد صلاة العصر من اليوم الحادي عشر [2] أخرجت القناديل الكبار والحسك العظام من الحجرة غالبها من النحاس المطلي بالذهب ، فمن لم يعرف أصلها لايظنها إلا ذهباً خالصاً . وكل واحدة أعظم من قعدة الرجل العظيم . وصفّت في صحن المسجد ، ووضعت فيها [3] الشموع الغليظة الصافية اللّون ، منها مايزن نصف القنطار ، ومنها دون ذلك . وفي وسط تلك القناديل قنديل كبير من فضة خالصة زنته [4] أكثر من قنطار فيه خمس حسك كبار من فضة مدوّر [5] الشكل . فيوضع في كل حسكة منه شمعة ، وتبسط البسط الرفيعة من جوانب [6] القناديل من كل جهة لجلوس الأمراء وأرباب المراتب ولجلوس المنشدين . فإذا صليت المغرب أوقدت المصابيح كلها والشمع الذي [7] في صحن المسجد ، وأخذ الناس في الاجتماع ، وأوقدت [8] أربعة [9] مشاعل كبار على أساطين معدة لذلك في صحن المسجد اثنان في مقدمه واثنان في مؤخره . فإذا صلّيت العشاء جلس الأمراء في الفرش [10] المعدّة لهم كل على [11] مرتبته ، وجلس الشعراء أمامهم والمنشدون ، وضربت خيمة قريبة من باب النساء ، ووضعت فيها أنواع الأشربة الحلوة .

١ ـــ في (ب) : أهل :
٢ ـــ من ربيع الأول عام ١٠٧٣ هـ الموافق ٢٤ تشرين الأول (أكتوبر) ١٦٦٢ م .
٣ ـــ في الأصل : فيه . وكذا في النسخ .
٤ ـــ في الأصل : زينته . وكذا في (ج) . والتصحيح من (أ) و (ب) .
٥ ـــ في (أ) : ومدور .
٦ ـــ في (أ) : جوانبها .
٧ ـــ في الأصل : التي . وكذا في النسخ .
٨ ـــ في (أ) : أقدت .
٩ ـــ في الأصل : أربع . وكذا في النسخ .
١٠ ـــ في (ب) : الفراش .
١١ ـــ في (ج) : على كل .

فإذا امتلأ المسجد وغصّ بأهله وجلس كل واحد في موضعه قام المنشدون فينشدون من غرر القصائد في مدح النبي ﷺ ما انتخبوه وأعدّوه لذلك الموضع بألحان عجيبة وتراجيع متسقة ، وبازائهم جماعة يردّون عليهم بأصوات حسنة فيجيء السقاؤون [1] بأنواع الأشربة الحلوة ، فيسقون الأمراء / ، ثم المنشدين ومن معهم من أتباعهم [2] ، ثم سائر الناس . ثم يؤتى بأنواع الرياحين والأزهار فتوضع بين أيديهم أضغاثاً ، ثم تفرّق أيضاً على الحاضرين ثم يؤتى بأطباق من اللوز والسكر وأنواع الحلاوى فتفرق ، وينثر مابقي منها على عامة الناس .

ولايزالون كذلك حتى يمضي من الليل ماشاء الله ، النصف أو قريب منه فينصرفون . هذه الليلة من الليالي الغر المسترخص شراؤها بباقي العمر لولا ماشأنها من كثرة النساء في المسجد واكثار الولاول . إلا أنّ أكثرهن في مؤخّر المسجد من قبة الشمع وماحولها إلى آخر المسجد [3] .

ومن عادة أهل المدينة أيضاً في كل ليلة جمعة أن يجتمع الناس بعد صلاة العشاء في آخر أروقة المسجد النبوي الموالي لصحن المسجد . فيأتي جماعة من المنشدين فينشد كل واحد منهم قصيدة أو قصيدتين بصوت رخيم وتطريب وتقسيم والناس محدقون بهم . ولهم أتباع يردون عليهم مثل ماتقدّم في ليلة المولد . إلاّ أنهم لايحتفلون لذلك في ليلة الجمعة كاحتفالهم لليلة المولد ولا قريباً منه .

ومن عادتهم أيضاً في يوم الجمعة الخروج للبقيع ووضع الرياحين الكثيرة على القبور خصوصاً المشاهد المعلومة . فيكون عندها أضغاث من الريحان . يؤتى به إلى الحجرة الشريفة أيضاً ويلقى من طيقان [4] الشبابيك إلى داخلها

---

١ ــ في الأصل : السقاءون بواو واحدة . وكذا في النسخ .

٢ ــ سقط من (ب) : من أتباعهم .

٣ ــ لايجوز الاحتفال بمولد الرسول ﷺ ولاغيره لأن ذلك من البدع المحدثة في الدين ، فالرسول ﷺ لم يفعله ولاخلفاؤه الراشدون ولاغيرهم من الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ ولا التابعون لهم بإحسان في القرون المفضلة ، وهم أعلم الناس بالسنّة وأكمل حبّاً لرسول الله ﷺ ومتابعةً له ممّن جاء بعدهم .

٤ ــ ج : أطواق ، وهو الفراغ الذي يقع فيما بين كل حديدتين من الشباك . أحمد رضا : المصدر السابق .

فلا يزال هناك حتى يذبل [١] ويذوى [٢] ، فيخرج في كناسة الحجرة ، ويقتسمها الأغوات بينهم مع باقي الشمع الذي يوقد داخل الحجرة ومايتساقط من الطيب . فيجمعون ذلك يهدون منه لأصحابهم وللأكابر ، ويبعثون منه إلى من يهاديهم من أهل الآفاق . وقد أنالونا من ذلك حصة ، فجزاهم الله خيراً .

ومن عادتهم أيضاً يوم الجمعة أن يكنس المسجد النبوي كلّه ، ويؤتى بأغطية من ديباج أسود مخوّص [٣] بالذهب فتعلق على أبواب المسجد . ويؤتى برايتين سوداوين [٤] من ديباج مخوص أيضاً فيركزان على يمين المنبر وشماله وتكسى درج المنبر من أعلاه إلى أسفله ديباجاً من ذلك النعت أيضاً . ويعلّق أيضاً على أبواب الحجرة الشريفة . فإذا كان قبل [٥] الزوال بقريب من ساعتين طلع المؤذنون على المآذن ، فيبتدىء مؤذن الرئيسية [٦] بالذكر والصلاة على النبي ﷺ وقراءة آيات من القرآن . فإذا فرغ تلاه صاحب السليمانية [٧] على نحو من ذلك ، ثم لايزالون كذلك يتناوبون الذكر والصلاة على النبي ﷺ والتلاوة في المآذن كلها إلى أن يخرج الامام بأثر الزوال ، يقتسمون الوقت بذلك . فإذا قرب دخول الامام قام أحد مؤذنين على سرير المؤذنين فينشد ماشاء الله . فإذا دخل الامام ورقى المنبر أذّن المؤذنون دفعة واحدة داخل المسجد على السرير الذي في وسط المسجد . وكيفية أذانهم أن يبتدىء رئيسهم فيقول : الله أكبر ، الله أكبر ، فيقوله الآخرون بعده دفعة واحدة ، ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله مثنى ، فيقولونه أيضاً بعد فراغه منه دفعة واحدة ، وهلمّ جرّ إلى آخر كلام الأذان .

---

١ ــ في (ب) : يزيل . ويذوى من ذوى أي ذبل وييس . ابن منظور : المصدر السابق .
٢ ــ في الأصل : يروى ، وكذا في (أ) و (ب) . والتصحيح من (ج) .
٣ ــ مزيّن . ابن منظور : المصدر السابق .
٤ ــ في الأصل : سودايين ، وكذا في (ج) . وفي (أ) : سوداويين ، وفي (ب) : سوداوتين . وهذا من بقايا تقاليد العهد العباسي .
٥ ــ في (أ) : قرب .
٦ ــ في الأصل : البرائيسية ، وكذا في النسخ . ويقصد المؤلف بها المئذنة الرئيسية . والدليل على ذلك قول المؤلف في مقام آخر : (فإذا كان بعد الثلث الأخير من الليل جاء رئيس المؤذنين ففتحوا له ، وصعد إلى المئذنة الرئيسية وأذّن) . انظر ص ٢٣٣ من هذه الرسالة .
٧ ــ المئذنة السليمانية .

وأما الخطبة فهي كالامامة موزعة بين فقهاء المدينة ، لكل واحد مقدار معلوم من الأيام على قدر حصّته التي يأخذها من جامكية (١) الخطباء (٢) / فمنهم مقلّ ومكثر ، وذلك إمّا بالوراثة من أسلافهم أو بالشراء من الولاة (٣) وهو الغالب . فمنهم من تدور (٤) نوبته في كل شهر مرة ، ومنهم من لاتصل إليه النوبة إلا مرّة في السنة ، ومنهم بين ذلك على حسب أنصبائهم في المال المأخوذ على ذلك . والحاصل أنّ المناصب الشرعية كلّها في البلاد المشرقية حجازاً ومصراً وشاماً من إمامة وخطابة وإقامة وقضاء وفتوى وشهادة بل ووقيد المساجد (٥) انّما تنال بالشراء من الولاة (٦) . فإذا مات صاحب خطّة أو عزل دفع الراغب فيها مالاً للولاة (٧) ، فيولونه مكانه على أي حال كان من صلاحيته لذلك أم لا .

فعظم الخطب على المسلمين والاسلام في ذلك خصوصاً منصب القضاء فما رأينا ولاسمعنا في البلاد المشرقية كلها بقاض يقارب الحكم بما يشبه أن يكون شرعاً ، وإنّما مدار أمرهم على الرشا جهاراً ، فينقض الحكم الواحد في اليوم الواحد مراراً متعدّدة بحسب كثرة الرشا وقلّتها ، والله المستعان .

على أن بعض أصحابنا ممّن سيأتي ذكره عند ذكرنا لمن (٨) لقيناه بالمدينة وهو الشيخ عبد الله باعفيف اليمني (٩) قد أثنى على قاضي المدينة لحينه ، وهو القاضي مكي(١٠) ثناءً حسناً ، وزعم أنّه متبع للحقّ جهده ، وأنّه من أصحاب شيخنا السيد محمد باعلوي اليمني المكي ، وأنّه هو الذي أمره بتولية خطة

---

١ — ويطلق عليها أيضاً جومك ، وهي رواتب خدام الدولة . أحمد رضا : المصدر السابق . والمقصود هنا هو العطاء الذي يتقاضاه الخطباء .

٢ — في (أ) : الخطب .

٣ — في الأصل : الولات ، وكذا في (ج) . والتصحيح من (أ) و (ب) .

٤ — في (أ) : تزور .

٥ — في الأصل : المسجد . وكذا في (أ) و (ج) . والتصحيح من (ب) .

٦ — في (أ) و (ج) : الولات .

٧ — في (أ) : الولات .

٨ — في (ب) : من .

٩ — من شيوخ المؤلف ، وقد لقيه بالمدينة المنورة ، ترجم له : عبد الله العياشي : المصدر السابق ص ٨٦ .

١٠ — محمد بن أبي بكر جمال الدين باعلوي اليمني المكي : مؤرخ لازم مكة حتى توفي بها عام ١٠٩٣ هـ (١٦٨٢ م) ، ترجم له المحبّي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٣٦ .

القضاء والبقاء فيها بعد إرادة التنصّل عنها (١)َ. وغالب الناس بالمدينة على خلاف مدّعى صاحبنا هذا في هذا القاضي ، والله أعلم بحقيقة أمره .

بيد أنّ في سنة تسع وخمسين (٢) وهي أول سنة حججت فيها ، جاء إلى المدينة قاض تركي (٣) من قبل القسطنطينية (٤) ، فأظهر فيها العدل غاية ، وأقام الدّين (٥) ، وضرب على أيدي كثير من ولاة (٦) المدينة ، ومنعهم من كثير من الباطل والظلم الذي هم به متّصفون ، فثقلت وطأته عليهم واشتدت شكيمته حتى (٧) على السلطان (٨) الأمير زيد بنفسه ، حال بينه وبين كثير من مراداته التي على خلاف الديانة . وكان السلطان زيد قد قدم في تلك السنة إلى المدينة وأقام بها مدّة ، فلم يزالوا يحتالون على القاضي حتى اغتيل ليلة من الليالي . وكان يأتي إلى المسجد النبوي قرب صلاة الصبح راكباً ليصلي في المسجد فكمن له رجل قريباً من باب المسجد ، فضربه بجنبية وقطع بها أمعاؤه ففر الضارب في ظلمة الليل ، ولم يكن مع القاضي إلا قليل من خدامه ، فأجرى فرسه من ألم الضربة حتى أتى باب المسجد ، بل قيل أنّه دخل المسجد بفرسه حتى أتى (٩) وجاه الوجه الشريف ، فنزل وأخذ بشباك الحجرة مستغيثاً برسول الله ، ولم يرسل يده من الشباك حتى قبضت روحه إلى رحمة الله (١٠). وفر الضارب ولم يدر إلى أين حتى سمع به بمكة أو بجدة ، فأظهر السلطان التأسف

---

١ ــ في (ب) : عليها .

٢ ــ أي سنة تسع وخمسين وألف للهجرة (١٦٤٩ م) .

٣ ــ هو الشيخ الأفندي زفر الذي اغتيل عام ١٠٥٩ هـ (١٦٤٩ م) . أنظر : العصامي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٦٦ .

٤ ــ نسبة إلى قسطنطين ملك الروم الذي انتقل إلى بيزنطة (BYSANCE) لأهمية موقعها فبنى عليها سوراً ، وسميت بالقسطنطينية نسبة إليه حتى غزاها العثمانيون عام ٨٥٧ هـ (١٤٥٣ م) .
Hutton . William Holden , Constantinople , the story of the old capital of the empire , 6th edition London , Dent , 1925 , P . 6 and 151 .
وقد صار اسمها استانبول أو اسلامبول أو الاستانة .

٥ ــ في (ب) :

٦ ــ في الأصل : الولات ، وكذا في (أ) و (ج) . والتصحيح من (ب) .

٧ ــ سقط من (أ) : حتى .

٨ ــ يقصد المؤلف بالسلطان هنا أمير مكة زيد بن محسن : أنظر ترجمته في ص ٣٥ من هذه الرسالة .

٩ ــ في الأصل : أتا . والتصحيح من النسخ .

١٠ ــ مما يلاحظ أن هناك بعض الاختلاف في سرد هذه الحادثة بين المؤلف والعصامي وهو معاصر

على (١) موته والتحسر ، وأظهر التفتيش عن الضارب ، وزعم أنه لاعلم له به ولو علمه لنكل به وقتله . والخاصة من الناس لم يصدقوه في ذلك ، وعلموا أنه لايقدر أحد على الجراة على هذا الفعل العظيم إلا بإذنه ، وأنّه لايخفى (٢) عليه فاعله لشدة حزمه وعظيم مكره وكثرة دهائه (٣) حتى أنه لايكاد يخفى عليه سارق شملة (٤) بأرض الحجاز كلها ، فكيف يخفى عليه مثل هذا ! فبالله أي قاض بعد هذا الشهيد يقدر على اظهار الحق والقول به / في هذه الديّار وماشاكلها ؟ وإلى الله المشتكى .

ومن عادة المدّرسين بالمدينة أيضاً تعطيل القراءة في المكاتب والتدريس يوم الثلاثاء ويوم الجمعة . ويقرأون فيما سوى ذلك من الأيام خلاف عادتنا بالمغرب من التعطيل يوم الخميس والجمعة . فكنت أيّام إقرائي بالحرم الشريف يكلّفونني (٥) القراءة يوم الخميس فيشق ذلك عليّ لكونه خلاف المعتاد لدينا ولخروجنا في ذلك اليوم إلى زيارة أُحد أو غيره من المشاهد . فطالبتهم كل المطالبة أن يعوّض الخميس بالثلاثاء فأبوا كل الاباية . فجريت على عادتهم كما قيل : ان جئت أرضاً أهلها كلهم عور فغمض عينك الواحدة .

← أيضاً ، حيث يقول هذا الأخير : (في فجر اليوم العاشر من الشهر المذكور — شعبان ، ١٣٥٩ هـ — نزل الأفندي زفر قاضي المدينة الشريفة راكباً ومعه ثلاثة من الخدم فلما كان عند الدفتردارية وثب عليه شخص فضربه بالحدّ في ظهره أنفذها من صدره فأكب على قربوس الفرس ، ولم تزل داخلة به إلى محراب السيد عثمان بن عفّان — رضي الله عنه — وإمام الشافعية قائم يصلي الفجر ، فقام بعض الناس إليه وأنزلوه بآخر رمق وهو يقول : يارسول الله يارسول الله ، ووضع أمام الوجه الشريف ، وبعد لحظة قضي عليه) المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٦٦ .

ويبدو أن رواية العصامي أقرب إلى الواقع من رواية المؤلف من حيث طعن القاضي من الخلف وانزال الناس إيّاه وهو بآخر رمق ، ووضعه أمام الوجه الشريف .

١ — في (أ) : عن .

٢ — في (ج) : لايخفا .

٣ — في (ب) : بهاءه .

٤ — مئزر من شعر أو صوف يؤتزر به ، وهو يلبسها الأعراب .

Dozy:Dictionnaire des noms dose vetements ches les arabes . Beirut ; Librairie du Liban , 1945 , P . 232 -

٥ — في (ج) : يكلفني .

ومن عادتهم أيضاً بمكة والمدينة التهنئة بالشهر أي شهر كان خلاف المعتاد لدينا بالمغرب ، فانّ التهنئة عندنا إنما تكون بالأعياد وماشاكلها . ولديهم لابد من التهنئة في أول يوم من كل شهر ، فيذهب كل واحد إلى من له عليه حقّ بولاية أو شيخوخة أو صحبة حتى يهنئه بالشهر في منزله . ولله در القائل :

ان الأهلة في السماء مناجل بطلوعها تتحصد الأعمار
فلما (١) يهنيء بعضنا بعضاً بها وطلوعها بأفولنا انذار

ومن عادتهم في إقامة الصلوات الخمس بالحرم الشريف الصلاة في أول الوقت ماعدا (٢) الصبح للحنفي فيؤخره إلى قرب الاسفار ، ويصلّون الظهر أول ماتزول الشمس . ومايقيل غالب الناس إلّا بعد الصلاة ، فيذهبون بعد الصلاة إلى منازلهم لنوم القائلة . وكان ذلك يشقّ علينا قبل اعتياده ، فتكاد صلاة الظهر تفوتنا (٣) في المسجد لأنّا لانتأهب لها إلا بعد الأذان ، وليس بين الأذان والصلاة قدر التأهّب . فمن لم يتأهّب للصلاة قبل دخول الوقت فاتته الصلاة في الجماعة غالباً ، وذلك خلاف السنّة في تأخير صلاة الظهر للجماعة إلى ربع القامة (٤) . وأول من يصلّي من الأئمة الشافعي ثم الحنفي إلّا في صلاة المغرب فيتقدم الحنفي لضيق وقته عنده كالمالكي .

ولايؤم بالمدينة من الأئمة (٥) سواهما من أرباب المذاهب إلّا في الجمعة فيصلّي صاحب النوبة على أي مذهب كان . فيتناوب الامامان الصلاة في المحراب النبوي ، فان صلى أحدهما فيه صلّى الآخر في المحراب الآخر الذي على يمين المنبر الشريف . وأما المحراب العثماني (٦) الذي في الصّف الأول فلا يُصلى فيه إلّا في بعض أيام الموسم ان كثر الناس .

---

١ — في (ج) : أبداً .
٢ — في الأصل : ماعدى ، وكذا في (ج) ، والتصحيح من (أ) و (ب) .
٣ — في (أ) : تفوت .
٤ — القامة لغة القدّ . ابن منظور : المصدر السابق . ومعنى تأخير صلاة الظهر إلى ربع القامة أي إلى مابعد زوال الشمس حين يبلغ ظل الأنسان ربع قامته .
٥ — سقط من (أ) : من الأئمة .
٦ — في (أ) : الشمالي .

لطيفة :

ربما صلّى بعض المالكية في بعض الأوقات بالناس لتعذّر غيره ممّن هو أهل أو انابته له ، فيصلّي على هيئة الشافعي من الابتداء بالبسملة ، وقبض اليدين ورفعهما للركوع والرفع منه ، وفي أوّل كل ركعة ، وتثنية التسليم جهراً ، وتأخير القنوت عن الركوع والجهر به . وكان بعض المالكية ينكر ذلك على فاعله فيقول : اما أن يصلي الصلاة على مذهبه أو يدع الامامة . وكنت أنا أخفّف الأمر في ذلك فأقول : قد علم من الشارع التحذير من الأمور التي توقع في المخالفة وتوغر الصدور خصوصاً في أمور الدين . فإذا فعل الامام حيث اضطر إلى الائتمام به أموراً ينكرها المأموم (١) فقد تسبّب في كراهية المأموم له (٢) فربما دخل في وعيد « من أم قوماً وهم له كارهون » (٣) . وهذا حيث لاضرر عليه في الفعل والترك بأن لايكون المتروك واجباً ، ولا المفعول مبطلاً كبعض المستحبات ، وخلاف الأولى فيكون ذلك من باب تعارض مندوبين أو مكروهين اضطر إليهما . فانّ موافقة المأموم للامام / وعدم كراهيته له أمر مرغوب فيه مكروه خلافه ، خصوصاً ان كان ذلك يؤدي إلي تخليط على المصلّين . فان كثيراً من المأمومين عوام لايفرّقون بين مقتضيات المذاهب ، ولايعرفون محلّ الخلاف ، فربما انتظر القنوت وراء الامام في المحل الذي يعرفه فيتركه أصلاً . ومعلوم أن تأخيره إلى مابعد الركوع أولى من تركه بدليل أن ناسيه يفعله في ذلك المحل . وكالسلام فربما انتظر التسليمة الثانية إذ بها الخروج عن الصلاة عند بعضهم ، فيؤديه ذلك إلى ترك السلام أوالفصل الكثير بين سلامه وسلام إمامه وكل ذلك محذور كترك البسملة ، فإنّها واجبة عند الشافعي تبطل الصلاة بتركها فربما سمعه المأموم ممّن لايعرف جواز ذلك في غير مذهبه أو يظن أن إمامه ممّن يرى وجوبها ، وأنه تركها عمداً فيعتقد بطلان صلاته ، فيكون مقتدياً بمن يعتقد بطلان صلاته ، فيسري البطلان إلى صلاته إن كان ممّن يعتقد

---

١ ــ في (ب) : كلمة زائدة : له .

٢ ــ سقط من (أ) : فقد تسبب في كراهية المأموم له .

٣ ــ أخرجه السيوطي في صحيح الجامع الصغير وزيادته ، ج ١ ، ص ٢٥٩ . قال المحقق ناصر الدين الألباني : حديث حسن ، ج ١ ، ص ٢٥٩ .

ارتباط صلاة المأموم بصلاة الإمام ، إلى غير هذا من المفاسد والتخليط الذي يقع في الصلاة . مع أن هذه الأمور التي عددنا كلها أوّلاً ليس في فعلها أو تركها كبير ضرر في المذهب .

أما البسملة فقد علم مافي المذهب من الخلاف في ذلك . وحكاية ابن رشيد (١) مع ابن دقيق العيد (٢) معلومة في النقل عن المازري (٣) وهو من هو أنه كان يفعله ويقول : أفعل مالاتبطل الصلاة بفعله في مذهبي قولاً واحداً ، وتبطل بتركه في مذهب غيري قولاً واحداً . وقد ذكره (٤) الشيخ زروق (٥) ـــ رضي الله عنه ـــ مثالاً لورع المحققين في غير ماموضع ، وهو اتقاء مواضع الخلاف .

وقد حكي عن بعض أئمة الشافعية أنه اقتدى بمالكي ، فكان يقول له عند الدخول في الصلاة أقسمت عليك الاّ مابسملت . فلمّا سمعه لم يبسمل قال : نويت الصلاة على مذهب مالك . فانظر ورع هذا السيد ودقيق نظره ، فأنّه استسهل الانتقال من مذهبه إلى مذهب الامام في خصوص هذه الصلاة وراءه أولى من الاقتداء بمن يعتقد بطلان صلاته . وليس كل الناس يحسن ذلك . فلو أنّ الامام بسمل لأنقذه من هذه الورطة مع أنه لاكبير ضرر عليه في ذلك

---

١ ـــ محمد بن عمر بن محمد ، ابن رشيد الفهري السبتي المتوفي عام ٧٢١ هـ (١٣٢١ م) : رحالة أديب ، عارف بالتفسير والتاريخ ، ولّي الخطابة بجامع غرناطة ، ورحل إلى مصر والشام والحرمين فألف رحلته المعروفة بملىء العَيْبَة فيما جمع بطول الغَيْبَة في الرحلة إلى مكة وطَيْبَة . وقد أثنى ابن حجر العسقلاني عليها ثناء حسناً . وهي في عدّة مجلدات ، ويقوم بتحقيقها الحبيب بلخوجة في تونس . وقد ترجم لابن رشيد ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٤ ، ص ١١ . وابن القاضي جذوة الاقتباس : ج ١ ، ص ٢٨٩ . وعبد الله بن كنون : ذكريات مشاهير رجال المغرب : ابن رشيد ، بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ؟ .

٢ ـــ محمد بن علي بن وهب تقي الدين القشيري المعروف بان دقيق العيد : قاضي ، مجتهد ، ومن أكابر العلماء بالأصول ، توفي بالقاهرة عام ٧٠٢ هـ (١٣٠٢ م) ، ترجم له : ابن شاكر الكتبي : المصدر السابق ، ، ج ٢ ، ص ٣٠٥ . وابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٤ ، ص ٩١ .

٣ ـــ محمد بن علي بن عمر نسبة إلى مازر بجزيرة صقلية : محدث من فقهاء المالكية ، وفي عام ٥٣٦ هـ (١١٤١ م) ، ترجم له : ابن خلّكان : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢١١٥ والمقري : أزهار الرياض ، ج ٣ ، ص ١٦٥ .

٤ ـــ في (أ) : ذكر .

٥ ـــ سبقت ترجمته في ص ٤٢ .

غايته أنه أتى بخلاف الأولى في مشهور مذهبه .

وأما القبض فقد علم مافيه من الخلاف في المذاهب . وقد قال به أئمة محققون من أهل المذهب كاللخمي (١) وغيره ، خصوصاً ان علّل بخشية اعتقاد الوجوب فانّ ماهذا سبيله من المكروهات لايعبأ به المحققون إذا صحت به الأحاديث ، سيما مع انتفاء العلّة كهذه المسألة . فلو اطرد ذلك لأدّى إلى ترك السّنن كلها أو غالبها المداوم عليها لأن المداومة عليها ذريعة إلى ذلك . وانّما قال الامام (٢) — رضي الله عنه — بذلك في مسائل قليلة لعارض في الوقت اقتضى ذلك كقول بعض العوام في آخر الست من شوال العيد الثاني فرأى الامام قطع هذه المفسدة أولى من المحافظة على هذا المندوب . فإذا انقطعت المفسدة وأمن من عودها فلامعنى لترك ماجاءت به الأحاديث الصحيحة إلا محض التقليد (٣) الذي لازبدة له إذا مخض .

ويسمج (٤) في السمع اطلاق الكراهة والمنع فيما صحّ عنه ﷺ أنه فعل أو أمر به إلاّ لضرورة أسمج من ذلك . وقد رأيت كثيراً من المالكية يقبضون أيديهم في الصلاة ، وذلك لخفّة الأمر فيه كما تقدّم ولكون السدل في البلاد المشرقية كلها شعار الروافض ولايفعله إلا الرافضة ، فمن رأوه سادلاً يديه قالوا انه رافضي .

غريبة :

أخبرني شيخنا الملاّ إبراهيم أنّ بعض فقراء المالكية وصل إلى بعض أطراف الشام فدخل إلى قرية أهلها أهل سنّة / وجماعة . فلما قام إلى الصلاة رأوه سادلاً

---

١ — علي بن محمد الربعي القيرواني المعروف باللخمي : فقيه مالكي له معرفة بالأدب والحديث ، توفي عام ٤٧٨ هـ (١٠٨٥ م) ، ترجم له : عبد الرحمن بن محمد الدباغ : معالم الايمان في معرفة أهل القيروان ، تونس : المطبعة العربية التونسية ، ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢ م) ، ص ٢٤٦ وابن فرحون : المصدر السابق ، ص ٢٣٠ . والسراج الوزير : المصدر السابق ، ص ١٤٣ .

٢ — مالك بن أنس — رحمه الله — .

٣ — في (أ) : النقل .

٤ — أي يكره . ابن منظور : المصدر السابق .

يديه فظنوا أنه رافضي فقصدوا اذايته . فقال لهم : انّي مالكي وتبرّأ من الرفض فقالوا له : كذبت ، انّ المالكية لايسدلون أيديهم ، فليس أحد من أهل السنّة يقول بذلك ، وانّما هو فعل الروافض . حتى ذهب معهم إلى فقيه البلد فسألوه فقال لهم : صدق ، انّ المالكية يقولون بذلك ، فلا يبالي [1] مأنقذه من أيديهم .

فانظر هذه الحيرة التي ألقى فيها هذا المسكين نفسه ، فلو أنه إذ أفضت به الحال إلى هذه البلاد التي صار فيها مذهبه غريباً لايعرف ترك مايشين عرضه ويؤدي إلى حصول الضرر له في بدنه مع أنه لاكبير ضرر عليه في دينه لسلم وسلم غيره من اساءة الظن به . كيف ! وقد جوّز الأئمة ـــ رضي الله عنهم ـــ ترك كثير من السنن التي صارت شعاراً للمبتدعة ، بل استحبوا تركها لأنّا نهينا عن التشبه بأهل الأهواء والبدع . فكما كره بعضهم لبس الخاتم في الأزمنة لكونه من شعار أهل المجون مع أنّه سنة ثابتة قولاً وفعلاً ، وكرهوا تطويل اللحية واعفائها فوق المعتاد لأنه شعار الوهبية [2] كما قال الشيخ زروق ـــ مع أن اعفاءها قد قيل بوجوبه ـــ فليكن السدل أيضاً كذلك مكروهاً في البلاد التي صار فيها شعار الروافض ، مع أنّ خلافه الذي هو القبض ثابت أيضاً في السنّة قولاً وفعلاً كثبوت الارسال أو أزيد [3] . وممّن كان يقبض في صلواته كلّها فرضاً ونفلاً من المالكية شيخنا أبو مهدي عيسى الثعالبي [4] فكنت أرى أن [5] السدل أولى به وبأمثاله ممّن يُقتدى به ليراه عامي فيعلم أنه

---

١ ـــ كلمة غامضة في الأصل ، وكذا في (أ) و (ج) . والتصحيح من (ب) .

٢ ـــ فرقة مبتدعة من الخوارج يخالف مذهبهم مذهب أهل السنة والجماعة ، وقد سموا بهذا الاسم نسبة إلى عبد الله بن وهب الراسبي الذي قاتله علي بن أبي طالب في النهروان . أنظر : أحمد بن يحيى الونشريسي : المعيار المُعرب والجامع المُغرب عن فتاوى علماء أفريقية والاندلس والمغرب تخريج جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي ، الرباط : وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية بيروت : دار الغرب الاسلامي ، ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) ، ج ١١ ، ص ١٦٨ . وألفرد بل (ALFRED BILL) : الفرق الاسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، ط ٢ ، بيروت : دار الغرب الاسلامي ، ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) ص ١٤٠ ١٥٠ ـــ ١٥١ .

٣ ـــ ماذكره المؤلف يحتاج إلى تدقيق لأنا نهينا عن التشبه بأهل الأهواء والبدع فيما يخالف الشرع فقط .

٤ ـــ سبقت ترجمته في ص ٥١ .

٥ ـــ سقط من (أ) : أنّ .

من فعل أهل السنة كالقبض ، فتنتفي الريبة في حقّ العامي . فإذا رآه هو وأمثاله من أئمة المالكية عوام أرباب المذهب يقبض لم يصدقوا بعد ذلك من ادّعى من عوام المالكية أنه في مذهبه ، واتهموه بالرفض ، وقالوا قد رأينا أئمة المالكية يقبضون . فحقّه هو أن لايخالف رسوم المذهب في ورد ولاصدر لارتفاع الظنة والريبة في حقّه لشهرته وعلمه ، فيكون قدوة لغيره . وقد كنت أردت أن أشافهه بذلك فاستحييت .

لطيفة :

كنّا أيام سماعنا للمعجم الصغير للطبراني على شيخنا الثعالبي بالحرم النبوي إذا مرّ بحديث فيه حجة لمذهب المالكية أشار إليّ وإلى بعض فقهاء المالكية ممّن كان يحضر المجلس فيقول : هذا حجة لكم . وإذا مرّ بما يخالف المذهب قال : هذا حجة عليكم . فلما جاء ذكر حديث : « انّا معاشر الأنبياء أمرنا بوضع اليمنى على اليسرى في الصلاة » (١) قال : هذا حجة عليكم . فقلت : لاحجة علينا في هذا ، فان ظاهر اللفظ الخصوص لا العموم فيه . فاستضعف جوابي وقال : وردت به أحاديث صحيحة عامة قولاً وفعلاً . ومن أنصف علم أنّه لاضعف في الجواب لأنّي لم أنكر كون القبض ثابتاً في السنّة وأنّه له أصل ، وانما أنكرت اثباته بهذا الأصل بالخصوص ، وأنّ هذا الحديث بخصوصه لايكون حجة على مالك في كراهية القبض (٢) . فلو لم يرد في القبض إلا هذا الحديث وحده لم يكن فيه حجة على منكر القبض ، بل لساغ لقائل أن يقول بعدم جوازه لغير الأنبياء ، وأنّه (٣) من الخصائص لظهور اللفظ في ذلك كقوله : « نحن

١ ـــ روى البيهقي في سننه : عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال : « إنا معاشر الأنبياء أمرنا بثلاث : تعجيل الفطور ، وتأخير السحور ، ووضع اليد اليمنى على اليسرى في الصلاة » . واستطرد البيهقي قائلاً : (تفرد به عبد المجيد ، وإنما يعرف بطلحة بن عمرو ، وليس بالقوي من عطاء عن ابن عباس ولكن الصحيح عن محمد بن ابان الأنصاري عن عائشة ـــ رضي الله عنها ـــ قالت : (ثلاثة من النبوة : تعجيل الأفطار وتأخير السحور ووضع اليد اليمنى على اليسرى في الصلاة) . ج ٢ ، ص ٩٢ .

٢ ـــ ورد في موطأ مالك مايخالف هذا الكلام . أنظر باب : (وضع اليدين احداهما على الأخرى في الصلاة) ص ١١١ .

٣ ـــ في (أ) : إلا .

معاشر الأنبياء لانورث »[1] ولكن كرهت مراجعة الشيخ بمثل ذلك في المجالس الحافلة الغاصة بأهلها ، فأعرضت[2] .

وأما الرّفع في كل خفض ورفع فقد صحّت الأحاديث به ، وثبت الرواية به عن مالك . فقد روي عن أبي عمر بن عبد البر (٣) أنّه كان يرجّحه ويصحّح روايته عن الامام ، فقال له بعض أصحابه : مايمنعك من فعله مع صحّة الحديث به وثبوت الرواية فنقتدي بك في فعله ؟ فقال : أكره مخالفة الأصحاب في أمر فيه سعة . فأنت ترى (٤) كراهيتهم ـ رحمهم الله ـ للمخالفة في الأمور التي فيها سعة . وقد كان شيخنا الثعالبي أيضاً يفعله في الفرض والنّفل (٥) ، وكان حقّه أيضاً أن لايفعل لما تقدّم من كونه مقتدى به ، ولكون هذا أيضاً من شعار الروافض ، وزيادة أنهم لايرفعون حتى مع تكبيرة الاحرام . وقد رأيت جماعة بالصفراء (٦) يصلّون في مسجد لهم ، فلم أر أحداً منهم يرفع يديه في تكبيرة الاحرام ، بل يفتتحون الصلاة بالقراءة سادلين أيديهم ، فعلمت أنّهم

١ ـ له شاهد بالمعنى في الجامع الصحيح للبخاري : « لانورث ، ماتركنا صدقة » كتاب الفرائض ، ج ٨ ، ص ٣ .

٢ ـ الأرجح أن النبي ﷺ كان يقبض في الصلاة وأمر بذلك . فقد أخرج البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد : (كان الناس يؤمرون أن يضع الرجل اليد اليمنى على ذراعه اليسرى في الصلاة) كتاب الأذان ، ج ١ ، ص ١٨٠ . وعلّق ابن حجر العسقلاني على ذلك قائلاً : (لفظ كنّا نؤمر يصرف بظاهره إلى من له الأمر وهو النبي ﷺ . ومثله قول عائشة : كنا نؤمر بقضاء الصوم فانه محمول على أن الآمر بذلك هو النبي ﷺ . وأطلق البيهقي أنه لاخلاف في ذلك بين أهل النقل ، وقال ابن عبد البر : لم يأت عن النبي ﷺ فيه خلاف ، وهو قول الجمهور من الصحابة والتابعين ، وهو الذي ذكره مالك في الموطأ ، ولم يحك ابن المنذر وغيره عن مالك غيره إلا ابن القاسم الذي روى عنه الارسال) . فتح الباري ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ .

٣ ـ يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي المالكي : من كبار حفاظ الحديث ، مؤرخ وأديب ، توفي عام ٤٣٦ هـ (١٠٤٤ م) ، ترجم له : ابن عميرة الضبّي : بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، مدريد : مطبعة روخس ، ١٣٠٢ هـ (١٨٨٤ م) ، ص ١٧٤ . وعبد الرحيم بن الحسين العراقي : التبصرة والتذكرة أو شرح ألفية العراقي ، تصحيح محمد بن الحسين العراقي ، فاس : المطبعة الجديدة ، ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) ، ج ١ ، ص ١١٩ .

٤ ـ سقط من (ج) : ترى .

٥ ـ في (أ) : كلمة زائدة : وقد .

٦ ـ نسبة إلى واد الصفراء . وهي قرية كثيرة الماء والنخل والمزارع . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٤١٢ . وفي الوقت الحالي تجزأت الصفراء إلى إمارات صغرى مثل المسيجيد والخيف والواسطة . وهي كلها في طريق مكة ـ المدينة . البلادي : المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ١٩ .

روافض ، وهم غالب أهل تلك القرى . وقد أطلعت شيخنا الثعالبي على كلام ابن عبد البر المتقدّم في محله من شرح القباب لقواعد عياض[١]فلم يلتفت إليه واستمر على رأيه في ذلك . وقد رأيت بعض المشايخ يخالف ماجرى به العمل عند أهل المذهب إذا صحّت الأحاديث بخلافه ، وهي وان كانت قولة وردت عن الامام كما صحّت عن الشافعي أنّه قال : إذا صحّ الحديث فاضربوا بقولي الحائط ، بل قال بعض الأئمة أنّ هذه القولة التي اشتهرت عن الشافعي — رضي الله عنه — وجعلها أصحابه أصلاً من أصولهم حتى كثرت مخالفتهم لامامهم في فروع كثيرة قد وردت عن الأئمة الأربعة . فالذي عند المحققين من أهل المذهب أنّه لاينبغي اظهارالمخالفة ومصادمة نصوص المذهب في أمر له أصل في السنة وان لم يبلغ درجة غيره في الصحة ، فإن ذلك مما يثير الخلاف ويوقع في التشويش على العوام ، بل ولو كان المشهور خلاف ماجرى به العمل فلاينبغي التشويش على الناس بذلك ، وحملهم على خلاف مامضى عليه عمل الناس في الأعصار المتطاولة ممّا له أصل في السنة . وفي كتاب سنن المهتدين [٢] للمّواق [٣] مايكفي ويشفي من ذلك [٤] .

---

١ — لم أجده في فهارس الكتب التي رجعت إليها .

٢ — اسمه سنن المهتدين في مقامات الدين . وقد طبع بفاس عام ١٣١٤ هـ (١٨٩٦ م) سركيس : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٨١٥ .

٣ — محمد بن يوسف بن أبي القاسم الغرناطي : فقيه مالكي كان إمام غرناطة وعالمها في زمانه ، توفي عام ٨٩٧ هـ (١٤٩٢ م) ، ترجم له : مخلوف : المصدر السابق ، ص ٢٦٢ . والتنبكتي : المصدر السابق ، ص ٣٢٤ .

٤ — هذه المسألة (رفع اليدين إذا ركع وإذا رفع) ورد فيها نصّ ثابت . فقد روى البخاري : (عن عبد الله بن عمر — رضي الله عنهما — قال : رأيت رسول الله ﷺ إذا قام في الصلاة رفع يديه حتى يكونا حذو منكبيه ، وكان يفعل ذلك حين يكبر للركوع ، ويفعل ذلك إذا رفع رأسه من الركوع) . الجامع الصحيح ، كتاب الأذان ، ج ١ ، ص ١٧٩ .
وقال ابن حجر في فتح الباري : (قال ابن عبد البر — هو من فقهاء المالكية — : لم يرو أحد عن مالك ترك الرفع فيهما — أي عند الركوع — إلا ابن القاسم ، وخبر الآحاد ليس حجة) ج ٢ ، ص ٢٢٠ .
ومما يلاحظ أن العياشي يتبنى كثيراً من آراء ابن القاسم في الفقه ، وهو يحاول هنا إيجاد مبررات لترك هذه السنّة نظراً لكونها — حسب زعمه — من شعار الروافض ، ولأن عمل الناس اعتاد مع مرّ العصور على خلافها . فيا ترى هل تهمل سنة من سنن الرسول ﷺ لاعتياد الناس على تركها أو لأنها من عمل المبتدعة ؟! كلاّ ، فإن الآية الكريمة تقول : ﴿ وماأتاكم الرسول فخذوه ، ومانهاكم عنه فانتهوا ﴾ الآية ٧ من سورة الحشر .

وأما القنوت بعد الركوع فأمره أخفّ من كل ماتقدم مع مايلزم من التخليط على المصلّين الذين لم يألفوا ذلك إذا قدّم . وقد كره الأئمة سجود التلاوة في صلاة الفريضة وأباحوا تركه خشية التخليط على المأمومين مع أنه سنّة في الصلاة وغيرها . ولذلك قال ابن عرفة (١) : إذا جرى العمل به كصبح يوم الجمعة في جامع الزيتونة بتونس فلاينبغي تركه لأنّ تركه حينئذ يوقع في التخليط فيظن من بَعُدَ من المأمومين في ركوع الامام أنه سجود التلاوة المعهود ، فيهوي إلى الأرض ، فلايرفع حتى تفوته الركعة . فانظر كيف دار الأمر بالاستحباب والكراهة مع الخوف من التخليط والأمن . فلايبعد أن يقال : ينبغي للامام أن يؤخر القنوت إذا خاف التخليط على المأمومين لجريان العمل بذلك (٢) .

وأما تثنية السلام فقد صحّت به الأحاديث أيضاً ، وثبت عن الامام (١) — رضي الله عنه — أنه كان يفعله إذا صلّى وحده ، وماختاره لنفسه في صلاته إلا وهو يراه صواباً . وفي تركه في البلاد (٢) التي اعتيد فيها تخليط على المأموم كما تقدم ، ولاضرر عليه في فعله لأنه بالتسليمة (٣) الأولى خرج من الصلاة . فأي ضرر عليه في ذكر (٤) تكلّم به بعد الخروج من الصلاة فيه مصلحة / لمن اقتدى به ؟ وبمثل هذا أجاب بعض الأئمة على انكار بعض العلماء لما جرى به العمل من التثويب (٥) بعد (٦) الأذان للعشاء ليلة الجمعة فقال :

---

١ — محمد بن محمد ، ابن عرفة الوُرغمي : إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره ، توفي عام ٨٠٣ هـ (١٤٠٠ م) ، ترجم له ابن الجوزي : صفة الصفوة ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ . والتلمساني : المصدر السابق ، ص ١٩٠ .

٢ — من مجموع مارواه أنس بن مالك من الأحاديث في القنوت (أنظر الجامع الصحيح للبخاري كتاب الوتر ، ج ٢ ، ص ١٤) استنتج ابن حجر أن القنوت للحاجة بعد الركوع لاخلاف عنه في ذلك . وأما لغير الحاجة فالصحيح عنه أنه قبل الركوع . وقد اختلف عمل الصحابة في ذلك والظاهر أنه من الاختلاف المباح . فتح الباري ، ج ٢ ، ص ٤٨٩ .

١ — يقصد الامام مالك — رحمه الله — .

٢ — في (ب) : البلد .

٣ — في (أ) : التسمية .

٤ — في (أ) : دفع .

٥ — التثويب يكون في أذان الفجر ، ومعناه أن يقول المؤذن بعد قوله حي على الفلاح : الصلاة خير من النوم أو الصلاة رحمكم الله . ابن منظور : المصدر السابق .

٦ — في (ب) : قبل .

أرأيت لو أنّه بعد الفراغ من الأذان تكلّم بكلام دنيوي أو ضحك أو فعل فعلاً من الأفعال ، أينكر عليه في ذلك ؟ فيكف إذا تكلّم بذكر من الأذكار بعد الفراغ من أذانه ! والعلّة في ذلك ماثبت عن الامام في أمثال ذلك من خشية الادخال لما ليس من العبادة فيها وان كان عبادة في نفسه . وهذه العلّة في الغالب منتفية في هذه الأزمنة لتقرّر الدين ووضوحه ، فلاتلتبس عبادة بأخرى ، ولايخشى اعتقاد وجوب ماليس بواجب إلّا على عامي صرف ، فيسأل أهل الذكر ان كان لايعلم [1] .

وقد أطلنا الكلام في هذه المسألة لكونها ممّا يحتاج إليها في تلك الديار وليس هناك من يحققها مثل هذا التحقيق . وللنظر فيها مع ذلك مجال ، وستكون لنا عودة إن شاء الله إلى تحقيق هذه المطالب . فقد كتبناها من غير مراجعة أصول المسائل ولامطالعة فروعها ، وإنما كتبت ماسنح به [2] الوقت ليكون عرضة للمتأمل في ابراز صوابه من خطاه [3] وحقه من خطله [4] . والله ولي التوفيق ، وهو حسبي ، ونعم الوكيل [5] .

---

١ ــ هذه المسألة الفقهية من الفروع التي اختلف فيها العلماء كلّ حسب أدلته .

٢ ــ في الأصل : في .

٣ ــ في (ج) : خطئه .

٤ ــ من الخطل وهو الكلام الفاسد المضطرب . ابن منظور : المصدر السابق .

٥ ــ في آخر هذا المبحث الفقهي يجدر بنا طرح قضية تعارضت فيها الآراء ، وهي هل المسلم ملزم باتباع مذهب من المذاهب الفقهية (كما هو رأي صاحب الرحلة) أم يكون مرجعه الكتاب والسنّة دون غيرهما ؟ .

في هذا الصدد هناك فريقان يتبنّى كل منهما رأياً مخالفاً للآخر ، في حين أن كليهما مجانب للصواب .

فالفريق الأول حصر علمه وعمله في مذهب معين وحظر الأخذ بقول غيره والعمل به . وإذا ظهر له حديث على خلاف مذهبه بالغ في تأويله حتى يصرفه عن مراده بل إذا عجز عنه تركه وتشبّث بقول شيخه أو من يقلّده .

أما الفريق الثاني فيرى أن اللازم على كل مسلم أن يجتهد في معرفة معاني الكتاب والسنة واستخراج الأحكام منهما دون الرجوع إلى مذهب .

فبالنسبة للرأي الأول فأصحابه مخطئون لأن الأخذ بآراء الرجال مهما كانت صائبة فضلاً عن الخاطئة ، وترك السنن أمر محرم شرعاً ، فليس لرأي أحد من علماء الأمة فضل على الآخر ، وإنما يكسب القول قيمته بقدر اعتماده على الدليل المستخرج من النصوص الشرعية . وكثيراً ماذهب الأئمة إلى مسألة فبان لهم الحق فرجعوا عنها . ولذا كانوا ــ رحمهم الله ــ لايرضون أن يؤخذ من كلامهم إلّا ماكان موافقاً للكتاب والسنة . ←

ومن عادتهم في الصلاة على الجنائز ادخال الجنازة إلى الحرم الشريف فيصلّى عليها بالمسجد ، ثم يمرّ بها أمام الوجه الشريف ويوقف بها (١) وقيفة ثم يذهبون بها إلى محلها من البقيع أو غيره إلّا جنائز الروافض كالنخاولة ، فانها لايدخل بها المسجد ولايؤتى بها للمواجهة ، بل يأتي بها أصحابها إلى (٢) خارج المسجد من ناحية الروضة ثم يرجعون .

ولقد أحسن من سنّ بهم ذلك من الولاة ، فحق من يبغض ضجيعي الرسول ورفيقيه في المحيا والممات أي يبعد عن حماه حيّاً وميتاً .

ومن عادتهم في الاملاكات أن يكون عقد النكاح بالمسجد . ولقد حضرت املاك هندي قدم من مكة مع الشيخ عيسي في الرجبية . وكان بينه وبين الشيخ صحبة فأراد العقد لولده على ابنة رجل آخر من كبار تجار الهند . فلّما كان وقت العقد ذهب بي الشيخ معه وكرهت خلاف أمره . وماكنت أحب حضور (١) محافل أهل الدنيا المشوبة بأنواع من التصنّع والمباهاة (٢) خصوصاً

← وشيء آخر يجدر التنبيه إليه وهو أن المذاهب الفقهية أضيف إليها كثير من آراء واجتهادات أهل القرون المتأخرة ، وفيها كثير من الغلط والمسائل الافتراضية . وأخطر مافي هذا الأمر توهّم كثير من الناس نسبتها إلى أئمة المذاهب رغم أنها لو رآها الأئمة الذين نسبت إليهم لتبرأوا منها وممّن قالها . ومن هذا المنطلق ليس على المسلم أن يلتزم مذهباً واحداً بعينه لأن من يفعل ذلك متعصباً مخطيء ومقلد تقليداً أعمى .

أما الرأي الثاني وهو القول بعدم الرجوع البتّة إلى أئمة المذاهب فهو مردود أيضاً حيث أنه ليس بمقدور كل مسلم أن يجتهد لاستنباط الأحكام من الكتاب والسنة ، ذلك أنّ فقه النصوص الشرعية واستنباط الأحكام بأدلتها ولاسيما فيما يجدّ من مشكلات لايتأتّى العلم بها إلّا لمن توفرت فيه شروط الاجتهاد . وهذا ليس بمقدور المتعلم ادراكه فضلاً عن العامي ، وإنما هو من عمل المتخصص المجتهد .

وخلاصة القول هنا أنّ من يتمكن من الأخذ بالكتاب والسنة يتعيّن عليه ألّا يقلد أحداً من الناس وهذا من شأن الفقيه المجتهد . أما المتعلم الذي يقلّد فيجب عليه أن لايقبل من القول إلّا مالايخالف الكتاب والسنة ، كما ورد عن أئمة العلم . وعند الخلاف بين الأئمة في مسألة مايأخذ بما هو أقرب الأقوال لاصابة الحق ان تمكن من ذلك . والصنف الثالث وهو العامي فيلزمه أن يسأل أهل الذكر عملاً بقوله تعالى : ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون ﴾ الآية ٧ من سورة الأنبياء .

١ ــــ سقط من (ب) : بها .

٢ ــــ سقط من (ب) : إلى .

١ ــــ سقط من (ب) : حرف الراء من كلمة : حضور .

٢ ــــ في الأصل : المباهات ، وكذا في (أ) : والتصحيح من (ب) .

في ذلك المحلّ الذي حقّ الانسان فيه أن يخضع ويخشع ويضع نفسه بالمحلّ الذي وضعها الله فيه من الذل والافتقار . فجلس الشيخ مسنداً ظهره للمنبر النبوي وجلست بإزائه . وجلس أرباب المراتب من العلماء والخطباء وأكابر الناس صفّين من المنبر إلى الحجرة الشريفة ، صفّ مستقبل القبلة وصفّ مسند ظهره إلى جدار القبلة . وجلس عن يسار الشيخ كبير الخطباء بالمدينة الخطيب أحمد البري [١] ، وبازائه المتعاقدان أبو الابن وأبو البنت . فشرع في الخطبة وأطال وأجاد في الثّناء على الله وعلى رسوله ، ثمّ وفّى ذكر المتعاقدين ، وأطال الثّناء عليهما [٢] إلى أن ذكر العقد ، وأشار إلى المتعاقدين ورضيا بذلك ، كل ذلك بلسان ذلق [٣] وصوت جهوري [٤] . وذلك الذي أنكرته مع المبالغة في الثّناء على المتعاقدين بما أكثره زور وباطل بحضرة أشرف الخلق / وفي روضة الجنة فصغرت نفسي عندي وتضاءلت [٥] ، ووددت أنّي لم أحضر ذلك المجلس ولو كنت أعلم أن صورة المجلس على هذا الوجه ماحضرته .

ثم أوتي بأطباق الرياحين ووضعت بين الصفّين وأطباق اللوز والسكر وفرق ذلك على الحاضرين ، وقام المنشد فأنشد قصيدة أو قصيدتين في مدح الرسول ﷺ ، فافترق المجلس ، وقام الحاضرون إلى المتعاقدين يهنئونهما ، فانسللت ، وكان ذلك ضحى ، وذهبت . وهذه صورة املاك كل ذي وجاهة ورئاسة من أمير أو تاجر أو صاحب خطة . وأمّا غيرهم فعلى حسب مايتفق له . فإذا كان ليلة الدخول أوتي بالرجل ومعه جماعة كبيرة من أصحابه وأقاربه ومعهم الشموع [٦] حتى يوقف به على باب المسجد بعد العشاء [٧] ، فيدخل ويسلّم على النبي ﷺ ويدعو [٨] فيخرج ، ثم يذهب به . كذلك يزفونه [٩]

١ ـــ كان يتولى الخطابة في المحافل الكبيرة لبلاغته وفصاحة لسانه . أنظر : أبي سالم العياشي : ماء الموائد (طبعة الحجر بفاس) ، ج ٢ ، ص ٥٠ .

٢ ـــ في (أ) : إلّا .

٣ ـــ في (ب) : الدلق . وذلق معناه ذو لهجة حادة . ابن منظور : المصدر السابق .

٤ ـــ في (أ) : جوهري . وصوت جهوري أي عال . ابن منظور : المصدر السابق .

٥ ـــ في (أ) : تداءلت .

٦ ـــ في (أ) و (ب) : الشمع .

٧ ـــ في (ب) و (ج) : كلمة زائدة : الآخرة .

٨ ـــ في (ج) : يدعوا .

٩ ـــ في (ب) : يزفون .

إلى بيت المرأة في دار أهلها عكس المعتاد في كثير من البلاد أن المرأة هي التي تزف إلى زوجها ، وأن الدخول في بيت الزوج . وعند هؤلاء لمّا كانت العادة الدخول بالمرأة في بيت أهلها صار الزوج هو الذي يزفّ . فإذا أصبح الزوج ذهب من بيت الزوجة إلى بيته ، وأخذ في إطعام الناس طعام الوليمة ، وجاء الناس لتهنئته . وفي الليلة المقبلة تأتي الزوجة من دار أهلها إلى دار الزوج ولكل قطر عادة ، ولكل قوم سادة ، وعادات السادة (١) سادة (٢) العادات .

ومن عادتهم في التعامل بيعاً وشراءً أنهم يسمون الأربعين مائدياً (٣) حرفاً (٤) . فيقولون عشرة أحرف وعشرين حرفاً يعنون كل أربعين قيراطاً من قراريط الفضة المسكوكة يعدّ حرفاً كقولنا في المغرب لهذا المقدار مثقالاً .

ويقولون للدينار من الذهب المسكوك شريفياً وسلطانياً . ويقولون للريال المسكوك من الفضة ريالاً وقرشاً . ويقولون للقيراط (٥) المسكوك محلقاً (٦) وللصاع الذي به التعامل ربعياً ولجزئيه كيلة (٧) . ويسمون الحروف المتقدمة إذا ذكرت (٨) مجموعة ذهباً . فيقولون عشرون ذهباً وثلاثون ذهباً يعنون عشرين حرفاً من غير قصد ارادة الذهب إذ التعامل بالذهب إنما هو بالدنانير وأجزائها .

١ ـــ في الأصل : السادات ، وكذا في النسخ .
٢ ـــ في الأصل : سادات ، وكذا في النسخ .
٣ ـــ نوع من العملة المسكوكة . ويعادل مائدي واحد قيراطاً من الفضة في عرف ذلك الزمان ، وحسب ماذكر العياشي .
٤ ـــ في (ب) : صرفاً . والحرف جمعه حروف . وهو نقد يتعامل به أهل المدينة ، ويساوي أربعين مائدياً أو أربعين قيراطاً من الفضة المسكوكة . كما يتضح من النص .
٥ ـــ في (ب) : النبراط .
٦ ـــ في (أ) : ملحقاً .
٧ ـــ في (ب) و (ج) : وكيلة .
٨ ـــ في (أ) : كثرت .

لطيفة :

قد وقعت بيني وبين بعض مدرسي المالكية مناظرة بسبب هذا المسألة أعني تسمية الحرف بالذهب ، وذلك أن بعض الموثقين كتب في معاملة بين شخصين أربعين ذهباً أو ثلاثين ذهباً يعني الحروف . فلما كان وقت الاقتضاء وقال له : اني آتيك بالحروف التي هي العدّة المذكورة من القراريط قال له المدرس : لايحلّ ذلك إلّا من المناجزة (١) لأنّ هذا صرف مؤخر ، فانّ الذي في ذمّتك هو الذهب ، وأنت الآن تريد دفع الفضة عنه ، فهو صرف ما في الذمة ، ولابد فيه (٢) من المناجزة كصرف النقد لأنّ الموثق كتب ذهباً . فذكر ذلك لي أحد المتعاملين فقلت له لاصرف هنا (٣) . انّ المراد بلفظ الذهب هنا العدة المذكورة من الفضة باتفاق من المتعاملين وغيرهما من سائر الناس حتّى المدرس بنفسه لاينازع في ذلك . والعبرة انّما هي بمدلول اللفظ المفهوم منه عند المتعاقدين لا بمدلوله لغة ، فانّ العرف الخاص نقل هذا اللفظ / من مدلوله لغة إلى مدلول آخر معروف في العرف الخاص لاينازع فيه أحد من أهل البلد فلو أرادوا مدلول الذهب لغة لعبّر عنه باللفظ الدال عليه في عرفهم كما قدمنا ويعيّن ذلك كون هذا المقدار من الفضة وهو الأربعون قيراطاً ليس في الذهب فرد يقابله من أفراد الذهب المسكوك الذي يقع به التعامل حتى يصار إلى أنه هو المراد .

فلو قلنا أن المراد الذهب لغة لكان فيه جهالة إذ لايدري أهي أربعون ديناراً أو أنصاف الدينار أو أرباعه ، ولأن كل ذلك لايقابل الأربعين قيراطاً التي هي المرادة . فلو كان لنا (٤) في التعامل ذهب مسكوك يروج رواج الأربعين قيراطاً لتوهم أنه المراد ، وهذا غنيّ بوضوحه عن الايضاح .

---

١ ـــ البيع يداً بيد ، ويقال لايباع غائب بناجز أي نسية بنقد ، المطرزي : المغرّب في ترتيب المعرّب بيروت : دار الكتاب العربي ، ؟ ، ص ٤٤٣ .

٢ ـــ في (ب) : عبارة زائدة : من صرف هنا .

٣ ـــ سقط من (ب) : من المناجزة كصرف النقد لأن الموثق كتب ذهباً ، فذكر لي أحد المتعاملين فقلت له لاصرف هنا .

٤ ـــ سقط من (أ) و (ب) : لنا .

فلما بلغ ماقلت إلى ذلك المدّرس لم يذعن للحق مع وضوحه ، فطلب الاجتماع بي وجاءني وأنا في المسجد ، فذكر ذلك لي وذكرت له ماتقدم . فلم يجد مدفعاً إلّا أن قال : أنظر ماتتقلّد من ذلك ، فاني أخاف أن يكون ذلك ذريعة للناس إلى التعامل بالربا . فقلت له : إذا وضح الحقّ وتبّين فلا يترك مخافة الوقوع في الباطل ، فانّ (١) ذلك إنّما يكون مع التباس الأمر واشتباهه ، فيحتاط الانسان لدينه فيترك مالابأس به حذراً ممّا به البأس . وأما بعد تمييز الباطل بصفته المعلومة شرعاً ، وتميّز الحق جانباً منه بوصفه المعروف حتى لايخاف التباس الحق بالباطل فلامعنى لترك الحق إذ ذاك لأجل توهّم متوهّم . ثم انجرّ بنا الكلام إلى مسألة صرف الريال بالمائدية ، وهي القراريط المذكورة من دون وزن بل بالعدد . وقد جرى على ذلك عمل أهل الحجاز ومصر إلّا القليل وقليل ماهم

فقلت له : لو انضبط لهم مقدار معلوم من خمسين أو ستين من القراريط تكون في وزنها قريباً من وزن الريال لخرجت على مسألة العتبيّة (٢) من قول ابن القاسم (٣) في الدينار بعشرين قيراطاً من الذهب إذ لافرق بين الذهب والفضة في ذلك . فكما خفّف في دينار واحد في مقابلة عشرين قيراطاً فليكن كذلك درهم (٤) كبير من الفضة وهو الريال في مقابلة أجزاء كثيرة من الفضة نحو الأربعين أو الخمسين أو الستين ، إذ لاعبرة بكثرة العدد وقلّته بعد (٥) اغتفار (٦) التفاوت اليسير في الوزن وانفراد إحدى الجهتين بالوحدة . ولكن لمّا لم ينضبط العدد المدفوع فيه الريال ، فتارة يكون خمسين وتارة إلى ستين كان في ذلك مكايسة ظاهرة وخرجت المسألة من باب المعروف الذي هو سبب الرخصة مع الضرورة . فأبى من قبول ذلك ولو مع الانضباط حتى أطلعته

---

١ ـــ في (أ) : فانما .

٢ ـــ مسألة في البيوع والصرف نسبة إلى فقيه مالكي أندلسي يسمى العتبي .

٣ ـــ عبد الرحيم بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي المصري : فقيه تفقه بالامام مالك ونظرائه . توفي عام ١٩١ هـ (٨٠٦ م) . له المدوّنة رواها عن مالك . ترجم له : ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٢٩ . والسيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٢١ .

٤ ـــ به سميت القطعة المضروبة من الفضة للمعاملة . وتختلف قيمته الشرائية من زمان إلى آخر حسب الأنظمة المالية في كل مكان . علي باشا مبارك : المصدر السابق ، ص ٣٠ . وهنتش : المصدر السابق ، ص ٩ .

٥ ـــ في (ب) : مع .

٦ ـــ يقصد هنا التجاوز .

عن كلام شيخ مشايخنا سيدي العربي الفاسي [١] في مسألة [٢] الريال والردّ فيه من درهم وقته أو المبادلة ، وقد حقق ذلك كل التحقيق . فلما رآه رجع إلى مثل قوله الأول ، والجواب عنه ماقررنا أولاً . وقد نقلنا من كلام الشيخ المذكور مالابد منه في شرحنا لنظم بيوع ابن جماعة . وهو الذي أطلعته عليه إذ لم يكن عندي إذ ذاك عين الرسالة التي ألّفها في ذلك .

ثم جرى ذكر مسألة أخرى قريبة من ذلك وهي أن المشتري للزرع مثلاً قد يريد دفع الريال الكامل في أصوع [٣] منه ، فيقول المشتري : أشتري منك الزرع على أن تأخذ مني الريال بحساب خمسين قيراطاً أو ستّين لكل ريال على مايتفقان عليه ، فيأخذ منه الزرع مثلاً بعشر قراريط للصاع أو أقل أو أكثر فيدفع له الريال على حسب تراوضا [٤] عليه أولاً / . فأفتى المدرس المذكور بعدم جواز ذلك قائلاً أن البيع وقع بالقراريط ، فلايجوز دفع الريال الكامل عنه لأنّه مراطلة [٥] مافي الذمة [٦] ، وهي لاتجوز لعدم تحقق المماثلة [٧] . وهي شبه المسألة التي قبلها المرخّص فيها في العُتْبِيّة إذا استوفيت شروطها لأنه ان ساغ دفع ريال في خمسين قيراطاً يداً بيد بلا مراطلة ساغ دفعه في خمسين مترتبة في الذمة لأنّ المناجزة حاصلة في كلتا الصورتين ، فانّ مافي الذمة حاضر وأما يسير التفاوت الذي عسى أن يقع فهو مغتفر للضرورة ولكون ذلك مرفوعاً.

١ ـــ العربي بن يوسف الفاسي ، أبو حامد : محدث أصولي ، اخباري وشاعر . توفي عام ١٠٥٢ هـ (١٦٤٢ م) . ترجم له المحبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٧٣ . وابن سوده : دليل مؤرخ المغرب ، ط ٢ ، الدار البيضاء : دار الكتاب ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) ، ص ٢٥٥ ـــ ٢٥٦ .

٢ ـــ في الأصل : مسلة . والتصحيح من النسخ .

٣ ـــ في الأصل : أصع ، وكذا في النسخ . ولأنها وردت دائماً هكذا ، فقد قمت بتصحيحها مرة واحدة في الهامش .

٤ ـــ في (ج) : تراضيا . وتراوضا في البيع أي تجاذباه بالزيادة والنقصان . والمراوضة هي بيع المواصفة أي تبيعه السلعة بالوصف دون أن يراها . ابن منظور : المصدر السابق .

٥ ـــ المراطلة : هي بيع الذهب بالذهب موازنة . المطرزي : المصدر السابق ، ص ١٩٠ .

٦ ـــ معنى مراطلة مافي الذمة هنا : تسديد المدين ماعليه بالمماثلة كأن يأخذ ذهباً ويردّ ذهباً . المطرزي : المصدر نفسه ، ص ١٧٦ .

٧ ـــ دفع الشيء مقابل صنوه كالذهب بالذهب والفضة بالفضة إلى غير ذلك . الامام مالك بن أنس : المدونة الكبرى لمالك ، رواية سحنون بن سعيد التنوخي عن ابن القاسم العتقي ، القاهرة : مطبعة السعادة : ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) ، ج ٨ ، ص ١٤٨ ـــ ١٥١ .

والذي أرى أنّ هذه المسألة ليست من المراطلة ولا المبادلة في شيء . فهي جائزة على كل حال لأنّ الذي وقع عليه العقد أولاً هو الريال الكامل لكون الدافع اشترط دفعه والآخر رضي بأخذه وبه وقع القضاء آخراً . فالذي وقع عليه العقد هو الذي وقع به الاقتضاء ، وذكر القراريط فيما بين ذلك إنما هو لبيان المقدار المبيع من الأصوع إذ العرف بيع الأصوع بالقراريط . فهو بمنزلة مالو قال له : أشتري منك من الأصوع بالريال ماكان يباع بكذا وكذا قيراطاً والقدر [1] المبيع من الأصوع بالعدّة المذكورة من القراريط معلوم للبائع والمشتري فلو كان الزرع مثلا يباع بعشرة قراريط للصاع فقال المشتري للبائع : آخذ منك خمسة أصوع وأدفع لك ريالاً كاملاً بحساب خمسين قيراطاً للريال ، فقد علم البائع والمشتري من أول وهلة أن الريال مدفوع في خمسة أصوع من الطعام لا في خمسين قيراطاً مترتبة في الذمة . فلو امتنع البائع من أخذ الريال بعد ذلك لم يجبر المشتري على دفع القراريط إذ ليست معقوداً عليها ولايجبر المشتري إلّا على دفع ماوقع عليه العقد ، فليتأمل المنصف .

ومما أفتى به ذلك المدرس أيضاً أن المواعدة [2] في الصرف إذا وقعت بين مصطرفين [3] فلا يحلّ لأحدهما الصرف من الآخر بعد ذلك ولو فسخا عقد العدة [4] وأنشآ [5] عقداً آخر . وخالفته في ذلك فقلت : إنما الحرام هو نفس المواعدة لكونه ذريعة إلى الصرف المستأخر . فانّ اصطرفا بعد ذلك وهما على ذلك الوعد وتقابضا اتماماً للوعد المتقدم فهو حرام أيضاً لأنه مبني على حرام وناشيء عنه . وان افترقا بعد المواعدة والعلم بتحريمها وألغياها فأتى أحدهما بنقده إلى آخر وقال له : انّ مافعلنا من المواعدة حرام وقد ألغيناها

---

١ ـــ في (أ) : المقدار .

٢ ـــ تعني هنا وقت الأداء المتأخر ، انظر : المدونة الكبرى لمالك (كتاب الصرف) ج ٨ ، ص ١٠١ ـــ ١٠٤ .

٣ ـــ المصطرفين هما المتبايعين بالنقود .

٤ ـــ في (أ) : المواعدة أو الوعد .

٥ ـــ في الأصل : أنشئا . وكذا في النسخ .

فإن شئت الآن أن أصرفك على مانتراضى (١) عليه الآن فعلت . ثم تراوضا (٢) على الصرف بحضور النقدين (٣) وأنشأ عقداً آخر ، فلابأس بذلك ولو قيل فيه بالكراهة ان قرب زمان الصرف من زمانه الهبة لاتهامهما على القصد إلى (٤) الايفاء بالوعد لم يبعد .

وهذه المسألة (٥) قريبة من مسألة (٦) المواعدة بالنكاح في العدّة والعقد بعد الخروج من العدّة . فلو رجعا عن تلك المواعدةوألغياها بعد الخروج من العدّة ، وتابا ممّا صدر منهما من المواعدة لم يمتنع انشاء عقد آخر عليهما بعد الخروج من العدّة . فلو امتنع ذلك لكانت مؤبدة التحريم ولاقائل به ، بل لو عقد عليها بالعدّة ففسخه الحاكم قبل المسيس لم يمتنع العقد عليهما بعد الخروج من العدّة ، فلا يكون العقد المحقق الوقوع أخف من المواعدة في الصرف وعد في وقت لايحل فيه العقد لغيبة النقدين أو أحداهما بايقاعه في وقت يحلّ وهو وقت حضورهما ، كمواعدة النكاح فانّها وعد في وقت لايحل فيه النكاح للعدّة بايقاعه في وقت يحلّ . فإذا ألغى المصطرفان العدة وأنشآ (٧) عقداً حيث يحلّ لهما ، فهو بمنزلة انشاء عقد النكاح بعد الخروج من العدّة فيكره ان أتّهما بقصد بالوعد ، بل لو عقد المصطرفان عقد الصرف في غيبة النقدين ، وحينئذ يقال لم قيل بالكراهة في تزويج المواعدة في العدة / إذا تزوجها خارج العدّة ، ولم يقولوا بالكراهة في تزويج المواعدة في العدّة فيفسخ العقد ! فان شاء تزوجها بعد العدة فله ذلك دون كراهة ، مع أن العقد أشدّ من الوعد بالعقد كما ذكر أولاً . فيقال : لعلّ العقد وان كان أشدّ فقد عرض له من الفسخ ماصيّر الموجود منه كالمعدوم لأن حكم الحاكم بالفسخ يصيّر العقد كأن لم يكن وتقع به المفاصلة الكلية بين المتعاقدين حتى لاطمع لأحدهما في الآخر فإذا أنشآ (٨) عقداً آخر علم أنّه لاعلاقة (٩) ولاصلة بينه وبين العقد المحظور

١ ـــ في النسخ : نتراضا .
٢ ـــ في (أ) : تراضيا .
٣ ـــ الذهب والفضة .
٤ ـــ في (أ) : إذ .
٥ ـــ في الأصل : المسلة . والتصحيح من النسخ .
٦ ـــ في الأصل : المسلة . والتصحيح من النسخ .
٧ ـــ في الأصل : أنشئا . وكذا في النسخ .
٨ ـــ في الأصل : أنشئا ، وكذا في النسخ .
٩ ـــ في الأصل : لاعلقة . وكذا في النسخ .

بخلاف العاقد بعد العدّة فانّه لم يتخلل بين الوعد والعقد فسخ يفصل أحدهما من الآخر لأن الفسخ انّما يعتمد العقود ولاعقد هنا . فيتهمان على البقاء على حكم الوعد المتقدم حتى يقع الطول الدال عادة على إلغائها . وهذا فرق لائح والله أعلم .

ولتحرّر هذه المطالب المتقدمة المتعلقة بالصرف بتأمّل صادق ومراجعة كتب الفروع فانّي كتبتها استعجالاً ، وستكون لنا عودة إن شاء الله إلى تحريرها بعد الفراغ من تسويد الرحلة .

ومن عادتهم في الشراء من الأعراب الذي يجلبون اللبن والجبن والسمن والغنم أن يشتري منهم قوم من الأعراب الساكنون بالمدينة وأطرافها ــ ولهم اسم يختصون به كالبرغازين [1] عندنا بالمغرب ــ فيدخلونه الأسواق ويشتري منهم أهل المدينة . وهذا من تلقّي السلع المنهي عنه . ولكنهم قد ألفوا ذلك واستمرت عليه عادتهم ، وألف ذلك القادمون أيضاً . ولو أن أحداً من أهل المدينة أراد أن يشتري منهم لم يبيعوه إلا بأضعاف مايشتريه البرغازون . فإذا جاء البرغازون أخذوه منهم [2] بأقلّ من ذلك ، ويركنون إليهم ، ويميلون إلى قولهم ، ويعرفون كيفية المساومة معهم ، فلايعتاصون عليهم لقرب الشكل من الشكل . وغيرهم ليس بتلك المثابة ، فلا يكاد أحد يشتري منهم لجفائهم وغلظ طباعهم ، فاستسهل الناس [3] الشراء من البرغازين بربح أقل زيادة على مااشتروا به من الأعراب .

ولقد شاهدنا في أيام المواسم بالحرمين العجب ممّا يباع فيهما من الهشيم اليبس وكثرته مع غلاء الأسعار . فيدخل السوق من الأحمال مايقرب من الألف في كل يوم فلايمسي شيء من ذلك . وشاهدنا حمل جمل يباع بدينار ذهباً وأخبرت أن العرب [4] يستعدون لذلك من أول السنة ، فيحصدونه في البادية ابّان الربيع وييّبسونه ، وينقلونه إلى قرب الأمصار حتى تأتي الركبان ، فيجتمع لهم من ذلك مايقوم بكفاية سنتهم .

---

١ ــ سبق شرح معناها في ص ٤٠ .
٢ ــ سقط من (أ) : منهم .
٣ ــ سقط من (أ) و (ب) : الناس .
٤ ــ يعني هنا الأعراب الساكنين في البوادي .

ومن عادتهم في أكرية الرواحل من القوافل الذاهبة إلى مكة وينبع أن بالمدينة رجالاً يعرفهم غالباً الجمّالون . فمن احتاج الكراء من أرباب الدواب أو أرباب السلع أتى إليهم فيعقدون (١) له الكراء مع صاحبه ، ويتكفّلون بما عسى أن يصدر من الجمّال من غدر في الطريق بهروب أو مكر . ويسمى أحد هؤلاء المخرج (٢) . فلايعقد أحد كراء إلا بحضرة أحدهم . وجلوسهم في الغالب بباب المصري . ويأخذون بذلك حلاوة (٣) من الجمّال أو من المكري ، وذلك دأبهم بمكة أيضاً / .

وقد كانت الأسعار أيام مجيئنا المدينة شديدة . فكان القمح ثلاثة أصوع بريال ، والصاع عندهم يقرب من ثلاثة أصوع بصاع الزكاة . وأما التمر بنحو أربعة أصوع بالريال . والشعير ليس بينه وبين القمح إلا يسير تفاوت خلاف المعهود في غالب البلاد . والعسل اشتريت رطلاً (٤) منه للدواء بقريب من ثلث الريال ، والسمن دون ذلك . وأمّا الفواكه فكانت في أيّامها ووسط أبّانها العنب بثلاثة مائديات للرطل . وقد رأيت رمّانة في آخر الابان بيعت بخمس مائدية وفواكه المدينة مع غلائها في غاية الجودة خصوصاً عنبها ورطبها (٥) . وأما الخضر فأكثرها وجوداً الجزر والبقلاء (٦) والملوخية والبامية (٧) والبصل واللفت . والخضر البرية ليس فيها إلا الخبيز (٨) . ولايأكل أحد في تلك البلاد السمن القديم والشحم الغوي (٩) إلّا اضرّا به مالم يكن حديث العهد بالبلد . فإذا طالت اقامته في البلد تطبّع بطبعهم .

وطبع ذلك البلد المشرّف وهواؤه قلّما يوافق أحداً من أهل مغربنا الأقصى(١٠) ممّن بلده ريف ذات مياه وخصب ، وانّما يوافق أمزجه أهل

---

١ — في (أ) : فيعتقدون .

٢ — الذي عرف أساليب المعاشرة والتداخل والتوفيق بين الناس . البستاني : المصدر السابق .

٣ — في اللهجة المغربية قدر من المال أو أجرة بسيطة فوق الاستحقاق تعطى للأجير .

٤ — الرطل من الأوزان ، وتختلف أثقاله بالاختلاف المدن والأزمان . وهو تعريب من اليونانية (Litro) . وربما كان وزن الرطل الحجازي في القرن الحادي عشر الهجري (١٧ م) : ٤٠٨،٢٣ غرام . هنتش : المصدر السابق ، ص ٣٠ .

٥ — التمر إذا انتهى نضجه . ابن منظور : المصدر السابق .

٦ — الفول . ٧ — نوع من الخضروات . ٨ — نوع من النبات البري يؤكل .

٩ — المهكل . ابن منظور : المصدر السابق . ١٠ — في (ج) : الأقصا .

الصحراء كتوات[1] وتيجورارن [2] وأهل السودان ، وذلك أعلم لفرط حرارة بلاد هؤلاء . فقلّما رأيت أحدهم مريضاً في تلك البلاد إلا مرضاً خفيفاً ، وقلّما رأيت أحداً ممّن بلده كبلادنا ريف وخصب إلّا وقد ألظ [3] به المرض إلّا القليل ممن طالت اقامته جداً في البلد وتطبّع بطبع أهلها .

لطيفة :

لما قرب انقضاء زمن الحر ، وأقبلت هوادي زمن البرد ، وظهرت البرودة في الهواء صباحاً ومساءً أخذ أهل البلد يدثّرون أبدانهم في الثياب الكثيفة التي تلبس في أيام البرد الشديد . وكنا نحن لألفنا لشدة البرد في بلادنا نتلقاه بأبداننا ونعرّي له أطرافنا فرحاً بقدومه لما قاسيناه من شدة الحرّ الذي لم نعهد مثله في قطرنا . فكان الناس ينهوننا عن ذلك ولانتهي ، ويقولون ليس هواء هذه البلد وبردها كالذي تعهدون ، فان البرد في أول أبّانه يسرع فساداً [4] في [5] الأمزجة ، وهو أضرّ من البرد الشديد الذي يكون في وسط الشتاء ، ويقولون ان الناس يلبسون من غليظ الثياب في آخر الخريف مالايلبسون في صميم الشتاء

١ ــ من واحات الصحراء الكبرى . استولى عليها يوسف بن تاشفين ٤١٣ ــ ٥٠٠ هـ (١٠١٩ ــ ١١٠٦ م) حوالي ٤٥٦ هـ (١٦٣ م) . ثم بسط الموحدون نفوذهم عليها في القرن السابع الهجري (١٣ م) ، واستمر ذلك إلى أن دخلها المرينيون . وبعد وقعة وادي المخازن المشهورة ٩٨٦ هـ (١٥٧٨ م) بثلاث سنوات أنفذ المنصور الذهبي حملته المشهورة إلى السودان وصار اقليم توات من ضمن ممتلكات السعديين .

وقد لاحظ الرحالة البرتغالي المجهول صاحب «وصف المغرب في عهد المنصور الذهبي» أن النظام السياسي في توات كان أحكم وأدقّ منه في باقي البلدان الاسلامية في افريقيا الشمالية . وفي عهد العلويين منح سليمان العلوي لتوات استقلالها الذاتي كما منحها دستوراً . بنعبد الله : الموسوعة المغربية (معلمة الصحراء) ص ٧٢ .

٢ ــ في (أ) : تجران . منطقة بالصحراء الكبرى جنوب المغرب الأقصى افتتح معاقلها عمر بن يعقوب المريني ودخلها السعديون ، وعزز حاميتها العلويون عام ١٢٢٢ هـ (١٨٠٧ م) . الفشتالي : المصدر السابق ، ص ١١٥ . وأحمد الناصري : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ١١٣ .

٣ ــ في (أ) : ألطق .

٤ ــ في (أ) : فساد .

٥ ــ سقط من (أ) : في ، وكذا من (ج) .

وشديد الزمهرير . فكنا لانلتفت لذلك ثقة بما نعدّه في أنفسنا في بلادنا من الصبّر على بردها الذي لايكون برد هذه البلاد بالنسبة إليه إلاّ كنسبة زمن الاعتدال الزماني الحرّ والبرد . فكان ذلك مع قدر الله تعالى هو السبب في حصول المرض المتطاول بنا (١) وبكل (٢) أصحابنا . ولقد صدقوا فيما قالوا ويشهد له قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (٣) رضي الله عنه — : توقّوا البرد في أول ابانه ، وتلقّوه في آخر أوانه ، فانّه يفعل بالأبدان مايفعل بالأشجار فأوله محرق وآخره مورق . ولم أكن رأيت هذا الكلام إذ ذاك ، ولو اطّلعت عليه لم أعدّه خصوصاً في تلك البلد ، فانّ بدن الانسان يكون مشتعلاً حرارة ويبساً لغلبة الحر ، فإذا فاجأ البرد البدن في تلك الحرارة أضر به بخلاف البرد الذي يجيء في آخر الابان يصادف (٤) البدن وقد سكنت حرارته ، والله أعلم .

ولم تزل الأسعار على ماتقدّم من الغلاء إلى أن هجم الشتاء وقرب زمان الربيع أرخت السماء عزاليها بالأمطار الغزيرة المتوالية ، وسالت الأودية ، ولم يأت أحد من ناحية إلا حدّث بالجود ، فلانت الأسعار ، وكثر اللبن والجبن في الأسواق . وكان (٥) الجبن أول مابدأ يباع بثمانية مائديات للرطل ، فلم تمض إلا مدة يسيرة حتى صار يباع بمائديين . وكثر اللحم السمين ، وكان قبل ذلك هزيلاً جداً ، ومع هزاله / قلّ مايوجد .

ولأهل المدينة ولوع وغرام بأكل اللّحم زاعمين أنهم يستضرّون بتركه لحرارة أبدانهم ويبسها ، فيحصل لهم الترطيب به . فإذا أكلوا غيره حصل لهم يبس في الطبيعة حتى أن من نسائهم من لايطبخ غداء ولا عشاء إلا أن يكون لحماً (٦) . ويقلن : نحن لانعرف الطبخ بلا لحم . ولو أدّى ذلك إلى بقائهم بلا عشاء ولا غداء . وقد أخبرني بعض أصحابنا أنّ من أهل المدينة من يشتري العبد فلا يكون له شغل إلا شزاء اللحم ، فيدور عليه في المدينة وأسواقها ،

---

١ — في الأصل : لنا . وكذا في (أ) و (ج) . والتصحيح من (ب) .
٢ — في الأصل : لكل . وكذا في (أ) و (ج) . والتصحيح من (ب) .
٣ — سبقت ترجمته في ص ٦٩ من هذه الرسالة .
٤ — في (ب) : كلمة زائدة : نحو .
٥ — في (أ) : كانت .
٦ — في الأصل : لحم ، وكذا في النسخ .

وفي العوالي وقباء في زمن قلّته (١) ، فلا يرجع إلى سيده حتى يحصله أو يدور المدينة ونواحيها كلّها ، فإذا حصله كان ذلك شغله في ذلك اليوم ، ولايستعمله في غيره لأنّه انّما تملّكه بقصد ذلك .

وأهل المدينة ــ زادهم الله خيراً ووسّع عليهم ــ أهل رفاهية وتوسّع في المعيشة في زماننا هذا ، وتغال في الملابس الفاخرة ، وتزيّوا بزيّ الأعاجم في مآكلهم ومشاربهم وملابسهم لكثرة سكنى الأعاجم بها . فانّ بها طائفة كبيرة من عسكر الترك زاعمين أنهم معدّون لحراستها ، وفي الحقيقة انّما يأكلون مال السلطان في غير شيء ، فلايغيثون ملهوفاً ولايردعون ظالماً .

وبها من الأعاجم أقوام كثيرون من الأكراد والترك وأطراف الشام يشترون الحصص والجامكية ، فيجلسون بالمدينة ويرتزقون بما يأتيهم من ذلك على حالهم التي كانوا عليها في بلادهم من التوسعة ، فاقتدى بهم غالب أهل المدينة من أقويائها . وقد كانت المدينة في الزمن المتقدم معروفة بالقناعة حتى قال مالك ــ رضي الله عنه ــ في الكفّارة والنفقات بالتفاوت بين المدينة وغيرها لقناعتها،(٢) . فآل الأمر في هذا الزمن إلى خلاف ذلك ، فصاروا أرفه الناس عيشاً ، وأكثرهم في المآكل والملابس اسرافاً ، أعني الكبراء منهم . وأمّا الفقراء وغالب المجاورين خصوصاً المغاربة فهم على حالهم من الفقر والمسكنة .

ولقد أخبرت أن للنساء عادة يسمونها الشخشخة ، وهو ماتشتري به المرأة ماتشتهيه من الأزهار والطيب (٣) ، فربما بلغ ذلك ريالاً في كل يوم . ولقد سألت شيخنا الثعالبي عن سبب ايثاره سكنى مكة على المدينة مع أنّا نقول بفضل المدينة على مكة (٤) فقال : انّ أهل هذه المدينة قد تحضروا وغلب عليهم طبع الأعاجم ورفاهيتهم واسرافهم ، وتشبهوا بهم في ملبسهم في غالب أحوالهم وأنا امرؤ مسكين فقير أخاف أن ينشأ أولادي وأزواجي ويتطبّعوا بطبعهم في ذلك ، بخلاف أهل مكة فانّهم لم يزالوا على أعرابيتهم واستعمال البداوة وعدم

---

١ ــ في (ج) : قلتها .

٢ ــ بل انّ المدينة شهدت رفاهاً وغنى كبيراً في العصور المتقدمة ولاسيما في العصر الأموي كما يصرح بذلك العياشي نفسه في ص ١٥٧ من هذه الرسالة .

٣ ــ سقط من (ب) : الطيب .	٤ ــ سبق الكلام عن هذا في ص٨٦ من هذه الرسالة .

المبالاة [١] والاعتناء في الملبس والمأكل . فقد غلبت عليهم البداوة وكثر مخالطتهم لأهل البادية وسكناهم بها ، حتى أمراؤها من الأشراف فان غالب سكناهم بالبادية وان كانت لهم منازل بمكة . ومن ولد له مولود منهم استرضع له عند العرب بالبادية ، فلايأتي به حتى يقارب الحلم . ولباس الملك وأولاده وبني عمّه وان كان في غاية الرفعة واللّطافة فانه على زيّ لباس العرب في تعمّمهم فيلبسون العمائم القصار ذوات الأهداب [٢] الطويلة ، ويرسلون لها العذبة [٣] إلي قريب من ذراع ، ويلبسون الدشوت [٤] الرفيعة . إلاّ أنها على هيئة دشوت الأعراب ، ولايلبسون الجوخ [٥] التي تلبسها العجم ، ولا الأقبية [٦] التي على زيّهم ، ويلبسون النعال ذات السيور [٧] التي على ظهر القدم دون السرجومة [٨] التي تلبسها الأعاجم / . وعلى كل حال فأهل مكة قد غلبت عليهم البداوة على جميع شؤونهم وظهرت فيهم دون أهل المدينة ، ولذلك قلّ سكنى الأعاجم بها إلا القليل لأنّها وطن السلطان وأولاده وأقاربه ، ونفوسهم لاتنقاد للذل وجريان الأحكام عليها في كل ورد وصدر ، فيشمئزون من سكنى مكة ، ويميلون إلى المدينة لكون عسكر الترك بها ، وهم جنسهم ، وأحكام السلطان وان كانت نافذة هناك أيضاً لكنها بعيدة منه ، فليست كمحل وطنه . أخبرني بهذا من سبر [٩] حال البلدين ، وعلمه زيادة على مارأيته أنا من ذلك .

١ ـــ في الأصل : المبالات . وكذا النسخ .

٢ ـــ مفرده هُدبٌ أو هُدُب . وهو القطعة إذا تدلّت من الشيء . ابن منظور : المصدر السابق .

٣ ـــ ماسدل من العمامة بين الكتفين وهما طرفاها . المصدر نفسه .

٤ ـــ لم أجده في معاجم اللباس التي رجعت إليها . ولعلها العباء المسماة البشت وجمعها البشوت في بعض أقطار جزيرة العرب .

٥ ـــ نسيج من صوف يكتسي به . دوزي : المصدر السابق ، ص ١٢٧ .

٦ ـــ مفرده قباء ، وهو ثوب يلبس فوق الثياب ، وقبل يلبس فوق القميص ويتمنطق عليه . المصدر نفسه ، ص ٣٢٥ .

٧ ـــ ج : سير ، وهو جزء من الجلد إذا كان طويلاً نسبياً . وسير النعال : جلد النعال . شاكر هادي غضب : بداءة معجمية في مصطلحات الحلي والأزياء ، ؟ ، بغداد : دار الحرية ، ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦ م) ، ص ٤١ .

٨ ـــ الخفّ الواسع الذي يلبس فوق الخف . وهو لفظ فارسي معناه رأس الخف ، فان سير : رأس وموزة : خفّ . وفي الوقت الحاضر يستعمل الناس الحذاء لنفس الغرض . دوزي : المصدر السابق ص ٢٠٢ .

٩ ـــ في (أ) : سير .

ولما كان في أواخر جمادي الثانية كثرت الأمطار بالمدينة وماحولها وسالت أودية المدينة سيولاً متعدّدة كما قدّمنا ذلك عند ذكر الأودية . وبينما نحن ذات يوم بالمدينة بعدما صلّي الظهر إذا أرخت السماء عزاليها ، وأمطرت مطراً وابلاً سحّاً كأنه طوفان . وفي أقل من ساعة صار صحن المسجد كله كالبركة العظيمة من ماء الميازيب وماء المطر ، فضاقت عنه البلاليع المتخذة لسلوكه في صحن المسجد ، وكان ببعضها بعض اختناق . فلم يُرُع الناس إلّا اندفاق الماء إلى داخل المسجد ، وأتي على الزرابي المبثوثة والخصر . فبجدّ واجتهاد تصايح الناس ممّن كان بقرب المسجد ، وجمعت البسط والزرابي بعدما ابتل أكثرها ، وصار الماء إلى المنبر والمحراب النبوي ، ووصل إلى الصفّ الأول ، فصار المسجد من داخله بركة ماء . فما جاء العصر وأحد يجد مصلى في المسجد سالماً من الماء ، فصلّى الامام العصر في دكّة (١) الخدام مع طائفة من الناس ، وصلّى باقي الناس في أروقة الصحن الشرقية والغربية . فاجتمع الناس لاخراج الماء من المسجد بالأسطال والأواني الكبار ، فجدّ في ذلك من رغب في الأجر . وكانت لنا سطلة كبيرة من نحاس ، فأتينا بها وبأحد من أصحابنا يستقي بها اغتناماً لبركة الخدمة في تلك البقعة المطهرة . وكنت إذ ذاك في (٢) فضلة من مرض لم أقدر على مزاولة شيء من أعمال الخدمة باليد ، ولكني وقفت ورغّبت الناس في العمل ، وعمل ذلك جماعة من أصحابنا المغاربة أعمالاً حسنة. ومافرغ الناس من اخراج الماء إلى قرب المغرب ، فبات (٣) المسجد على حاله غير مفروش (٤) ، وفي الغد بولغ في تنظيفه وغسله وكنسه . وأخبرنا ناس من أصحابنا الذين طالت اقامتهم بالحرمين أنهم ماشهدوا وقوع مثل ذلك ، ولاسمعوا به فيما مضى . ويشهد لعدم وقوعه أنه لو وقع لاحتيل في جعل ساتر بينه وبين الصحن ، ووقاية تدفع الماء وتمنعه من الدخول كما وقع ذلك باثر هذه الحادثة فانّ شيخ الحرم أمر باتخاذ حجارة منحوتة محكمة الاتقان قدر ذراع في الطول مثبت أسافلها في أرض المسجد فيما بين كل أسطوانتين من الأساطين (٥)

---

١ — في الأصل : تكة ، وكذا في النسخ . وهو تصحيف من المؤلف .
٢ — سقط من (أ) و (ب) و (ج) : في .
٣ — في الأصل : فبات ، وكذا في النسخ .
٤ — في الأصل : مفرش ، وكذا في النسخ .
٥ — في (أ) : زاد الناسخ حرف الواو بين كلمتي الأساطين والموالية .

الموالية للصحن يمنع ذلك من دخول الماء إلى المسجد ولو اجتمع في الصحن إلّا أن يكثر جداً ويرتفع فوق الأحجار ، وذلك نادر أن يقع ، ولو وقع لكان رجوعه إلى الخروج من باب الرحمة وباب جبريل أقرب من دخوله إلى المسجد ولقد أجاد شيخ الحرم في وضع هذا الحاجز وفي / تنقية البلاليع [1] التي في صحن المسجد .

وشيخ الحرم هو كبير العبيد الأغوات [2] الموقوفين على خدمة المسجد والحجرة الشريفة . والآغا بلغتهم كناية عن الخصي من العبيد . واختاروا وقف الخصي دون غيره لكونه أطهر وأنزه وأكثر فراغاً من الأشغال ، إذ لا أهل له ولا ولد يشتغل بهم . وهو أبعد من دنس الجنابة ومباشرة النساء [3] . وهم عدد كثير قريب من الثمانين يزيدون وينقصون بحسب كثرة الراغبين في الوقف وقلّتهم . والأربعون منهم هم الكبار الذين يأتي رزقهم ومؤونتهم [4] من بيت المال . ومازاد على ذلك إنما يرزقون من الأوقاف التي لهم بالمدينة أو ممّا يأتيهم من الهدايا والصدقات من أقطار الأرض .

ويسمى ماسوى الأربعين البطّالين [5] لأنّهم انما يستعملون في الأشغال التي هي خارج الحجرة والمسجد النبوي من الأعمال الممتهنة ، ولايجلسون مع الأكابر في الدكة ، إنما يجلسون خارجها . ولهم ضبط وسياسة كسياسة الملوك ، فلكل واحد منهم رتبة معلومة وشغل معلوم ؟ فإذا مرّ بالأصاغر أحد الأكابر قاموا له كلهم ، وكذلك الأكابر فيما بينهم . فأكبرهم شيخ الحرم ، وهو يتجدد في الغالب إمّا في سنة أو سنتين أو أكثر ، ولايأتي إلّا من دار السلطان من عبيده . ويليه النقيب [6] ، ويليه المستلم [7] ، وهو الذي يتولى قبض

---

١ — في (ج) : البلالع .

٢ — في (ج) : الأغوات . وهكذا وردت دائماً .

٣ — فكرة صوفية تدعو إلى الابتعاد عن ملاذ الحياة واعتزال النساء . وهي ليست من صميم الاسلام بل بدعة من البدع المحدثة . يقول الرسول ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو ردّ » أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الأقضية ، باب نقض الأحكام الباطلة وردّ محدثات الأمور ج ٢ ، ص ١٣٤٣ .

٤ — في الأصل : ومؤنتهم ، وكذا في النسخ .

٥ — في الأصل : البطالون ، وكذا في النسخ .

٦ — عريف القوم وكفيلهم . ابن منظور : المصدر السابق .

٧ — في الأصل : المستسلم . وكذا في (أ) و (ب) . والتصحيح من (ج) .

الصدقات ومايهدى لهم أو للحجرة ، وبيده مفاتيح الحجرة وحواصل الزيت والشمع . والحاصل أن جميع مايتصرف فيه الأغوات من مصالح المساجد ومن أوقافهم كل ذلك بيده . وإذا مات أحد من الأربعين دخل أحد البطالين في موضعه ، وهو من كان شيخ البطالين . والترتيب في ذلك بالتقدم ، فمن تقدّم مجيئه يقدّم على من تأخر مجيئه . وليس فيهم شافعي ولاحنبلي ، بل كلهم حنفية ومالكية على مذاهب ساداتهم الذين أوقفوهم . وذلك لأن الشافعية والحنابلة [1] لايرون صحة وقف الحيوان . ومن أوقف عبداً من الأغوات على الحجرة نسب إليه ، سواء كان من التجار أو من الأمراء أو العلماء ، فيقال : (آغا فلان) . وقد كان كبيرهم المستلم أيام مجاورتنا الآغا يحيى . وهو من وقف الشيخ الصالح الحاج الأبرّ سيدي أبو حفص بن الشيخ عبد القادر بن بو سماحة المغربي [2] من ناحية فجيج [3] .

وتوفي الآغا يحيى بعد خروجنا من المدينة ونحن بمكة ، وتولّى مكانه الآغا مصطفى ، وهو مالكي أيضاً . وكلاهما كان يبالغ في تعظيمنا والاحسان إلينا ، فجزاهم الله خيراً .

وكلّ الأغوات أهل خير وبركة قد اختارهم الله لخدمة أشرف البقاع ، وشرفهم بالنسبة إلى أشرف الخلق ﷺ . ولقد شاهدت منهم أناساً على قدم صدق في العبادة ، منهم الآغا عبد النبي وهو شيخ البطالين إذ ذاك ، والآغا عنبر منهم أيضاً . ولقد اعتكفت ليلة في المسجد فلم يبت فيه أحد غيري سوى الأغوات ، فاجتهدت أن أساويه في القيام والصلاة فما قدرت والفضل بيد الله .

والآغوات كلهم يبيتون في المسجد ماعدا [4] شيخ الحرم والنقيب . وأمّا الآخرون فلايبيت أحد منهم في داره إلّا لعذر بين مرض أو نحوه . ولكن جزاهم الله خيراً عن تعظيم المكان وتوقيره وتبجيله . / وعادتهم كل ليلة إذا فرغ الناس

---

١ ــ في (ج) : الحنابلية .

٢ ــ متصوف له شهرة وأتباع في منطقة واركلا بالصحراء الكبرى جنوب الجزائر . أبو سالم العياشي : ماء الموائد (طبعة الحجر بفاس) ج ١ ، ص ٤٣ .

٣ ــ قرية في الجنوب الشرقي من المغرب من اقليم وجدة .

٤ ــ في الأصل : ماعدى ، وكذا في (ب) و (ج) . والتصحيح من (أ) .

من صلاة العشاء ورواتبها قاموا بيدهم الفوانيس [١] الكبار مشعلة ليخرجوا الناس من المسجد . فيأتون إلى المواجهة والصفّ الأول ، فيقف بعضهم أول الصف ووسطه وآخره فيخرجون كل من فيه . فإذا لم يبق أحد في ذلك الصفّ تكلّموا بكلمة ذكر رافعين أصواتهم بها . فينتقلون إلي الصفّ الذي يليه ، ثم كذلك حتى لايبقى بالمسجد أحد إلّا هم . فيغلقون الأبواب ويطفئون المصابيح كلها إلّا التي في مواجهة الوجه الشريف والتي [٢] في داخل الحجرة . فيخرجون من المسجد إلى الصحن وإلى الأروقة التي بجانبهم ، فيخرجون فرشهم من الحواصل وينامون هناك . ولاينام أحد منهم في المسجد ، بل ولايأتيه إلّا من قصده منهم للصلاة ، وغالب نوم الصغار منهم في مؤخر المسجد .

ومن وراء المسجد من الناحية الشامية ميضاة [٣] كبيرة فيها بئر كبيرة [٤] وأخلية ، وفتح لها باب إلى مؤخر المسجد ، ولاتفتح إلّا ليلاً بعد غلق الأبواب وتسرج فيها المصابيح لوضوء الأغوات وأزالة حقنة من احتاج إلى ذلك بليل فإذا اغلقت الأبواب هدأت الأصوات منهم وخشعوا ، فلا تكاد تسمع من أحد منهم كلمة ، فمن احتاج منهم إلا كلام أحد منهم كلّمه كآخى السرار [٥]. ولقد رأيتهم يبالغون في خفض أصواتهم بالليل حتى بالسعال والعطاس ، وتتنزّل [٦] عليهم السكينة ، وتلحقهم هيبة المكان ، وليس ذلك منهم مجرد استعمال ، بل لما يخالط قلوبهم من هيبة المكان . ولقد أخبروني [٧] أنه لايقدر أحد منهم بليل أن يصل إلى الروضة وأطراف الحجرة والمواجهة إلّا الأفراد منهم ، وأنّهم ليسمعون بالليل قعقعة السقوف وفرقعة الشبابيك حتى يظنوا أنّ أحد أبواب الحجرة فتح ، وأن بعض السقوف وقع ، فلايجدون شيئاً من

---

١ ـــ في الأصل : الفوانس ، وكذا في النسخ . والتصحيح من القاموس .
والفوانيس مفرده فانوس ، وهي المصابيح ، ابن منظور : المصدر السابق .
٢ ـــ في الأصل : اللء . والتصحيح من النسخ .
٣ ـــ عند أهل المغرب تطلق على بيت الخلاء أو المرحاض .
٤ ـــ في الأصل : كبير . وكذا في (أ) و (ج) . والتصحيح من (ب) .
٥ ـــ في (أ) و (ب) : الآخر السرار . وهو خطأ .
ومعنى كآخي السرار أي الكلام الذي لايكاد يسمع كما يبدو من السياق .
٦ ـــ في (ب) : تتنزل .
٧ ـــ في (أ) : أخبرني .

ذلك . وذلك والله أعلم لتنّزل ملائكة الرحمة على قبره ﷺ أو قدوم بعض رجال الغيب (١) للزيارة . ويظهر أثر ذلك بالليل لهدوء الأصوات به وخلو المكان ، وان كان تنّزل الملائكة على قبره ﷺ وغشيان الرحمة له لاينقطع ليلاً ولانهاراً . ولقد شاهدت من الهيبة والعظمة في إحدى الليالي التي بتّها في المسجد ماأعجز عن وصفه . ولقد كنت أجتهد إذا عسعس الليل أن أصل إلى المواجهة وأقف للتسليم والدعاء ، فما أصل إلى ذلك حتى تكاد أوصالي تتقطع هيبة . فإذا وصلت سلّمت وأردت اطالة الوقوف للدعاء كما كنت أفعل نهاراً فلا أقدر ، فأحقق السلام والدعاء وأرجع . ولقد سمعت بعض ماذكر من فرقعة السقف وماشبه ذلك فملئت منه رعباً إلا أني كنت أشتغل عنه وأتلاهى عن سماعه بقراءة القرآن سراً . فيالها من ليلة عندي نتيجة عمري وفريدة أيامي . فلئن كانت ليلة القدر كألف شهر ، فهذه الليلة عندي كألف ليلة قدر (٢) . اللهم لاأحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك ، فلك الحمد على جزيل عطائك ولك الشكر على سوابغ آلائك .

فإذا كان بعد الثلث الأخير من الليل جاء رئيس المؤذنين ففتحوا له ، وصعد إلى المئذنة الرئيسية (٣) وأذّن ، وشرع في الدعاء والذكر والصلاة على النبي ﷺ ، فيقوم كل من في المسجد من الأغوات فيتوضأون ، ثم يصبحون كلّ ما(٤) في المسجد من المصابيح . فإذا فرغوا / من الاصباح وقرب الصباح فتحوا أبواب الحرم ، ولايأتي وقت فتحها حتى يجتمع بأبواب المسجد جماعات كثيرة من المتهجّدين (٥) ينتظرون الفتح . فإذا فتحت الأبواب دخلوا مزدحمين وتسابقوا إلى الصف الأول من الروضة فيما بين القبر والمنبر . فمن سبق إلى

---

١ ـــ في (أ) : الغيث .
٢ ـــ هذا كلام مبالغ فيه لأن شتّان مابين ليلة العياشي وليلة القدر . فليلة القدر ليلة ذكرها الله في القرآن وأجلّها نظراً لأهميتها ، إذ فيها نزل خير كتاب لهدى البشرية .
أما ليلة العياشي فلاتعدو أن تكون كسائر الليالي ، وانّما بالغ المؤلف في تعظيمها توهّماً منه ومسايرة لأهوائه الصوفية في الاهتمام بالغيبيات .
٣ ـــ في الأصل : الرايسية . وكذا في النسخ .
٤ ـــ في الأصل : كلما .
٥ ـــ في (ب) : المجتهدين .

موضع كان أحق به . فإذا أراد القيام لحاجة كزيارة أو تجديد وضوء بسط نمرة [1] له في محله ، فلايجلس فيه أحد ولو أبطأ . وكثيراً مايعتدي في ذلك أقوام ، فيدخلون مع أول داخل من غير طهارة لقصد السّبق إلى الموضع وتحجيره فإذا بسط فيه فروته [2] أو منديله ذهب إذ ذاك إلى الطهارة فيحجر على الناس المحلّ . وربما عرض لأحدهم حاجة في منزله أو في السوق ، فيترك النمرة في محله ، فلايقربه أحد وان أبطأ كثيراً[3]. وفي ذلك من الضرر على المصلّين مالايخفى . على أن في دخولهم مزدحمين واستباقهم إلى الروضة حتى زبما سمع لأقدامهم دويّ من شدّة العدو وسوء أدب لايخفى [4] . وربما يحتجّ لذلك محتج بقوله عليه السلام : « لو يعلم الناس مافي الصف الأول لاستبقوا إليه » [5] فلابد من تقييد ذلك بما لايخلّ بأدب البقعة المطهّرة وساكنها لقوله عليه السلام : « واتوها ـــ يعني الصلاة ـــ وعليكم السكينة والوقار ، فما أدركتم فصلوا ومافاتكم فأتموا » [6] . والمراد بالمسابقة في الحديث المتقدم الاهتمام بشأنه ، والحرص على الصلاة فيه ، والتبكير إليه من غير عدو بالاقدام ومزاحمة المناكب .

وسادتنا الأغوات ـــ رضي الله عنهم ـــ لايغفلون طرفة عين عن حراسة الحرم الشريف ، وتأديب من أساء فيه الأدب بلغط ورفع صوت أو نوم ولو في قائلة إلاّ [7] في مؤخرة المسجد . ومن وجدوه [8] مضطجعاً من دون نوم لاستراحة ، فانّ مدّ رجليه إلى ناحية الحجرة زجروه ، وان استقبل القبلة بوجهه أو الحجرة من غير أن يكون مستدبراً لها تركوه . ولايغفلون عن حضور المسجد في ساعة من ليل أو نهار ، فان خرجت طائفة جلست طائفة .

١ ـــ بردة من صوف يلبسها الأعراب . دوزي : المصدر السابق ، ص ٤٢٦ .
٢ ـــ من ألبسة الرجال ، وهي عبارة عن مجموعة جلود مخاطة بأصوافها الناعمة المأخوذة من صغار النعاج ، وتكون بهيئة المعطف الطويل . شاكر غضب : المصدر السابق ، ص ٥٠ .
٣ ـــ في الأصل : وكثيراً . وكذا في (ب) و (ج) . والتصحيح من (أ) .
٤ ـــ عبارة ناقصة لأن المؤلف لم يذكر اسم أنّ الذي يتضح به معنى الجملة .
٥ ـــ ورد عند البخاري بهذا اللفظ : « لو يعلم الناس مافي النداء والصفّ الأول ثم لم يجدوا أن يستهموا عليه لاستهموا » . الجامع الصحيح ، كتاب الأذان ، ج ١ ، ص ١٥٢ .
٦ ـــ البخاري : الجامع الصحيح ، كتاب الأذان ، ج ١ ، ص ١٥٦ .
٧ ـــ في (أ) : لا .
٨ ـــ في (ج) : وجده .

ولهم[1] ديار وخدم وأتباع وضياع وخيل وسعة دنيا . ولايشغلهم ذلك عمّا هم بصدده من خدمة المسجد ، بل لبعضهم أزواج وسرار اتخذوها للتلذذ بما سوى الجماع . وأحكامهم بينهم منضبطة غاية الانضباط ، ولايحكم فيهم سلطان ولاغيره ، ولايولّى عليهم ولايعزل منهم إلا بأمر شيخهم ، ولايرث معهم بيت المال شيئاً ان مات أحدهم ، انما يتوارثون بينهم . ومن وجبت عليه عقوبة أو أدب منهم أدّبوه من غير أن تكون لأحد عليهم ولاية . كل ذلك تعظيماً لجانب النبي ﷺ أن تكون لأحد ولاية على عبيده . ولقد أنكرت منهم تأديب من لزمه الأدب من صغارهم في المسجد في بيت بازاء الحجرة . فكنت أرى أن لو جعلوا لذلك محلاً بعيداً من المسجد والحجرة الشريفة . ولايدخل معهم من العبيد الذين يهدون من الآفاق إلاّ من أرادوا ادخاله بمال يدفعه سيّده عنه أو يدفعه هو ان كان له مال . ومع ذلك يبقى في مرتبة الصغار المشتغلين بالخدمة الخارجية . فان رضوا حاله وحسنت أخلاقه تركوه حتى تأتي نوبته في الدخول في زمرة الأربعين . وان ظهرت منه خيانة وسوء أخلاق وسرقة أو شيء يشينه نفوه إلى حيث شاء من البلاد . ولقد وجدت هناك خصياً لبعض ملوك المغرب دفع لهم مالاً جزيلاً ليدخل في زمرتهم . وكان كهلاً لايحسن خدمة الصغار فدفع لهم مالاً آخر على تحريره من الخدمة ، وقنع بأن يكون محسوباً في زمرتهم يناله من أوقافهم وصدقاتهم . / . ولقد أصاب في ذلك وأحسن النظر لنفسه إذ أنقذه الله من خدمة سلاطين الدنيا إلى خدمة سلطان الدنيا والآخرة ومن جوار الظلمة الفجرة[2] إلى جوار الكرام البررة . وبالجملة ، فلعبيد النبي ﷺ وخدام مسجده[3] جلالة قدر ، وعظم منصب ، وسعة أرزاق ، وكرم أخلاق ، وهم أحقاء بذلك . ولكبيرهم كلمة نافذة في المدينة وتصرّف تام ويد مبسوطة . وهو أحد عظماء الولاة[4] بالمدينة تنفذ أحكامه ، وتمضي تصرفاته في القوي والضعيف ، ويطاوعه[5] الكبراء والأشراف .

---

١ — في (ب) : ولها .

٢ — ربما قصد العياشي الأمراء السعديين أبناء المنصور الذهبي وغيرهم ممّن أقحموا البلاد في حرب أهلية أتت على الأخضر واليابس . ولقد انطبع أثر ذلك في نفسه مما حدا به إلى القيام برحلته فراراً من ذلك الواقع المؤلم .

٣ — في (أ) : مسجد .

٤ — في الأصل : الولات ، وكذا في (ج) . والتصحيح من (أ) و (ب) .

٥ — في الأصل : يطا عقبه . وكذا في النسخ .

وعلى طول اقامتي بالمدينة لم أدر كيفية تصرّف الولاة (١) بها ولا من له التصرف التام بها . فانّ شيخ الحرم وهو كبير الخدّام كما تقدّم تنفذ أحكامه وكبير العسكر الساكنين القلعة أمير أيضاً ، وابن عم السلطان زيد وزوج ابنته السيد ثقبة (٢) النائب عنه في النظر في مصالح البلاد كذلك ، والحاكم الذي يسجن ويضرب ويقتل ويؤدب ، وهو من خدام السلطان كذلك ، والأمير الذي تنسب إليه امرة المدينة من الشرفاء الحسينيين كذلك . ولاأعلم هل لكل واحد من هؤلاء ولاية على قوم بالخصوص أو على عمل من الأعمال ؟ ولم يشف لي أحد غرضاً في كيفية ذلك ، ولم أبالغ في الفحص عنه إذ لم يتعلّق لي به غرض إلّا مجرد العلم والاحاطة (٣) بأخبار المدينة دينيّها ودنيويّها لحبي لها ولساكنيها . أسأل الله أن يحقق لي ذلك ، ويجعل قبري بها على أحسن حال تسرّ المؤمن في دينه ودنياه . آمين .

ولم يكن يدعي في الخطبة يوم الجمعة إلا لثلاثة . يدعى أولاً — بعد الصلاة على النبي ﷺ والترضّي عن الآل (٤) والخلفاء والصحابة — للسلطان الأعظم ملك الترك . إلّا أنهم يبالغون في تعظيمه بأوصاف لاينبغي أن يعظّم بها (٥) أحد من الخلق خصوصاً بحضرة الرسالة .

وليس في تلك الأوصاف أحسن ولاأجمل ولاأكمل من قولهم فيه : خادم الحرمين الشريفين ، فأكرم بها نسبة . وقد رأيت في بعض التواريخ أن أول من وصف بذلك من الملوك في الخطبة السلطان الأجلّ صلاح الدين بن أيوب وأنه لمّا قال الخطيب ذلك وسمعه سجد شكراً لله أن أهّله لذلك وسمّاه به وهكذا ينبغي أن تكون همم الملوك ، فلاأشرف لهم إلا بالانتساب لله ورسوله ولاعز إلا بالتذلّل لجناب الله ، ولارفعة إلا بالخضوع لهيبة الله ، ولاحماية إلا بالانقياد لأحكام الله . ثم بعد الدعاء لملك الترك موصوفاً بكونه ملك البرين والبحرين والشامين والعراقين يدعى للسطان زيد بن محسن موصوفاً بكونه حامي

١ — في الأصل : الولات . وكذا في (ج) . والتصحيح من (أ) و (ب) .
٢ — في (ب) : تقية . وهو خطأ .
٣ — في الأصل : بالاحاطة . وكذا في النسخ .
٤ — في (أ) : الأول . وفي (ب) : أتال .
٥ — في (أ) : كلمة غامضة .

حمى الحرمين الشريفين . ثم يدعى لأمير المدينة السيد الحسين بن جمّاز (١) موصوفاً بكونه حامي حمى المدينة وأميرها . على أنه ــ فيما يظهر ــ ليس له من ولاية المدينة وإمرتها إلا الاسم أو مايقرب منها لأنّه من تحت أمر السلطان زيد ، والتصرف لنوابه وأقاربه .

وقد كانت أمرة المدينة فيما مضى والتصرف في ولايتها لبني الحسين (٣) كما أن ولاية مكة لبني الحسن (٤) ، وكانت تقع بينهما حروب ، وكان بنو الحسين (٥) لهم قوة وبطش ربما غلبوا عليهم . والآن صار الأمر لبني الحسن(٦) فجمعوا الولايتين . ولم يبق لبني الحسين (٧) إلا رسوم قليلة من ولاية المدينة ، وصاروا كلهم إلا القليل بادية يرحلون وينزلون بنواحي المدينة. وهم قبيلة عظيمة قوية ليس لهم اسم إلا بنو الحسين (٨) ، وكبيرهم الموسوم بولاية المدينة نازل بالمدينة وبعض أقاربه ، ولهم شارة حسنة ومنازل رفيعة تدل على نباهة الذكر / .

ولما خفّ مرضي ووجدت بعض الراحة في أواخر جمادي الأولى وأوائل الثانية (٩) شرعت في تكميل الأمداح التي ذكرت أول الرحلة أني وضعتها على حروف المعجم . وكان التوجه إلى هذه الوجهة المباركة ببركة الشروع فيها، وكان الموضوع منها قبل الرحلة عشرة أحرف وبقيت عشرون ، فشرعت في تكميلها وأنا ملازم للفراش ، انما كنت أكتب منها ماأكتب وأنا في فراش التمريض . إلا أن هذه القصيدة جاءت على طراز آخر ونمط غير الأول يستبين منها اللّبيب ذو الذوق السليم أن الأول : نفس محبّ طالت عليه الغربة وأذاب قلبه لاعج الشوق ، وأن القصائد الأخر : نفس محبّ وصل إلى محبوبه وتمتّع

١ ــ في الأصل : الحبسين بن حماد ، وكذا في النسخ . أنظر ص ٣٥ من هذه الرسالة .
٢ ــ في الأصل : حسين ، وكذا في النسخ .
٣ ــ في الأصل : بني حسن ، وكذا في النسخ .
٤ ــ في الأصل : كانت .
٥ ــ في الأصل : بنو حسين . وكذا في النسخ .
٦ ــ في الأصل : بنو حسن . وكذا في النسخ .
٧ ــ في الأصل : بنو حسن . وكذا في النسخ .
٨ ــ في الأصل : بنو حسن . وكذا في النسخ .
٩ ــ من عام ١٠٧٣ هـ الموافق كانون الثاني (يناير) ١٦٦٣ م .

بالتقلّب في ربوعه وأطلاله . وأول الحروف التي كمّلتها في المدينة حرف (١) الزاي ، وأوله :

زيارة خير العالمين هي الكنــز ومدحي له في كل نائبة حرز
جواري(٢)له حصن حصين وملجأ(٣) به تكشف البلوى به يدفع الرجز
وحبّي له سرّاً وجهـراً ويقظــة ونوماً وفي دنيا وأخرى هو الفوز

وسيأتي ذكر القصائد ــ إن شاء الله ــ بتمامها في آخر الرحلة .

ولما كان أول رجب (٤) جعل الناس يقدمون من أقطار الحجاز كمكة واليمن (٥) والطائف ونجد (٦) وجدّة وماوالاها من أطراف اليمن لشهود الرجبية وزيارة سيد الشهداء حمزة ــ رضي الله عنه (٧) ــ . فما من يوم إلا وتدخل فيه قافلة من مكة ونواحيها ، وقدم شيخنا الشيخ عيسى الثعالبي بأولاده ، وقدم معه جماعة من المغاربة المجاورين بمكة ، وجماعة من طلبة مكة كأولادِ شيخنا قاضي المالكية بمكة تاج الدين . وقدم جماعة من أصحاب شيخنا القُشاشي كصاحبنا العلاّمة حسن العجيمي (٨) ، وفقيه من فقهاء الحنفيةِ يسمّى الزّنجبيل(٩) ، والشيخ حسن الدهّان (١٠)، وهو من أصحاب شيخنا القشاشي . ولم يزل الناس يتلاحقون ، فخرج أهل المدينة إلى أُحد من اليوم الخامس والسادس من الشهر(١١) ، ورجعوا في اليوم الثاني عشر(١٢) ، ولم يبق بالمدينة إلّا القليل .

---

١ ــ في (ج) : حروف .
٢ ــ في (أ) : جوار .
٣ ــ في (أ) : مجا .
٤ ــ من عام ١٠٧٣ هـ الموافق ٩ شباط (فبراير) ١٦٦٣ م .
٥ ــ المراد باليمن هنا البلاد الواقعة جنوبي الطائف .
٦ ــ نجد لاتدخل في منطقة الحجاز .
٧ ــ في (ج) : عنهم .
٨ ــ حسن بن علي بن يحيى بن عمر العجيمي اليمني : مؤرخ له معرفة ببعض العلوم توفي عام ١١١٣ هـ (١٧٠١ م) ، ترجم له : عبد الحي الكتّاني : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٣٦ .
٩ ــ لم أعثر على ترجمته في المصادر التي تيسّر لي الرجوع إليها .
١٠ ــ وكذلك حسنُ الدهان لم أعثر له على ترجمة .
١١ ــ يعني شهر رجب من عام ١٠٧٣ هـ الموافق ١٣ ــ ١٤ شباط (فبراير) ١٦٦٣ م .
١٢ ــ من الشهر نفسه عام ١٠٧٣ هـ الموافق ٧ آذار (مارس) ١٦٦٣ م .

وخرج العسكر لحراسة الطرقات من المدينة إلى أحد ، وتقدّم شرح ذلك في زيارة أحد . وبعد الرجوع من أحد نزل الوافدون بالمدينة ينتظرون الرجبية وهي ليلة سبع وعشرين منه (١) ليلة المعراج . وقدم خلق كثير من الأعراب وكانت بالمدينة سوق عظيمة ، وامتلأ المسجد وجوانبه ، فما من يوم إلا ويزداد الخلق فيه كثرة ، وأكثرهم عرب جفاة ليس لهم دين ولامذهب ، جلّهم لايعرف صلاة وصوماً (٢) . فتدخل جماعة منهم المسجد غاسلين أطرافهم يريدون الصلاة على زعمهم ، فيقف أحدهم ملياً ، ثم يسجد على قدر مايرى امّا ثمان سجدات أو عشر سجدات أو أكثر على حسب نشاطه ، ثم ينصرف . وغالبهم على هذا الوصف ، ومنهم أفراد يدينون دين الحق . وسلامهم على النبي ﷺ حيا الله امحمد ، رافعين بها أصواتهم . فإذا كانت الليلة السابعة والعشرون تكامل حشد (٣) الناس ، فمن لم يدخل المسجد من قريب من العصر قلّما يجد موضعاً لصلاة المغرب والعشاء ، فيغص المسجد بمن فيه ، ويفتح الحرم طول الليل ، ويبيت الناس في ذكر وقراءة وصلاة ، كلّ حسب مايسنح له إلى الصباح فإذا أصبح الناس أخذ الأعراب في التوديع ، فيسمع لهم حنين كحنين الابل في المسجد وصياح (٤) وصراخ (٥) رافعين أصواتهم بالصلاة على النبي ﷺ والاستغاثة به (٦) ، فيرقّ قلب سامعهم ويحنّ ويشفق لهم على جفائهم وجهلهم فلايأتي مساء ذلك اليوم حتى لايبقى (٧) بالمدينة منهم إلا القليل ، وعسى الله أن ينفعهم بحسن نياتهم .

١ — من شهر رجب عام ١٠٧٣ هـ الموافق ٧ آذار (مارس) ١٦٦٣ م .
٢ — في (أ) : ولاصوماً .
٣ — في الأصل : حشر . وكذا في النسخ .
٤ — في الأصل : صياحاً . وكذا في النسخ .
٥ — في الأصل : صراخاً . وكذا في النسخ .
٦ — سبق الكلام عن الاستغاثة في ص ٩٢ من هذه الرسالة .
٧ — في (ج) : لايبقا .

لطيفة :

أخبرني شيخنا الملاّ إبراهيم / عن الشيخ القشاشي أنّه بينما هو ذات يوم عند المواجهة إذ [١] جاء أعرابي في شملته وبيده عصاه حتى وقف أمام الوجه الشريف ، فضرب بعصاه الأرض مرتين وهو يقول : يامحمد ، يامحمد ، لاتقل أنا ماجئتك هاأنذا [٢] ، فذهب ولم يزد على ذلك . وكان الشيخ يقول : عسى أن يكون ذلك نافعاً له عند الله ، فانّ ذلك مبلغ علمه ، ولو كان يرى أن أكثر من ذلك ينفعه ويقضي به حق تعظيمه لفعله . وكان الشيخ — رضي الله عنه — كوشف له عن حال ذلك الأعرابي ، فرأى من صدق نيته وقوة اعتقاده في جانب الرسول أن جاءه ووقف عنده اتّخذ بذلك عهداً عنده ينفعه يوم القيامة ماأوجب له أن صدق الله ظنّه ، وجعل ذلك نافعاً له في عقباه . ولايبعد ذلك فقد كان النبي ﷺ يحتمل للأعراب أكثر من ذلك من جفائهم [٣] ، ويقنع من أحدهم بقوله : صبأت إذا كان لايحسن أن يقول أسلمت حتى يعلّمهم بلطف ويرفق بهم. فكذلك بعد وفاته أو أكثر فانّه ﷺ يزداد كل وقت ترقّياً في مدارج الرحمة والقرب من الله ، فيقبل شفاعته في هذا الأعرابي الذي جاءه وهو يعتقد أن من جاءه ووقف ببابه استوجب بذلك رحمة الله . أمّا تراه كيف أخذ يثبته ويناديه ويعلّمه بأنه قد حضر بالباب ولم يحسن أكثر من ذلك . وعلم الله في خلقه لايحاط به ، ورحمته وسعت كل شيء . وقد قال تعالى [٤] عقب هذا ﴿ فسأكتبها للذين يتقون ﴾ الآية [٥] ، ولم ينفها عمن سواهم . وذكر بعض أفراد العلم [٦] بعد ذكره لايخّصص على الصحيح [٧] .

١ — في الأصل : إذا . والتصحيح من النسخ .
٢ — في الأصل : هاأنذا . وكذا في النسخ .
٣ — في الأصل : جفاهم . وكذا في النسخ .
٤ — في الأصل : تعلى . وكذا في النسخ .
٥ — الآية ١٥٦ من سورة الأعراف .
٦ — في (ب) : العوام .
٧ — من المعلوم أن مجرّد زيارة قبر الرسول ﷺ لاتستوجب للزائر شفاعة ورحمة من الرسول ﷺ يوم القيامة كما توّهم العياشي .
ان الشفاعة — كما ثبت عن النبي ﷺ — لأهل التوحيد الخالص ، وحقيقتها أن الله سبحانه هو

وبالجملة ، فعرب الدّرب (1) والحجاز وتهامة (2) ونجد أجهل العرب وأكثرهم جفاء (3) ، قلّما تجد أحدهم يحسن شيئاً من رسوم الشريعة الظاهرة من صلاة وصيام إلّا القليل . وعوام الأعراب والبربر بمغربنا بالنسبة إلى هؤلاء فقهاء ، فلاتجد عامياً بالمغرب وان بلغ الغاية في الجفاء إلّا وهو يعلم أن الصلاة ذات ركوع وسجود وان كان لايحسن أن يقرأ فيها ، ويعلم وجوب صوم رمضان ، بل هو أشدّ عندهم من الصلاة بخلاف هؤلاء . فقد أخبرني مخبر عن عرب الدرب أنه سأل بعضهم هل صام أم لا ؟ وهو رجل كبير كهل ، فقال : اني إلى الآن لم أصم ، لكن أبي صام ثلاثة أيام . فاستفهمه عن ذلك فقال : ان الرجل عندنا إذا قارب آوان الهرم والشيخوخة صام ثلاثة أيام ، فيقولون فلان صام ، وذلك علامة بلوغه حدّ الكبر . وأما قبل ذلك لايعرف صياماً ولاغيره .

وهم جديرون بذلك لبعدهم عن الأمصار وقلّة القرى في بلادهم ، فلايجدون أحداً يعلمهم الخير ولايرشدهم إليه . وعلى تقدير دخولهم الأمصار في بعض الأحيان فلايلقي إليهم أحد بالاً . ولو رآهم أكبر فقهاء الأمصار يصلّون الصلاة المتقدمة من تتابع السجدات لايزيد على أن يضحك منهم أو يتغافل ويذهب عنهم . فمتى يعرف هؤلاء صلاة أو صياماً أو حدّاً من حدود الشريعة ؟ ولقد رأيت رجلاً بينبع ظهر الشيب في مفرقه فسألته عن مكة فقال لي : ماحججت قط ، وبينه وبين مكة ثمانية مراحل (4) . وسألته عن المدينة فقال لي : دخلتها مرتين أو ثلاثاً ، وبينه وبينها ثلاث مراحل . وأمثال هؤلاء كثيرون .

ـــ الذي يتفضّل على أهل الاخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء مَنْ أُذِن له أن يشفع . فالشفاعة والمغفرة والرحمة هي ــ إن شاء الله ــ من نصيب أولئك الذين يعملون بمقتضى (لا إله إلا الله) عقيدة وفكراً ومنهجاً وسلوكاً ، مخلصين نياتهم وأقوالهم وأفعالهم لله ، ملتزمين بمنهج الاسلام في مختلف مجالات الحياة ، محققين بذلك توحيد النسك والولاء والحاكمية لله سبحانه وتعالى .

١ ــ المقصود هنا الأعراب الموكول إليهم حراسة القوافل مقابل جُعل لهم .

٢ ــ منطقة من اقليم عسير جنوب الحجاز . البلادي : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٧ .

٣ ــ لايقصد العياشي هنا أهل المدن ، وإنما الأعراب الذين غلبت عليهم البداوة .

٤ ــ في (ج) : مراحيل . والمرحلة مسيرة يوم واحد بالسير المتوسط .

ولمّا استهلّ شهر شعبان [1] أخذت القوافل في الرجوع إلى مكّة ، ورجع غالب من جاء من أهلها . ولم يبق بالمدينة إلّا القليل ممّن أراد شهود رمضان بالمدينة . فخرج سيدي عيسى الثعالبي مع أول قافلة . وكانت نيتنا أن نصوم رمضان بمكّة فتهيأنا للخروج . ولم نخرج إلّا بعد النصف من شعبان كما سيأتي ذكره — إن شاء الله — في خروجنا من المدينة إلى مكّة / .

وقد سمعت عليه — رضي الله عنه — أيّام اقامته بالمدينة المشرفة [2] معجم الطبراني الصغير بلفظه بالروضة المنوّرة فيما بين القبر الشريف والمنبر[3] وسمعت من لفظه أيضاً الأربعين حديثاً عن أربعين شيخاً لتقي الدين الفاسي — رضي الله عنه — ، وسمعت من لفظه أيضاً الشمائل ، وأجاز لي سائر مروياته حسبما سيأتي [4] تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى .

وممّا أنشأته في بعض الأيام وأنشدته أمام الوجه الشريف هذه القصيدة :

أتيتُ بعزم زائراً ومجاورا ... وذاك الذي أملته منذ أحوال
وقد حقق الله العظيم بفضله ... أمانيّ كانت قبل تخطر بالبال
فما كان قدماً خاطراً صار حاضراً ... فلله ربي الشكر في كل أحوالي
فهأنذا [5] في طيبة متبختراً ... بخلقان[6] أثوابي وأطراف أسمالي[7]
لعمري لأسمالي هناي أعزّ لي ... من الحلة الخمرا هناك واسمى لي[8]
فكم بين من في طيبة[9] آمناً بها ... ومن في أقاصي الغرب مابين أهوال

---

١ — من عام ١٠٧٣ هـ الموافق ١١ آذار (مارس) ١٦٦٣ م .
٢ — سقط من (أ) : المشرفة .
٣ — سقط من (أ) : وسمعت من لفظه أيضاً الأربعين حديثاً عن أربعين شيخاً لتقي الدين الفاسي — رضي الله عنه — .
٤ — في (أ) : يأتي .
٥ — في الأصل : فها أنذا . وكذا في النسخ .
٦ — وهو الخلق من الثياب ، أي البالي . ابن منظور : المصدر السابق .
٧ — في الأصل : أسمال ، وكذا في النسخ . وهي الملابس الرثة : المصدر نفسه .
٨ — في الأصل : وأسمال ، وكذا في النسخ .
٩ — اسم من أسماء المدينة . البخاري : الجامع الصحيح ، كتاب فضائل المدينة ، ج ٢ ، ص ١٢١ .

فذلك يغدو في عنى ويروح في ظنى بين آساد هناك وأغوال (١)
وهذا يروح في غنى ويبيت في هنًا(٢) بين أكرام الرسول وافضال(٣)
يصلّي صلاة الفرض مابين منبر وقبر ، وتغشاه طوارق اجلال
ومن بعدها يمشي عليه سكينة إلى موقف الزوّار من دون أشغال
إذا مارأى خير الورى عزّ ثم أن رأى نفسه فالذل أولى بذا الحال
يصلّي عليه أو يسلّم أو هما معاً دون فصل وهو غاية اكمال
ويعطف شيئاً عن يمين مسلّماً على صاحبيه موضحي كل اشكال
ويدعـو لديـه بكـرة وعشيـة بما يرتجي في النفس والأهل والمال
أنادي الهي عند باب حبيبه نداء به تنفكّ(٤) عني أغلالي(٥)
وأطلب ربي موقناً باجابة ليغفر أوزاري ويذهب اعلالي(٦)
وأخفض صوتي في النداء ببابه
وخفضي لعذري(٧) عند ذلك(٨) أعلى لي(٩)
عليه صلاة الله ثم سلامه كذلك على الأزواج والصحب والآل

وأنشدت يوماً آخر :

رب بأسمائك الحسنى بأوصافك العلى بذاتك بالأملاك بالرسل

---

١ ــ ج : غول : (قيل دابة مهولة ذات أنياب أو خلق مخيف يغتال الانسان ويهلكه . وكان العرب تقول : ان الأغوال في الفلوات تتعرض الناس فتهلكهم) . ابن منظور : المصدر السابق .
وهذه الكلمة يستعملها بعض الجهال من الآباء والأمهات لتخويف الصغار مما يكوّن لدى الطفل عقدة الخوف .
وفي الحديث أن النبي ﷺ أبطل هذه الخرافة فقال : « لاعدوى ، ولاطيرة ، ولاهامة ، ولاصفر ولاغول » أخرجه السيوطي في صحيح الجامع الصغير، ج ٦ ، ص ١٩٨ . وقال المحقق ــ ناصر الدين الألباني ــ حديث صحيح ، ج ٦ ، ص ١٩٨ .
٢ ــ في الأصل : هنى . وكذا في النسخ .
٣ ــ في (أ) : أفضل .
٤ ــ في (أ) : ينفك .
٥ ــ في الأصل : أغلال . وكذا في النسخ .
٦ ــ في الأصل : أعلال . وكذا في النسخ .
٧ ــ في (ج) : لقدري .
٨ ــ في الأصل : ذاك ، وكذا في النسخ .
٩ ــ في الأصل : أعلال . وكذا في النسخ .

رب برحمتك العظمى[1] التي سبقت غَضَبْك أرحم عبيداً بات ذي وجل
رب بكل الذي أنزلت من كتب على النبيين للتذكير والعمـــل
رب بخيـر عبـاد الله سيدنـــا محمد المصطفى بجاه كل ولي [2]
كـن لـــي وخـــذ بيدي فـــي كـل نـــائبة وعافني[3] واهدنـــي[4] لأوضح السبــــل/[5]

---

١ ـــ في (أ) : كلمة غامضة .
٢ ـــ في (ب) و (ج) : ول .
٣ ـــ في الأصل : وعافيني . والتصحيح من النسخ .
٤ ـــ في الأصل : واهديني . والتصحيح من النسخ .
٥ ـــ التوسل إلى الله جل وعلا بأسمائه وبصفاته وبرحمته وبكتبه جائز شرعاً ، أما التوسل بنبيه محمد ﷺ وبالملائكة وبالرسل والأولياء ــ أي بخلقه ــ فهو محرم لايجوز قطعاً .

فهرس المصادر

* القرآن الكريم .

أولاً ــ مصادر باللغة العربية :

أ ــ أعمال غير منشورة :

ــ الأفراني: محمد الصغيّر بن محمد بن عبد الله (ت١١٣٨هـ/١٧٢٥ م) .
١ ــ صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر ، مخطوط الخزانة العامة في الرباط ، رقمه : ٩٥٤ .
ــ البيهقي : أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م) .
٢ ــ شعب الايمان ، مخطوط الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة رقمه : ٣١٧ .
ــ التّمنارتي : عبد الرحمن بن محمد (ت ١٠٧٠ هـ / ١٧٥٦ م) .
٣ ــ الفوائد الجمّة في اسناد علوم الأمة ، مخطوط الخزانة العامة في الرباط ، رقمه : ١٤٢٠ . هـ
ــ الحوّات : سليمان بن محمد بن عبد الله (ت ١٢٣١ هـ / ١٨١٥ م) .
٤ ــ البدور الضّارية في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدّلائية ، مخطوط الخزانة العامة في الرباط ، رقمه : ٢٦١ د .
ــ الدّرعي : أحمد بن محمد بن عبد الرحمن (ت ١١٢٩ هـ/ ١٧١٧ م) .
٥ ــ الرحلة الناصرية ، مخطوط الخزانة الملكية في الرباط ، رقمه : ٧٦٤٨ .
ــ ابن زيدان : عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن (ت ١٣٦٥ هـ/ ١٩٤٥ م) .
٦ ــ المنزع اللّطيف في التلميح بمفاخر مولاي إسماعيل الشريف ، مخطوط الخزانة العامة في الرباط ، رقمه : ٥٩٥ ج .

ـــ الشّعيبي : أبو العباس أحمد بن أبي القاسم (كان حياً في حدود ١٠٠٠ هـ / ١٥٩١ م) .
٧ ـــ المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي ، مخطوط الخزانة الملكية في الرباط ، رقمه : ٥١٧ .
ـــ العزفي : أبو العباس أحمد بن محمد (...) .
٨ ـــ رسالة في كرامات الشيخ الوليّ الصالح أبي يعزى ، مخطوط الخزانة الملكية في الرباط ، ضمن مجموع رقمه : ٩٤٤٧ .
ـــ العياشي : أبو سالم عبد الله بن محمد (ت ١٠٩٠ هـ / ١٦٧٩ م) .
٩ ـــ اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر ، مخطوط الخزانة الملكية في الرباط ، رقمه : ٣٩١٧ .
١٠ ـــ ماء الموائد ، مخطوط الزاوية الحمزاوية ، رقمه : ١٨٢ .
وقد رجعت إلى نسخة أخرى طبعت على الحجر بفاس عام ١٣١٦ هـ (١٨٩٨ م) .
ـــ العياشي : حمزة بن أبي سالم (ت ١١٣٠ هـ / ١٧١٧ م) .
١١ ـــ الزّهر الباسم في جملة من كلام أبي سالم ، مخطوط الخزانة العامة في الرباط ، رقمه : ٣٠٤ ك .
ـــ العياشي : عبد الله بن عمر بن عبد الكريم (...) .
١٢ ـــ الاحيا والانتعاش في تراجم سادات زاوية آيت عيّاش ، مخطوط الخزانة العامة في الرباط ، رقمه : ١٤٣٣ د .
ـــ الغنّامي : عبد الرحمن بن أبي القاسم الشّاوي (كان حياً في حدود ١١٤١ هـ ١٧٢٩ م) .
١٣ ـــ رحلة القاصدين ورغبة الزائرين ، مخطوط الخزانة الملكية في الرباط ، رقمه : ٥٦٥٦ .
ـــ الفاسي : عبد الرحمن بن عبد القادر (ت ١٠٩٦ هـ / ١٦٨٤ م) .
١٤ ـــ ابتهاج القلوب بخبر الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجذوب ، مخطوط الخزانة العامة في الرباط ، رقمه : ٧٠٧ .
١٥ ـــ تحفة الأكابر بمناقب الشيخ عبد القادر ، مخطوط الخزانة الملكية في الرباط ، رقمه : ٧٠٧ .
ـــ القابسي : نجاح صلاح الدين .

١٦ ــ رحلة العياشي ، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت إلى جامعة عين شمس بالقاهرة عام ١٣٩١ هـ/ ١٩٧١ م .
ــ القادري : محمد بن الطيب بن عبد السلام (ت ١١٨٧ هـ/١٧٧٣م) .
١٧ ــ الاكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج ، مخطوط الخزانة الملكية في الرباط ، رقمه : ١٨٩٧ .
ــ ابن كيران : محمد الطيب (ت ١٢٢٧ هـ/١٨١٢ م) .
١٨ ــ الرحلة الفاسية الممزوجة بالمناسك المالكية ، مخطوط الخزانة العامة في الرباط ، رقمه : ١٤٨٢ د .
ــ ابن المحبّ الطبري : محمد بن علي (ت ١١٧٣ هـ/١٧٥٩ م) .
١٩ ــ اتحاف الزمان بتاريخ ولاية بني الحسن ، مخطوط جامعة الملك سعود في الرياض ، رقمه : ٢٢٤ ص .
ــ أبو مدين الدّرعي : محمد بن أحمد الصغيّر (ت ١١٥٧ هـ/١٧٤٤ م) .
٢٠ ــ الرحلة الحجازية ، مخطوط الخزانة العامة في الرباط ، رقمه : ٢٩٧ ق .
ــ النّابلسي : عبد الغني بن إسماعيل (ت ١١٤٣ هـ/١٧٣١ م) .
٢١ ــ الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد مصر والحجاز والشام ، مخطوط جامعة الملك سعود في الرياض ، رقمه : ف ١/٣٣٩.
ــ الناصري : محمد بن عبد السلام (ت ١٢٣٩ هـ/١٨٢٣ م) .
٢٢ ــ الرحلة الكبرى ، مخطوط الخزانة العامة في الرباط ، رقمه : د ٢٦٥١ . ورجعت إلى نسخة أخرى مخطوطة في الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم : ٦٩٠٤ .

ب ـ أعمال منشورة :

ـ ابن الأثير : عزّ الدّين علي بن محمد بن عبد الكريم (ت ٦٣٠ هـ ١٢٣٧ م) .
٢٤ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة ، القاهرة : جمعية المعارف المصرية ١٢٨٠ هـ/١٨٦٣ م .
٢٥ ـ الكامل في التاريخ ، بيروت : دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥ م .
٢٦ ـ اللّباب في تهذيب الأنساب ، القاهرة : مكتبة القدس ، ١٣٥٧ هـ ١٩٣٨ م .
ـ الأخضر : محمد .
٢٧ ـ أعلام الرحّالة المغاربة ، مجلة الثقافة المغربية عدد ٢ ـ ٣ شوال ـ محرم ١٣٨٩ ـ ١٣٩٠ هـ ، كانون الأول ـ آذار (ديسمبر ـ مارس) ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ م .
ـ الأزهري : محمد بشير ظافر (ت بعد ١٣٢٩ هـ/١٩١١ م) .
٢٨ ـ اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة ، القاهرة : مطبعة الملاجيء العباسية ، ١٣٢٤ هـ/١٩٠٦ م .
ـ آغا بزرك الطهراني : محمد بن محسن .
٢٩ ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، النجف ـ العراق : مطبعة القرن ، ١٣٥٥ ـ ١٣٨١ هـ/١٩٣٦ ـ ١٩٦١ م .
ـ الأفراني : محمد الصغير بن محمد بن عبد الله (ت ١١٣٨ هـ/١٧٢٥ م) .
٣٠ ـ نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي ، تحقيق هوداس ، ط ٢ ، الرباط ، مكتبة الطالب ، ؟ .
ـ الفريد بل (ALFRED BILL) .
٣١ ـ الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي من الفتح العربي حتى اليوم ، ترجمه من الانجليزية عبد الرحمن بدوي ، ط ٢ ، بيروت : دار الغرب الاسلامي ، ١٠٤١ هـ/١٩٨١ م .
ـ الألباني : محمد ناصر الدين .
٣٢ ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، بيروت : المكتب الاسلامي

للطباعة والنشر ، ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩ م .
ـــ الأنصاري : أحمد بن الحسين بن محمد (ت ١١٥٥ هـ/١٧٤٢ م) .
٣٣ ـــ المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، الأستانة : مطبعة جمال أفندي ١٣١٧ هـ/١٨٩٩ م .
ـــ الأنصاري : عبد القدوس (ت ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣ م) .
٣٤ ـــ آثار المدينة المنورة ، دمشق : مطبعة الترقي ، ١٣٥٣ هـ/١٩٣٥ م .
ـــ البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ/٨٧٩ م) .
٣٥ ـــ التاريخ الصغير ، تحقيق محمود إبراهيم زايد ، القاهرة : مكتبة دار التراث ، ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧ م .
٣٦ ـــ التاريخ الكبير : حيدر آباد الدكن ـــ الهند : مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٧٧ هـ/١٩٥٧ م .
٣٧ ـــ الجامع الصحيح ، استانبول : مؤسسة اليف أوفست للطبع ، ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م .
ـــ بروفنسال : ليفي (LIVI PROVENÇAL) (ت ١٣٧٦ هـ/١٩٥٦ م) .
٣٨ ـــ مؤرخو الشرفاء ، الرباط : دار الغرب للتأليف والنشر ، ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م .
ـــ البستاني : بطرس (ت ١٣٠٥ هـ/١٨٨٧ م) .
٣٩ ـــ محيط المحيط ، بيروت : مكتبة لبنان ، ؟ .
ـــ ابن بشر : عثمان بن عبد الله بن عثمان (ت ١٢٨٨ هـ/١٨٧١ م) .
٤٠ ـــ عنوان المجد في تاريخ نجد ، مكة : المطبعة السلفية ، ١٣٤٩ هـ ١٩٣٠ م .
ـــ ابن بشكوال : أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود (ت ٥٧٨ هـ ١١٨٢ م) .
٤١ ـــ الصّلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدّثيهم وفقهائهم وأدبائهم مدريد ، مطبعة روخس ، (١٣٠١ هـ/١٨٨٣ م) .
ـــ البغدادي : إسماعيل باشا بن محمد أمين (ت ١٣٣٩ هـ/١٩٢٠ م) .
٤٢ ـــ هدية العارفين ، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، استانبول : وكالة المعارف ، ١٣٧١ ـــ ١٣٧٥ هـ/١٩٥١ ـــ ١٩٥٥ م .
ـــ البلادي : عاتق بن غيث .

٤٣ ــ معجم معالم الحجاز ، الطائف : نادي الطائف الأدبي ، ١٣٩٨ ــ ١٤٠١ هـ/١٩٧٨ ــ ١٩٨١ م .
ــ بنعبد الله : عبد العزيز .
٤٤ ــ الحركة الفكرية في العهد العلوي ، مجلة رسالة المغرب ، عدد ١٣٤ صفر ١٣٧١ ، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥١ م .
٤٥ ــ المعجم التاريخي ، الرباط : مكتبة المعارف ، ؟ .
٤٦ ــ المعجم الصوفي ، المغرب : المكتب الدائم للتعريب ، ؟ .
٤٧ ــ الموسوعة المغربية للأعلام الحضارية والبشرية ، الدار البيضاء : مطبعة فضالة ، ١٣٩٥ هـ/١٩٧٥ م .
٤٨ ــ الموسوعة المغربية للأعلام الحضارية والبشرية (معلمة الصحراء) ١٣٩٦ هـ/١٩٧٦ م .
٤٩ ــ الموسوعة المغربية للأعلام الحضارية والبشرية (معلمة المدن والقبائل) ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧ م .
ــ البيهقي : أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨ هـ/١٠٦٥ م) .
٥٠ ــ السنن الكبرى ، حيدر آباد : مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ١٣٤٤ هـ/١٩٢٥ م .
ــ التّازي : عبد الهادي .
٥١ ــ جامع القرويّين ، بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢ م .
ــ الترمذي : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م)
٥٢ ــ سنن الترمذي ، تحقيق أحمد شاكر ، ط ١ ، القاهرة : مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٥٦ هـ/١٩٣٧ م .
ــ ابن تغري بردي : جمال الدين يوسف (ت ٨٧٤ هـ/١٤٦٩ م) .
٥٣ ــ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة : دار الكتب المصرية ١٣٤٨ ــ ١٣٧٥ هـ/١٩٢٩ ــ ١٩٥٦ م .
ــ التّنبكتي : أبو العبّاس أحمد بابا بن أحمد (ت ١٠٣٦ هـ/١٦٢٦ م) .
٥٤ ــ نيل الابتهاج بتطريز الديباج (طبع على هامش الديباج المذهب لابن فرحون ، القاهرة : مطبعة السعادة ، ١٣٢٩ هـ/١٩١١ م .
ــ ابن تيمية : تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (ت ٧٢٨ هـ/١٣٢٧ م) .
٥٥ ــ مجموعة فتاوي شيخ الاسلام أحمد بن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد العاصمي ، ط ٢ ، بيروت : دار العربية للطباعة

والنشر ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .
٥٦ ــ منهاج السنّة في نقض كلام الشيعة والقدرية ، القاهرة : بولاق ١٣٢١ هـ / ١٩٣١ م .
ــ الثعالبي : محمد بن الحسن الحجوي (ت ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م) .
٥٧ ــ الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي ، فاس : مطبعة دار المعارف ١٣٤٠ ــ ١٣٤٩ هـ / ١٩٢١ ــ ١٩٣٠ م .
ــ الجَبرتي : عبد الرحمن بن حسن (ت ١٢٣٧ هـ / ١٨٢١ م) .
٥٨ ــ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، القاهرة : مطبعة بولاق ١٢٩٧ هـ / ١٨٧٩ م .
ــ ابن جبير : أبو الحسين محمد بن أحمد (ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) .
٥٩ ــ رحلة ابن جبير ، ط ٧ ، بيروت : دار صادر للطباعة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .
ــ ابن الجَزَري : أبو الخير محمد بن محمد بن علي (ت ٨٣٣ هـ/١٤٢٩ م)
٦٠ ــ غاية النهاية في طبقات القرّاء : تحقيق : ج . برجستراس ، القاهرة : مكتبة الخانجي ، ؟ .
ــ ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠ م) .
٦١ ــ صفة الصفوة ، حيدر آباد : مطبعة دائرة المعارف العثمانية ١٣٥٥ هـ/ ١٩٣٦ م .
٦٢ ــ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، حيدر آباد : مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٥٧ ــ ١٣٥٩ هـ / ١٩٣٨ ــ ١٩٤٠ م .
ــ حاجّي خليفة : مصطفى بن عبد الله (ت ١٠٦٧ هـ / ١٦٥٦ م) .
٦٣ ــ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، بغداد : مكتبة المثنّى ، ١٣٦٠ هـ / ١٩٤١ م .
ــ حافظ : علي .
٦٤ ــ فصول من تاريخ المدينة ، جدّة : شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر .
ــ الحاكم النيسابوري : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد (ت ٤٠٥ هـ/ ١٠١٤ م) .
٦٥ ــ المستدرك : حيدر آباد ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ١٣٤٠ هـ / ١٩٢١ م .

ـــ ابن حبيب : أبو جعفر محمد بن حبيب بن أميّة (ت ٢٤٥ هـ/٨٥٩ م) .
٦٦ ـــ المحبر ، تحقيق اليزة ليختي ستيتر ، حيدر آباد : مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ١٣٦١ هـ/١٩٤٢ م .
ـــ ابن حجر العسقلاني : أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد (ت ٨٥٢ هـ ١٤٤٨ م) .
٦٧ ـــ الاصابة في تمييز الصحابة ، بيروت : مكتبة المتنبّي ، ١٣٢٨ هـ ١٩١٠ م .
٦٨ ـــ تهذيب التهذيب ، حيدر آباد : مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ١٣٢٦ هـ/١٩٠٨ م .
٦٩ ـــ الدّرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ، حيدر آباد : مطبعة مجلس دائر المعارف العثمانية ، ١٣٥٠ هـ/١٩٣١ م .
٧٠ ـــ فتح الباري ، شرح صحيح البخاري ، تحقيق عبد العزيز بن باز وآخرون القاهرة : المطبعة السلفية ، ١٣٩٠ هـ/١٩٧٠ م .
٧١ ـــ لسان الميزان ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، ١٣٣٠ هـ ١٩١١ م .
ـــ حجّي : محمد .
٧٢ ـــ الزّاوية الدّلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي ، الرباط : المطبعة الوطنية ، ١٣٨٤ هـ/١٩٦٤ م .
ـــ الحربي : أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن بشير (ت ٢٨٥ هـ/٨٩٨ م) .
٧٣ ـــ المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، تحقيق حمد الجاسر ، الرياض : مطبعة اليمامة للترجمة والنشر ، ١٣٨٩ هـ/١٩٦٩ م .
ـــ حسن : إبراهيم شحاته .
٧٤ ـــ أطوار العلاقات المغربية ـــ العثمانية ، قراءة في تاريخ المغرب عبر خمسة قرون (١٥١٠ ـــ ١٩٤٧ م) ، الاسكندرية : مطبعة التقدم ، ١٤٠١ هـ ـــ ١٩٨١ م .
٧٥ ـــ وقعة وادي المخازن ، الدار البيضاء : دار الثقافة ، ١٣٧٩ هـ/١٤٠١ م .
ـــ الحميري : أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم (ت ٩٠٠ هـ/١٤٩٤ م) .
٧٦ ـــ الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق احسان عبّاس ، بيروت : دار القلم للطباعة ، ١٣٩٥ هـ/١٩٧٥ م .

ـــ ابن حنبل : أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت ٢٤١ هـ/٨٥٥ م) .
٧٧ ـــ مسند أحمد بن حنبل (رجعت إلى طبعتين) .
الأولى : تحقيق أحمد محمد شاكر ، القاهرة ، دار المعارف ١٣٧٧ هـ ١٩٥٥ م .
الثانية : بيروت ، المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ، ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م .
ـــ الخطّابي : أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٣٨٨ هـ/٩٩٨ م) .
٧٨ ـــ معالم السّنن ، حلب : المطبعة العلمية ، ١٣٥١ هـ/١٩٣٢ م .
ـــ الخطيب البغدادي : أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣ هـ ١٠٧٠ م) .
٧٩ ـــ تاريخ بغداد ، تصحيح محمد حامد الفقّي ، القاهرة : مكتبة الخانجي ١٣٤٩ هـ/١٩٣١ م .
ـــ ابن خلدون : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت ٨٠٨ هـ ١٤٠٥ م) .
٨٠ ـــ العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن صاحبهم من ذوي السلطان الأكبر ، تصحيح محمد الصبّاغ ونصر الهوريني ، القاهرة : مطبعة بولاق ، ١٢٨٤ هـ/١٨٦٧ م .
ـــ ابن خلّكان : شمس الدّين أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٦٨١ هـ ١٢٨٢ م) .
٨١ ـــ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ؟ ، بيروت : دار الثقافة ، ؟ .
ـــ خليفة العصفري : أبو عمرو خليفة بن خياط (ت ٢٤٠ هـ/٨٥٤ م) .
٨٢ ـــ طبقات خليفة ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، بغداد : مطبعة العاني ، ١٣٨٧ هـ/١٩٦٧ م .
ـــ الدّارمي : أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل (ت ٢٥٥ هـ ٨٦٨ م) .
٨٣ ـــ سنن الدّارمي ، القاهرة : دار إحياء السنة النبوية ، ؟ .
ـــ أبو داود : سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥ هـ/٨٨٨ م) .
٨٤ ـــ سنن أبو داود ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط ٢، القاهرة : مطبعة السعادة ، ١٣٦٩ هـ/١٩٥٠ م .

ـــ الدبّاغ : أبو زيد عبد الرحمن بن علي (ت ٦٩٩ هـ/١٢٩٩ م) .
٨٥ ـــ معالم الايمان في معرفة أهل القيروان ، تونس : المطبعة العربية التونسية ١٣٢٠ هـ/١٩٠٢ م .
ـــ الذّهبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ/١٣٤٧ م) .
٨٦ ـــ تذكرة الحفاظ ، حيدر آباد : مطبعة دائرة المعارف النظامية ، ١٣٣٣ هـ ١٩١٤ م .
٨٧ ـــ سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وحسين أسد ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م .
٨٨ ـــ الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستّة ، تحقيق عزّة علي عيد عطية ، القاهرة : دار الكتب الحديثة ، ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢ م .
٨٩ ـــ المغني في الضعفاء ، تحقيق نور الدين عتر ، حلب ـــ سوريا ، دار المعارف ، ١٣٩١ هـ/١٩٧١ م .
٩٠ ـــ ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، القاهرة : دار إحياء العلوم العربية ، ١٣٨٢ هـ/١٩٦٣ م .
ـــ الرازي : أبو محمد عبد الله بن محمد بن إدريس (ت ٣٢٧ هـ/٩٣٨ م) .
٩١ ـــ الجرح والتعديل ، حيدر آباد ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ١٣٧٢ هـ/١٩٥٣ م .
ـــ رضا : أحمد (ت ١٣٦٨ هـ/١٩٤٨ م) .
٩٢ ـــ معجم متن اللغة ، ؟ بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٣٧٧ هـ/١٩٥٨ م .
ـــ زبادية : عبد القادر .
٩٣ ـــ مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين ١٣٩٩ ـــ ١٠٠٠ هـ ١٤٩٣ ـــ ١٥٩١ م ، الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٣٩١ هـ/١٩٧١ م .
ـــ الزِّرِكْلي : خير الدين (ت ١٣٩٦ هـ/١٩٧٦ م) .
٩٥ ـــ الاعلام ، ط ٥ ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ م .
ـــ ابن زيدان : عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن (ت ١٣٦٥ هـ ١٩٤٥ م) .
٩٦ ـــ اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس ، الرباط : المطبعة الوطنية ، ١٣٤٩ هـ/١٩٣٠ م .

٩٧ ــ الدّرر الفاخرة بمآثر ملوك العلويين بفاس الزاهرة ، الرباط : المطبعة الاقتصادية ، ١٣٥٦ هـ/١٩٣٧ م .
ــ السّبكي : تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت ٧٧١ هـ ١٣٦٩ م) .
٩٨ ــ طبقات الشافعية الكبرى ، القاهرة : المطبعة الحسينية الكبرى ١٣٢٤ هـ/١٩٠٦ م .
ــ السخاوي : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد (٩٠٢ هـ ١٤٩٦ م) .
٩٩ ــ التّبر المسبوك في ذيل السلوك ، تحقيق أحمد زكي ، القاهرة : مطبعة بولاق : ١٣١٤ هـ/١٨٩٦ م .
١٠٠ ــ التّحفة اللّطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، القاهرة : مطبعة السنّة المحمدية ، ١٣٧٩ هـ/١٩٥٧ م .
١٠١ ــ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة : مكتبة القدسي ١٣٥٣ هـ/١٩٣٤ م .
ــ السراج الوزير : أبو عبد الله محمد بن محمد (ت ١١٤٩ هـ/١٧٣٦ م) .
١٠٢ ــ الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، تونس : مطبعة الدولة التونسية ١٢٨٧ هـ/١٨٧٠ م .
ــ سركيس : يوسف اليان (ت ١٣٥١ هـ/١٩٣٢ م) .
١٠٣ ــ معجم المطبوعات العربية المعرّبة ، القاهرة : مطبعة سركيس ، ١٣٤٦ هـ/١٩٢٧ م .
ــ ابن سعد : أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠ هـ/٨٤٤ م) .
١٠٤ ــ الطبقات الكبرى ، ؟ ، بيروت : دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٧٧ هـ/١٩٥٧ م .
ــ السّمهودي : نور الدين علي بن عبد الله بن أحمد (٩١١ هـ/١٥٠٥ م) .
١٠٥ ــ وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة : مطبعة السعادة ، ١٣٧٤ هـ/١٩٥٥ م .
ــ السنوسي .
١٠٦ ــ رحلة السنوسي : مجلة العرب ، ج ٣ ــ ٤ ، رمضان ــ شوال ١٣٩٨ هـ ، ايلول ــ تشرين الأول (سبتمبر ــ اكتوبر) ١٩٧٨ م .

ــ ابن سَوْدَة : عبد السلام بن عبد القادر .
١٠٧ ــ دليل مؤرخ المغرب الأقصى ، ط ٢ ، الدار البيضاء : دار الكتاب ١٣٨٥ هـ/١٩٦٥ م .
ــ السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت ٩١١ هـ ١٥٠٥ م) .
١٠٨ ــ بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة ، القاهرة : مطبعة السعادة ١٣٢٦ هـ/١٩٠٨ م .
١٠٩ ــ حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، تصحيح محمد بن أحمد البخاري ، القاهرة : مطبعة إدارة الوطن ، ١٢٩٩ هـ/١٨٨١ م .
١١٠ ــ صحيح الجامع الصغير ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، دمشق : المكتب الاسلامي ، ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩ م .
١١١ ــ ضعيف الجامع الصغير ، تحقيق الألباني ، بيروت : المكتب الاسلامي ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩ م .
ــ أبو شامة : شهاب الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل (ت ٦٦٥ هـ ١٢٦٦ م) .
١١٢ ــ الذيل على الروضتين ، تحقيق محمد بن زاهد الكوثري ، القاهرة مكتب نشر الثقافة الاسلامية ، ١٣٦٦ هـ/١٩٤٧ م .
ــ ابن شبّة ، أبو زيد عمر بن شبّة بن عبيدة (٢٦٢ هـ/٨٧٥ م) .
١١٣ ــ أخبار المدينة ، جدّة : دار الطباعة للأصفهاني ، ؟ .
ــ الشّبراخيتي : برهان الدين إبراهيم بن مرعي بن عطية (ت ١١٠٦ هـ ١٦٩٤ م) .
١١٤ ــ الفتوحات الوهبية بشرح الأربعين حديثاً النووية ، القاهرة : المطبعة الحميدية ، ١٣٦١ هـ/١٨٩٨ م .
ــ شرف الدين : أحمد حسين .
١١٥ ــ اليمن عبر التاريخ ، ط ٣ ، الرياض : مطابع البادية للأوفست ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ م .
ــ الشّطنوفي : نور الدين علي بن يوسف بن جرير (ت ٧١٣ هـ/١٣١٣ م) .
١١٦ ــ بهجة الأسرار ومعادن الأنوار في مناقب السيّد عبد القادر الجيلاني وبعض كبار المتصوفين ، القاهرة : المطبعة الميمنية ، ١٣٠٤ هـ ١٨٨٦ م .

ـــ الشّعراني : أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي (ت ٩٧٣ هـ ١٥٦٥ م .
١١٧ ـــ طبقات الشّعراني المسماة : لواقح الأنوار في طبقات الأخيار ، القاهرة : مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٧٣ هـ/١٩٥٤ م .
ـــ الشّهرستاني : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد (ت ٥٤٨ هـ ١١٥٣ م) .
١١٨ ـــ الملل والنحل ، تحقيق كيلاني ، القاهرة : مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٨١ هـ/١٩٦١ م .
ـــ الشّوكاني : محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠ هـ/١٨٣٤ م) .
١١٩ ـــ البدر الطالع بما حسن من بعد القرن السابع ، القاهرة : مطبعة السعادة ١٣٤٨ هـ/١٩٢٩ م .
ـــ الصابوني : محمد علي .
١٢٠ ـــ النبوة والأنبياء ، ط ٢ ، دمشق : مكتبة الغزالي ، ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م .
ـــ الصفدي : صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت ٧٦٤ هـ ١٣٦٢ م) .
١٢١ ـــ نكت الهيمان في نكت العميان ، تحقيق أحمد زكي ، القاهرة : مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٨١ هـ/١٩٦١ م .
ـــ طاش كبري زاده : عصام الدين محمد بن أحمد بن مصطفى (ت ٩٦٨ هـ ١٥٦٠ م) .
١٢٢ ـــ مفتاح السعادة ومصباح السيّادة ، حيدر آباد : مطبعة دائرة المعارف النظامية ، ١٣٢٩ هـ/١٩١١ م .
ـــ الطّبراني : أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (ت ٣٦٠ هـ/٩٧٠ م) .
١٢٣ ـــ المعجم الصغير ، ط ٢ ، القاهرة : دار النصر للطباعة ١٣٨٨ هـ/١٩٦٨ م .
ـــ الطّبري : أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد (ت ٣١٠ هـ/٩٢٢ م) .
١٢٤ ـــ تاريخ الرسل والملوك ، ؟ ، القاهرة : دار المعارف ، ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م .
ـــ ابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣ هـ ١٠٧٠ م) .

١٢٥ ــ الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق علي محمد بالبجاوي ، القاهرة : مطبعة نهضة مصر ، ؟ .

ــ ابن عبد الوهاب : محمد (ت ١٢٠٦ هـ/١٧٩١) .

١٢٦ ــ التوحيد الذي هو حقّ الله على العبيد ، تحقيق محمود عبد الوهاب فايدة ، ط ٣ ، القاهرة ، إدارة الطباعة المنيرية ، ١٣٥٣ هـ/١٩٣٤ م .

ــ ابن عذاري : أبو عبد الله محمد المراكشي (ت ٦٩٥ هـ/١٢٩٥ م) .

١٢٧ ــ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق كولان وبروفنسال ، ليدن : مطبوعات بريل ، ١٣٦٨ ــ ١٣٧١ هـ ١٩٤٨ ــ ١٩٥١ م .

ــ العراقي : أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن (ت ٨٠٦ هـ ١٤٠٣ م) .

١٢٨ ــ التّبصرة والتّذكرة أو شرح ألفية العراقي ، تصحيح محمد بن الحسين العراقي ، فاس : المطبعة الجديدة ، ١٣٥٥ هـ/١٩٣٦ م .

ــ العروي : عبد الله .

١٢٩ ــ تاريخ المغرب ، محاولة في التركيب ، ترجمه من الفرنسية ذوقان قرقوط ، بيروت : المؤسسة العربية للنشر ، ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧ م .

ــ العصامي : عبد الملك بن حسن بن عبد الملك المكي (ت ١١١١ هـ ١٦٩٩ م) .

١٣٠ ــ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، القاهرة : المطبعة السلفية ، ١٣٧٩ هـ/١٩٥٩ م .

ــ ابن العماد الحنبلي : أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت ١٠٨٩ هـ ١٦٧٨ م) .

١٣١ ــ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، بيروت : المكتب التجاري للطباعة والنشر ، ؟ .

ــ ابن عميرة الضبّي : أبو جعفر أحمد بن يحيى بن أحمد (ت ٥٩٩ هـ ١٢٠٢ م) .

١٣٢ ــ بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس ، مدريد : مطبعة روخس ، ١٣٠٢ هـ/١٩٣٩ م .

ــ العيّاشي : إبراهيم بن علي (ت ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م) .

١٣٣ ــ المدينة بين الماضي والحاضر ، بيروت : مؤسسة الأصمعي للمطبوعات ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢ م .
ــ الغزالي : أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥ هـ/١١١١ م) .
١٣٤ ــ احياء علوم الدين ، القاهرة : مطبعة البابي الحلبي ، ١٣٥٨ هـ ١٩٣٩ م .
ــ الغزي : نجم الدين محمد بن محمد بن محمد (ت ١٠٦١ هـ/١٦٥٠ م) .
١٣٥ ــ الكواكب السّائرة في أعيان المئة العاشرة ، بيروت : جامعة بيروت الأمريكية ، ١٣٦٥ ــ ١٣٧٨ هـ ــ ١٩٤٥ ــ ١٩٥٨ م .
ــ غضب : شاكر هادي .
١٣٦ ــ بداءة معجمية في مصطلحات الحلي والأزياء ، بغداد : دار الحرية ١٣٩٦ هـ/١٩٧٦ م .
ــ الفتح ابن خاقان : أبو النصر الفتح بن محمد بن عبيد الله (ت ٥٢٨ هـ ١١٣٣ م) .
١٣٧ ــ قلائد العقيان ، القاهرة : مطبعة بولاق ، ١٢٨٣ هـ/١٨٦٦ م .
ــ أبو الفرج الأصفهاني : أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ/٩٦٦ م) .
١٣٨ ــ مقاتل الطالبيين ، تحقيق أحمد صقر ، القاهرة : دار احياء الكتب العربية ، ١٣٦٨ هـ/١٩٤٩ م .
ــ ابن فرحون اليعمري : برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد (ت ٧٩٩ هـ ١٣٩٦ م) .
١٣٩ ــ الدّيباج المذهب في أعيان علماء المذهب ، القاهرة : مطبعة ابن شقرون ، ١٣٥١ هـ/١٩٣٢ م .
ــ الفَشْتالي : أبو فارس عبد العزيز بن محمد (ت ١٠٣١ هـ/١٦٢١ م) .
١٤٠ ــ مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا ، تحقيق عبد الكريم كُرِيِّم ، الرباط : وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ، ؟ .
ــ فِنْسِنْك ، وآخرون .
١٤١ ــ دائرة المعارف الاسلامية ، تعريب أحمد الشنتناوي وآخرين ، ؟ ، القاهرة : دار الشعب ، ١٣٨٩ ــ ١٣٩١ هـ ــ ١٩٦٩ ــ ١٩٧١ م .
ــ فوّاز : زينب بنت علي بن الحسن .

١٤٢ ـــ الدّرّ المنثور في طبقات ربّات الخدور ، القاهرة : المطبعة الكبرى الأميرية ، بولاق ، ١٣١٢ هـ/١٨٩٤ م .
ـــ الفيروزبادي : مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد (٨١٧ هـ ١٤١٤ م) .
١٤٣ ـــ القاموس المحيط ، القاهرة : المطبعة الحسينية ، ١٣٣٠ هـ/١٩١١ م .
١٤٤ ـــ المغانم المطابة في معالم طابة ، تحقيق حمد الجاسر ، الرياض : دار اليمامة ، ١٣٨٩ هـ/١٩٦٩ م .
ـــ القادري : محمد بن الطيّب بن عبد السلام (ت ١١٨٧ هـ/١٧٧٣ م) .
١٤٥ ـــ نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني ، تحقيق نورمان سيجار لندن : مطابع أوكسفورد الجامعية ، ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م .
ـــ ابن قاضي شهبة : تقي الدين أبو بكر بن أحمد بن محمد (ت ٨٥١ هـ ١٤٤٧ م) .
١٤٦ ـــ طبقات الشافعية ، تصحيح عبد العليم خان ، حيدر آباد : مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨ م .
ـــ القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١ هـ/١٢٧٢ م) .
١٤٧ ـــ الجامع لأحكام القرآن ، القاهرة : دار الكتاب العربي ، ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م .
ـــ القلقشندي : أحمد بن علي بن أحمد (ت ٨٢١ هـ/١٤١٨ م) .
١٤٨ ـــ نهاية الإرب ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، القاهرة : دار الكتاب المصري ، ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ م .
ـــ ابن القيّم الجوزية ، أبو عبد الله محمد بن أبي أبكر (ت ٧٥١ هـ ١٣٥٠ م) .
١٤٩ ـــ زاد المعاد في هدي خير العباد ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، ط ٢ بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩ م .
ـــ الكتاني : أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس (ت ١٣٤٥ هـ ١٩٢٦ م) .
١٥٠ ـــ الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنّة ، بيروت : محمد بن السيد أحمد خرما ، ١٣٣٢ هـ/١٩١٣ م .

١٥١ ــ سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس فيمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس
فاس : المطبعة الحجرية ، ١٣١٦ هـ/١٨٩٨ م .
ــ الكتّاني : محمد عبد الحي بن عبد الكبير (ت ١٣٢٧ هـ/١٩٠٩ م) .
١٥٢ ــ فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات
فاس : المطبعة الجديدة ، ١٣٤٦ هـ/١٩٢٧ م .
ــ ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤ هـ/١٣٧٢ م) .
١٥٣ ــ البداية والنهاية في التاريخ ، القاهرة : مطبعة السعادة ،
١٣٥١ ــ ١٣٥٨ هـ/١٩٣٢ ــ ١٩٣٩ م .
ــ كحّالة : عمر رضا .
١٥٤ ــ معجم قبائل العرب ، ط ٢ ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٨ هـ
١٩٧٨ م .
ــ الكرملي : انستانس (ت ١٣٦٦ هـ/١٩٤٦ م) .
١٥٥ ــ النقود العربية وعلم النميات ، القاهرة : المطبعة العصرية ، ١٣٥٨ هـ
١٩٣٩ م .
ــ كُرِيِّم : عبد الكريم .
١٥٦ ــ المغرب في عهد الدولة السّعدية ، الرباط : مكتبة الطالب ، ١٣٩٧ هـ
١٩٧٧ م .
ــ كنّون : عبد الله .
١٥٧ ــ النبوغ المغربي في الأدب العربي ، تطوان ــ المغرب ، المطبعة
المهدية ، ١٣٥٧ هـ/١٩٣٨ م .
١٥٨ ــ ذكريات مشاهير رجال المغرب : ابن رشيد ، بيروت : دار الكتاب
اللبناني ، ؟ .
ــ ابن ماجة : أبو عبد الله محمد بن يزيد (ت ٢٧٣ هـ/٨٨٦ م) .
١٥٩ ــ سنن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة : دار احياء
الكتب العربية ، ١٣٧٢ هـ/١٩٥٢ م .
ــ مالك بن أنس : أبو عبد الله (ت ١٧٩ هـ/٧٩٥ م) .
١٦٠ ــ المدوّنة الكبرى ، رواية سحنون بن سعيد التنوخي عن ابن القاسم
العتقي ، القاهرة : مطبعة السعادة ، ١٣٢٣ هـ/١٩٠٥ م .
١٦١ ــ الموطأ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة : دار احياء الكتب
العربية ، ١٣٧٠ هـ/١٩٥١ م .

ـ مبارك : علي باشا (ت ١٣١١ هـ/١٨٩٣ م) .
١٦٢ ـ الميزان في الأقيسة والأوزان ، القاهرة : المطبعة الأميرية ببولاق ، ١٣٠٩ هـ/١٨٩٢ م .
ـ المتقّي الهندي : علاء الدين علي بن حسام الدين (ت ٩٧٥ هـ ١٣٧٣ م) .
١٦٣ ـ كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال ، تحقيق صفوت السّقا ، حلب : المطبعة العربية ، ١٣٩٥ هـ/١٩٧٥ م .
ـ المحبّي : محمد أمين بن فضل الله بن محبّ الله (ت ١١١١ هـ ١٦٩٩ م) .
١٦٤ ـ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، القاهرة : المطبعة الوهبية ١٢٨٤ هـ/١٨٦٧ م .
ـ مخلوف : محمد بن محمد (ت ١٣٤٦ هـ/١٩٤١ م) .
١٦٥ ـ شجرة النور الزكيّة في طبقات المالكيّة ، القاهرة : المطبعة السلفية ١٣٤٩ هـ/١٩٣٠ م .
ـ المرادي : أبو الفضل محمد خليل بن علي (ت ١٢٠٦ هـ/١٧٩١ م) .
١٦٦ ـ سلك الدّرر في أعيان القرن الثاني عشر ، القاهرة : مطبعة بولاق ١٣٠١ هـ/١٨٨٣ م .
ـ المَراغي : أبو بكر بن الحسين بن عمر (ت ٨١٦ هـ/١٤١٣ م) .
١٦٧ ـ تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي ، ط ٢ ، بيروت : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م .
ـ مرتضى الزبيدي : أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق (ت ١٢٠٥ هـ/١٧٩٠ م) .
١٦٨ ـ تاج العروس ، بنغازي ـ ليبيا ، دار ليبيا للنشر والتوزيع ، ؟ .
ـ ابن مريم التلمساني : أبو عبد الله محمد بن محمد المليتي (ت بعد ١٠١٤ هـ ١٦٠٥ م) .
١٦٩ ـ البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، الجزائر : المطبعة الثعالبية ١٣٢٦ هـ/١٩٠٨ م .
ـ مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجّاج (ت ٢٦١ هـ/٨٧٤ م) .

١٧٠ ــ صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ؟ ، استانبول : شعبان قورت ، ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م .
ــ المطرزي : برهان الدين ناصر بن عبد السيد (ت ٦١٠ هـ/١٢١٣ م) .
١٧١ ــ المغرّب في ترتيب المعرّب ، بيروت : دار الكتاب العربي ، ؟ ، .
ــ المطري : جمال الدين محمد بن أحمد بن محمد (ت ٧٤١ هـ ١٣٤٠ م) .
١٧٢ ــ التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة ، المدينة المنورة : أسعد درابزوني الحسيني ، ١٣٧٢ هـ/١٩٥٢ م .
ــ ابن معصوم ، علي بن أحمد بن محمد (ت ١١١٩ هـ/١٧٠٧ م) .
١٧٣ ــ سلافة العصر بمحاسن الشعراء في كلّ مصر ، القاهرة : مطبعة الخانجي ، ١٣٢٤ هـ/١٩٠٦ م .
ــ المقدسي : شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٣٨٠ هـ/٩٩٠ م) .
١٧٤ ــ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط ٢ ، ليدن : مطبعة بريل ، ١٣٨٧ هـ/١٩٦٧ م .
ــ المقرّي : أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد (ت ١٠٤١ هـ/١٦٣١ م) .
١٧٥ ــ أزهار الريّاض بأخبار القاضي عيّاض ، تحقيق مصطفى السّقا وآخرون القاهرة : المعهد الخليفي للأبحاث المغربية ، ١٣٥٨ ــ ١٣٦١ هـ ١٩٣٩ ــ ١٩٤٢ م .
١٧٦ ــ نفح الطِّيب من غصن الأندلس الرّطيب ، تحقيق احسان عبّاس ، ط ٥ ، بيروت : دار صادر للطباعة ، ١٣٨٨ هـ/١٩٦٨ م .
ــ المقريزي : أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥ هـ ١٤٤١ م) .
١٧٧ ــ امتاع الأسماع بما للرسول ﷺ من الأبناء والأموال والحفدة والامتاع ، تحقيق محمود محمد شاكر ، القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٦٠ هـ/١٩٤١ م .
ــ ابن منظور : جمال الدين أبو الفضل محمدبن جلال الدين (ت ٧١١ هـ ١٣١١ م) .
١٧٨ ــ لسان العرب ، اعداد وتصنيف يوسف خيّاط ، بيروت : دار لسان العرب ، ؟ .

ـــ الموسوي : عباس بن نور الدين (ت بعد ١١٤٨ هـ/١٧٣٥ م) .
١٧٩ ـــ نزهة الجليس ومنية الأديب والأنيس ، تحقيق مصطفى وهبي ، القاهرة : المطبعة الوهبية ، ١٢٩٣ هـ/١٩٧٦ م .
ـــ ابن المؤقّت المرّاكشي : أبو عبد الله محمد بن محمد (ت ١٣٢٩ هـ ١٩١١ م) .
١٨٠ ـــ تعطير الأنفاس في التعريف بالشيخ أبي العبّاس ، طبع على الحجر بفاس ، ؟ .
ـــ الناصري : أبو العباس شهاب الدين أحمد بن خالد (ت ١٣١٥ هـ ١٨٩٧ م) .
١٨١ ـــ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق جعفر النّاصري ، الدار البيضاء : دار الكتاب ١٣٧٥ هـ/١٩٥٥ م .
ـــ ابن النجار : محي الدّين محمد بن محمود بن الحسن (ت ٦٤٣ هـ ١٢٤٥ م) .
١٨٢ ـــ أخبار المدينة المنورة ، مكة : مطابع دار الثقافة ، ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م .
ـــ النَّسائي : أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب (ت ٣٠٣ هـ/٩١٥ م) .
١٨٣ ـــ سنن النسائي ، ؟ ، القاهرة : المطبعة المصرية بالأزهر ، ؟ .
ـــ أبو نعيم الأصبهاني : أحمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٤٣٠ هـ/١٠٣٨ م) .
١٨٤ ـــ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، القاهرة : مكتبة الخانجي ١٣٥١ هـ ١٩٣٢ م .
ـــ ابن هشام : أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب (ت ٢١٣ هـ ٨٢٨ م) .
١٨٥ ـــ السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السّقا وآخرون ، ط ٣ ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٣٩١ هـ/١٩٧١ م .
ـــ الهمذاني : أبو محمد الحسن بن أحمد بن الحائك (ت ٣٣٤ هـ/٩٤٥ م) .
١٨٦ ـــ الاكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير ، ؟ ، القاهرة : مطبعة السنّة اليمنية ، ١٣٨٦ هـ/١٩٦٦ م .
ـــ هنتش : فالتر (Walter Hinch) .
١٨٧ ـــ المكاييل والأوزان الاسلامية ومايعادلها في النظام المتري ، ترجمه

من الألمانية كامل العسيلي ، عمّان : الجامعة الأردنية ، ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م .
ــ الهيثمي : نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (ت ٨٠٧ هـ/١٤٠٤ م) .
١٨٨ ــ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، القاهرة : مكتبة القدسي ، ١٣٥٣ هـ ١٩٣٤ م .
ــ الواقدي : أبو عبد الله محمد بن عمر (ت ٢٠٧ هـ/٨٢٢ م) .
١٨٩ ــ مغازي رسول الله ﷺ ، القاهرة : مطبعة السعادة ، ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨ م .
ــ الورثيلاني : الحسين بن محمد (ت ١١٩٣ هـ/١٧٧٩ م) .
١٩٠ ــ نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار ، ط ٢ ، بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٣٩٤ هـ/١٩٧٤ م .
ــ الونشريسي : أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد (ت ٩١٤ هـ ١٥٠٨ م) .
١٩١ ــ المعيار المعرّب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب ، تخريج جماعة من الفقهاء باشراف محمد حجّي ، الرباط : وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ، بيروت : دار الغرب الاسلامي ، ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م .
ــ اليافعي : عفيف الدّين عبد الله بن أسعد بن علي (ت ٧٦٨ هـ/١٣٦٦ م) .
١٩٢ ــ مرآة الجنان وعبرة اليقضان ، حيدر آباد : مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، ١٣٣٧ ــ ١٣٣٩ هـ/١٩١٨ ــ ١٩٢٠ م .
ــ ياقوت الحموي : شهاب الدّين ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦ هـ ١٢٢٨ م) .
١٩٣ ــ ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء ، القاهرة : دار المأمون ، ؟ .
١٩٤ ــ معجم البلدان ، بيروت : دار صادر للطباعة والنشر ، ١٣٧٥ هـ ١٩٥٥ م .
ــ اليعقوبي : أحمد بن إسحاق بن جعفر (ت ٢٩٢ هـ/٩٠٤ م) .
١٩٥ ــ تاريخ اليعقوبي ، النجف ــ العراق ، المكتبة المرتضوية ، ١٣٥٨ هـ ١٩٣٩ م

ثانياً : مصادر بلغة أجنبية :

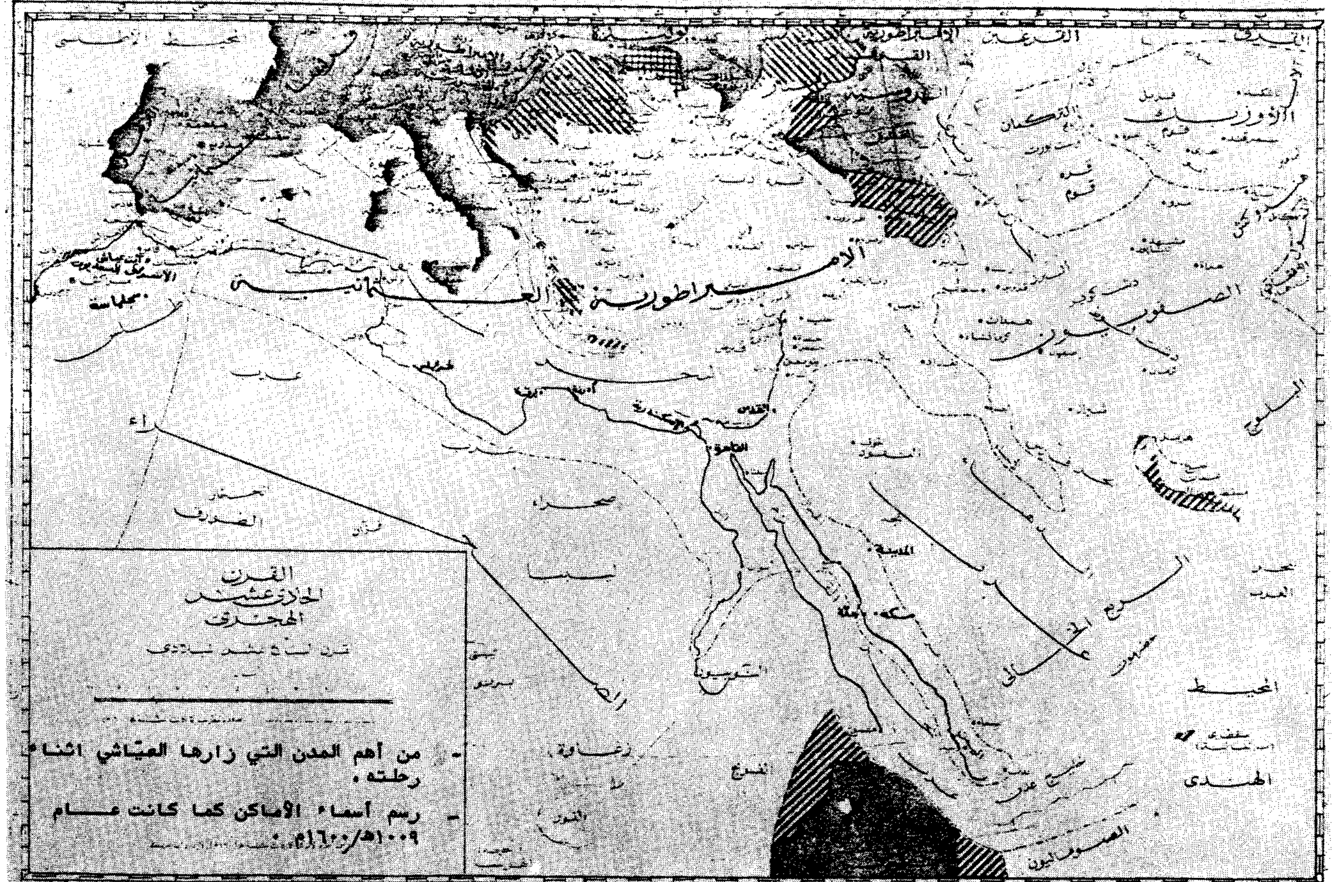
١٩٦ — Dozy .

Dictionnaire des noms des Vêtements chez les arabes Beirut : Librairie du Libon, 1945.

١٩٧ — Hutton , William Holden .

Constantinople , the story of the old capital of the Empire ,6th edition , London : Dent , 1925 .

الملاحق



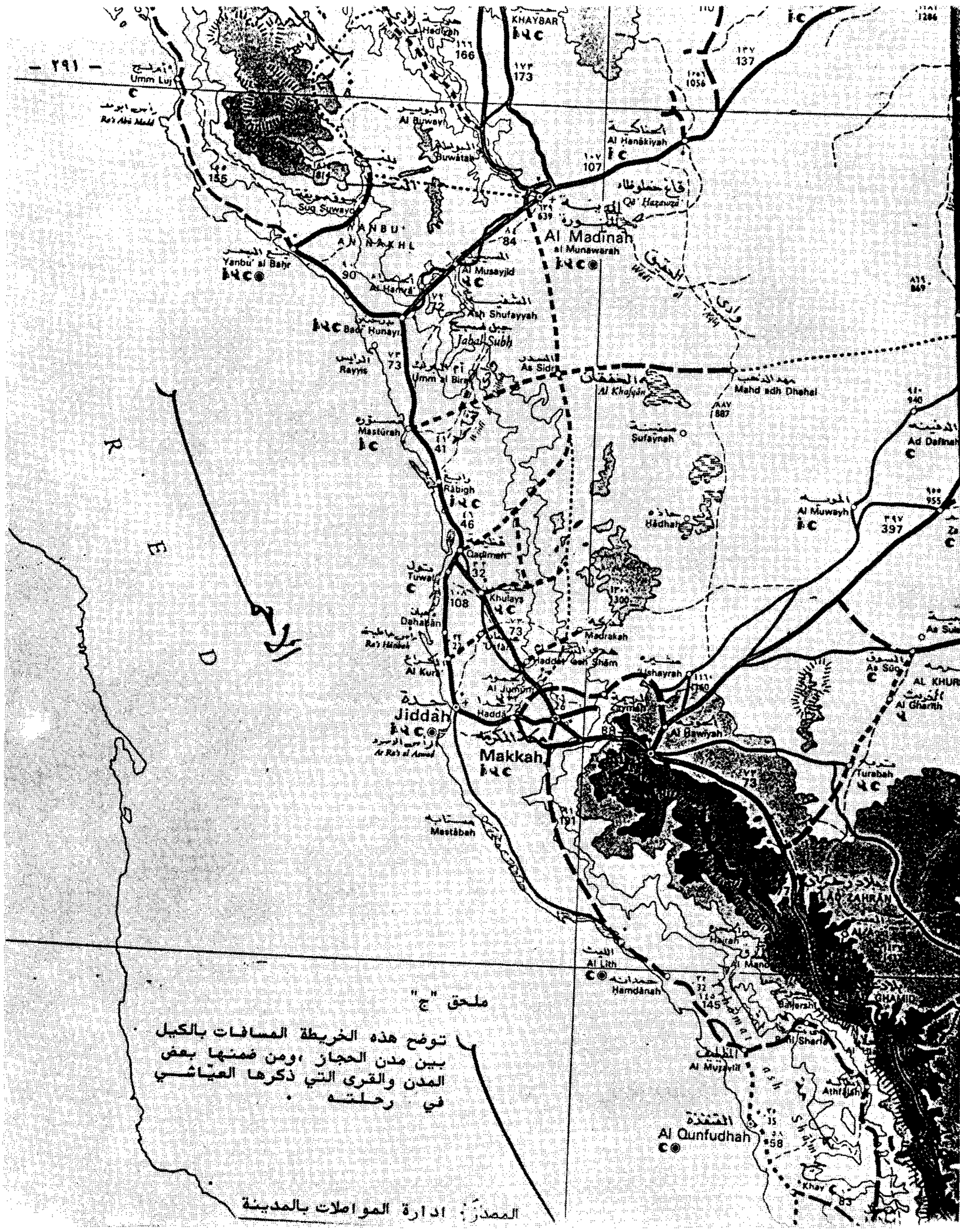
المصدر : هاري هزارد وآخرون ؛ أطلس التاريخ الاسلامي ، ابراهيم زكي خورشيد ،
القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٤هـ/م .



ملحق "ب"

تتضمن هذه الخريطة بعض المواقع لمعالم أثرية وجغرافية أوردها العيّاشي في رحلته أثناء زيارته للمدينة المنورة عام ١٠٧٣هـ (١٦٦٢م). ومن هذه المعالم مساجد المدينة ومقبرتها وجبالها وأوديتها وآبارها ومنازل بعض القبائل.

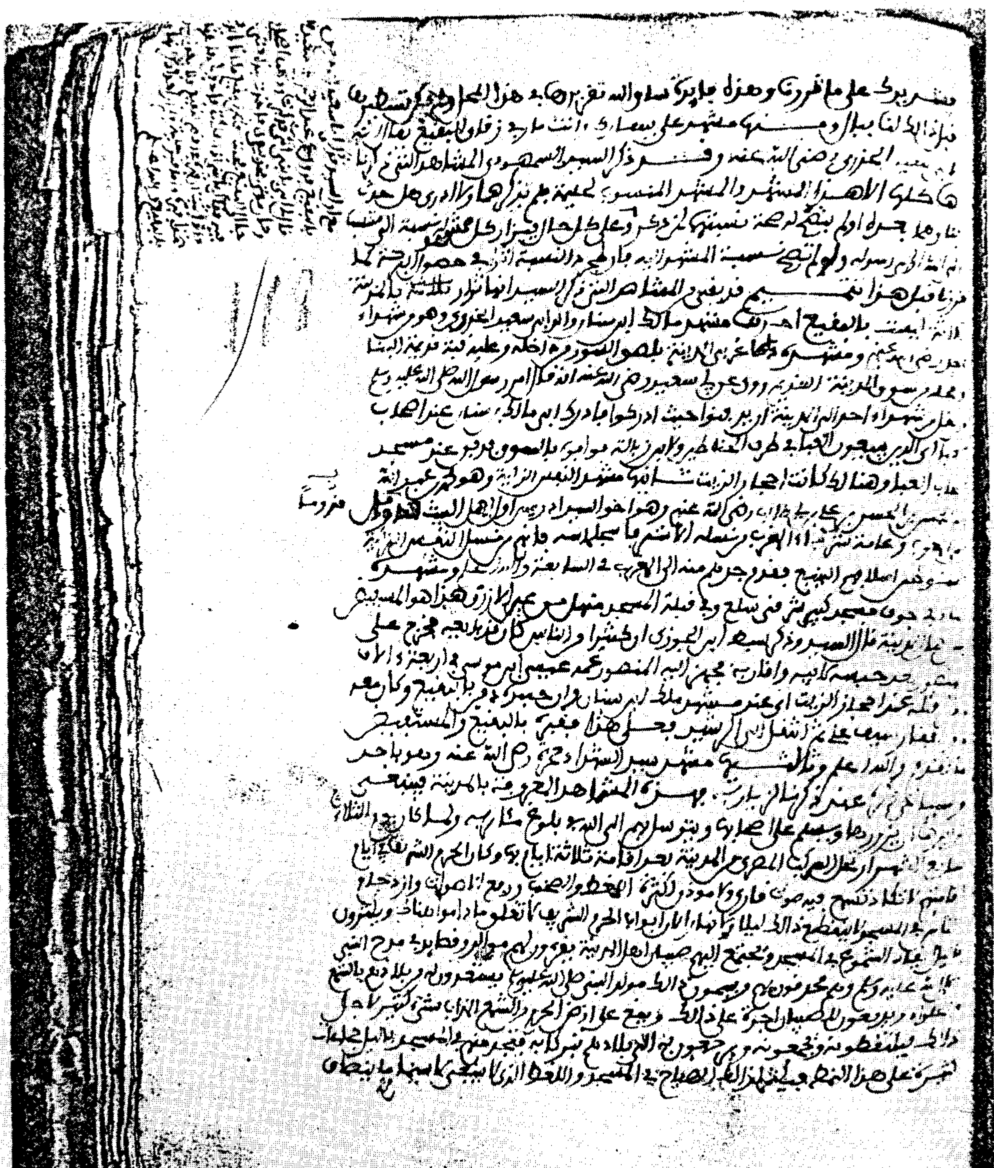
المصدر: عبدالسلام حافظ هاشم: المدينة المنورة في التاريخ، ط ٣، المدينة المنورة: نادي المدينة المنورة الأدبي، ١٤٠٢هـ/١٩٥٢م.



ملحق "ج"

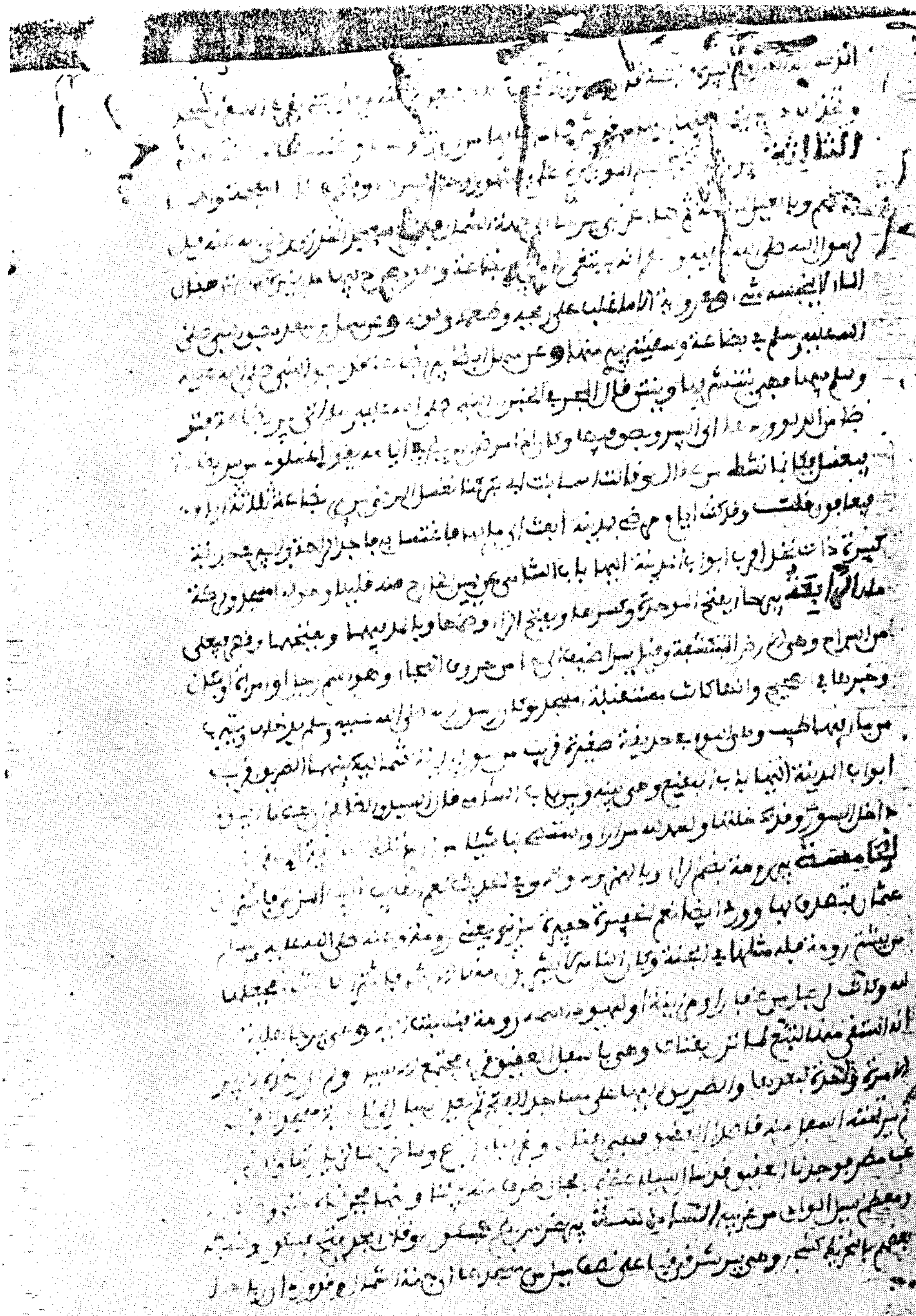
توضح هذه الخريطة المسافات بالكيل بين مدن الحجاز ،ومن ضمنها بعض المدن والقرى التي ذكرها العياشي في رحلته .

المصدر: ادارة المواصلات بالمدينة



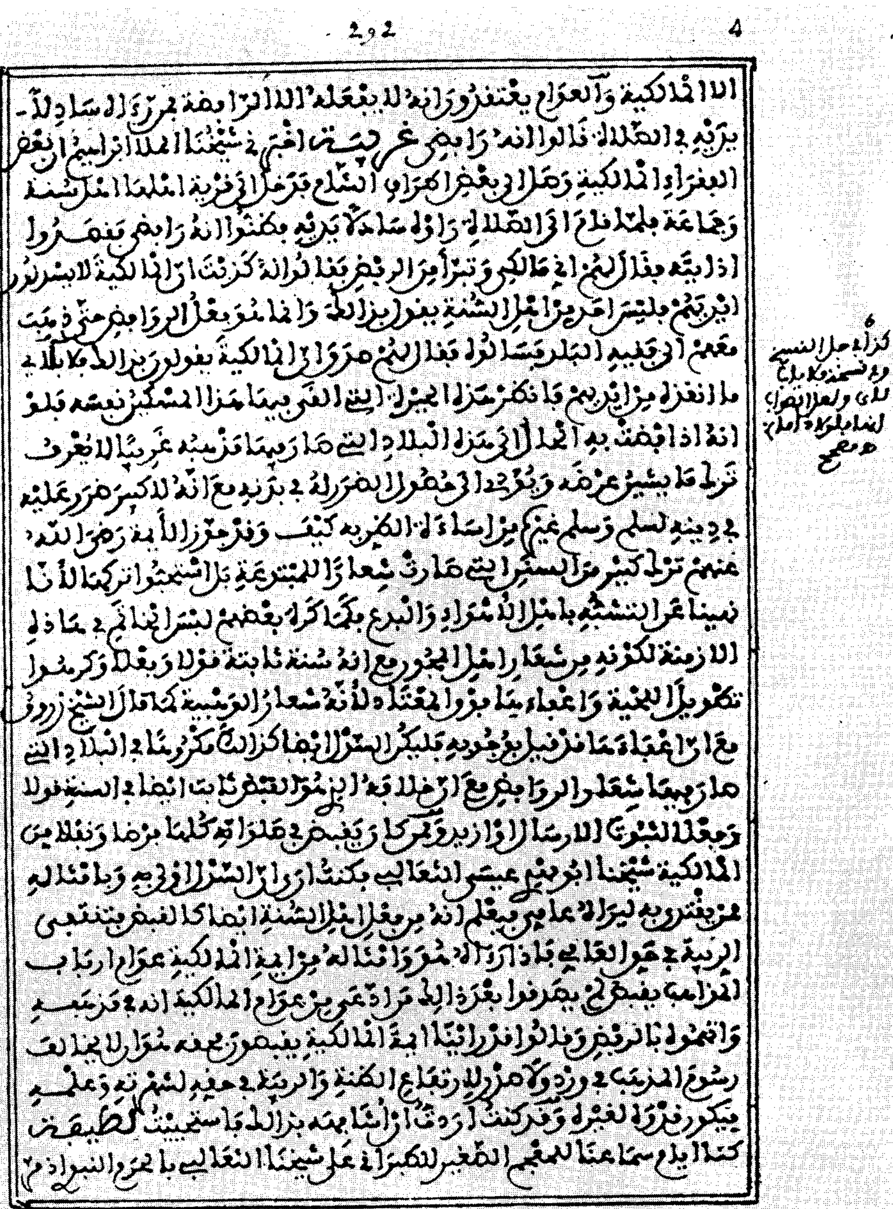
ملحق "د" :

نموذج من المخطوطة الاصلية بخط المؤلف .



ملحق "و" :

نموذج من النسخة المخطوطة "أ" .



4 ‎- 292

الا المالكية والعوام يعتقدون انه لا يفعله الا الذي يعتقد مذهب السادة الأ-
باضية في الصلاة قالوا انه رافضي عن هيئة اخبرني شيخنا العلامة ابراهيم ابن الفقيه
البغدادي المالكي وصار بعض العوام ابتدع القبض في الصلاة المالكية منذ سنة
وجماعة بالمدينة ان الصلاة دون سادلة اليدين وكثيرا انه رافضي فيتمسكوا
اذا بيته فقال الشيخ انه على الكبر وتبرأ من الرفض فقالوا انه كذبت ان المالكية لا يسدلون
ايديهم فليس امر من اهل السنة فقول من الله وانما هو فعل الروافض حتى ذهبت
معهم الى قبيله البلد فسألوا فقال الشيخ من ان المالكية يقولون من السدل فلا بأس في
ما انفرد منه من ايديهم فأنكر هذا الجبر الذي الفقيه هذا المسكين نفسه فلو
انه اذا قبض به اهل الارض من البلاد التي هما ربما في مذهبه غريبا لا يعرف
ترك ما يشير عنده ويؤدي الى ضرر الضرر له في بدنه مع انه لا كبير ضرر عليه
في دينه لسلم وسلم غيره من اساءة الظن به كيف وقد جزم الأئمة رضي الله
عنهم بترك كثير من السنن التي صارت شعارا للمبتدعة بل السنن التي كما لأنا
نهينا عن التشبه بأهل الأهواء والبدع فكما كره بعضهم لبس الخاتم في ما ذا لي
الأزمنة لكونه من شعار اهل الجور مع انه سنة ثابتة قولا وفعلا وكرهوا
تكوير العمة والعتبة فيما بين المغتاد لأنه شعار المبتدعة كما قال الشيخ زروق
مع ان العتبة مما قيل بوجوبه فليكن السدل ايضا كذلك مكروها في البلاد التي
صار فيها شعارا للروافض مع ان خلافه اي هو المتفق انه ثابت ايضا في السنة قولا
وفعلا النبوي الارشاد الاوزبي ومالكا يقبض في صلاته كلها فرضا ونفلا من
المالكية شيخنا ابو مهدي عيسى الثعالبي فكنت ارى السدل اورجح وأما قال لم
من يقتدي به ليراه عامي فيعلم انه من فعل اهل السنة ايضا كالقبض فينتفي
الريبة في فعل الفاعل فاذا رآه هو وأمثاله من أئمة المالكية علم ارباب
المذاهب الأخرى بفقرهم بحيث عرفوا انه ليس من عوام المالكية انه قد يتبعه
وأتموه بالرفض وقالوا من اتباعه ايضا المالكية يقتدون بهذا المثال لأجل الكتاب
رسوخ المذهب في رده ولا مزيد لارتفاع الفتنة والريبة في حقه لشهرته وعلمه
فيكون قدوة لغيره وقد كنت اردت ان اثبت هنا من الله باستغنيت الطيقة
كنت ابلغ سماعنا لمعجم الصغير للطبراني على شيخنا الثعالبي بالحرم النبوي

كذا في أصل النسخ
وفي نسخة وكلا ...
... ولعل الصواب
... بالزيادة ...
صح

ملحق "ز" :

نموذج من النسخة المخطوطة "ب" .

والنجاة من عذاب النار ونسأله الإنابة والعافية وحسن القرار في سكنى الدار وفي
تلك الدار في جوار سيدنا محمد المختار وآله الأطهار وصحابته الأخيار ومن تبعهم
بإحسان من الأبرار والله يختم بالسعادة آجالنا ويقرن بالعافية غدونا و
آصالنا ويبلغنا من فضل الدارين آمالنا بجاه سيد الوجود ومنبع الجود سيدنا
ومولانا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام
وعلى آله وصحبه أجمعين سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين

لخ
... قابلته جهد الاستطاعة من خط
المؤلف رحمة الله عليه ... و...
يوم ... الثلاث ... من ...
عام ثلاثة ومائة وألف ...
... [illegible]

كمل بحمد الله تقييد الرحلة المباركة في يوم الجمعة أوائل رجب الفرد من سنة ... وما
... على يد مؤلفها عبد الله أحمد بن محمد الهشتوكي المستوطن تاد
غوصت متوسلا إلى الله ... من كتابة الرحلة ... واجر...
بركة ما احتوت عليه من الصالحين الأخيار والعلماء الأخيار وأولياء الأبرار
ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم المختار ومن مضى من الأنبياء وخلفاء الأكابر
فعسى أن يبلغنا جميع الأوطار في سكنى الدار وفي تلك الدار ...
تلك ... وزيارة تلك البقاع والأطهار وأن يختم آجالنا
بحسن الختام بالموت على الإيمان والإسلام والأخوة ...
لحاجته على الدوام لنا ولأشياخنا ولأصحابنا ولنا
فاربنا ولمن قال آمين والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
وكتبها لمولانا العلامة والبحر الفهامة القدوة المحقق والعارف المتفنن الموفق
... في اتباع السنة ... سيدي ...
... العباس سيدي أحمد ... أطال الله لنا بقاءه ...
... آمين آمين آمين يا رب العالمين

ملحق "ل" :

نموذج من النسخة المخطوطة "ج" .

فهرس الموضوعات

الصفحة

الفصل الثالث

القسم المحقق

٢٠

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء